
دار العيدروس للكتاب الحديث
الموسوعة العسكرية التاريخية
WORLD WAR II

الموسوعة العسكرية التاريخية

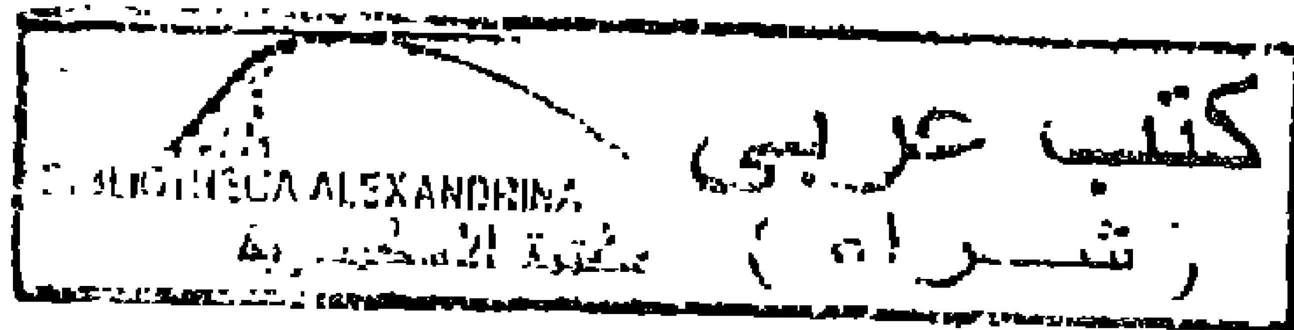
أقوى معارك الحرب العالمية الثانية

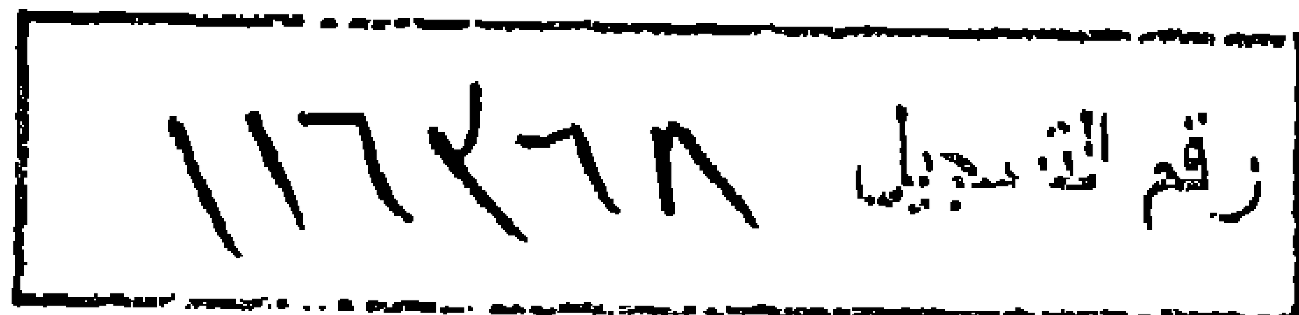
اختراق رومل للقوات البريطانية

في معارك الصحراء المصرية الليبية من يونيو إلى ديسمبر 1941



البروفيسور . د/ محمد حسن العيدروس





دار الكتاب الحديث

العيدروس ، محمد حسن .

أقوى معارك الحرب العالمية الثانية:اختراق رومل للقوات البريطانية-في معارك الصحراء المصرية الليبية من يونيو إلى ديسمبر 1941/ محمد حسن العيدروس . ـ ط1 . ـ القاهرة : دار الكتاب الحديث ، 2010

314 ص ؛ 24 سم

تدمك :978-977-350-281-2

1- رومل ـ تاريخ عسكرى.

أ ـ العنوان

953

رقم الإيداع /2010/16042

دار الكتاب الحديث

القاهرة	94 شارع عباس العقاد – مدينة نصر – القاهرة ص.ب 7579 البريدي 11762 هاتف رقم : 22752990 (202 00) فاكس رقم : 22752992 (202 00) بريد إلكتروني : dkh_cairo@yahoo.com
الكويت	شارع الهلالي ، برج الصديق ص.ب : 22754 – 13088 الصفاه هاتف رقم 2460634 (965 00) فاكس رقم : 2460628 (965 00) بريد إلكتروني : ktbhades@ncc.moc.kw
الجزائر	B. P. No 061 – Draria Wilaya d'Alger– Lot C no 34 – Draria Tel&Fax(21)353055 Tel(21)354105 E-mail dk.hadith@yahoo.fr
الامارات	دار العيدروس للكتاب الحديث ص ب . 2855ابو ظبي هاتف 00971505932613 فاكس 0097126392062 email: alaidaroosgp@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم



إهداء

إهداء إلى والدى المرحوم السيد الشريف/

حسن أحمد علوى العيدروس

طيب الله ثراه والفاتحة إلى روحه

وإلى الشعب الألمانى لكى يعرف أبناءه الذين أخلصوا لوطنه ولشعبه إضافة إلى نبوغهم فى شتى المجالات ومنها الإستراتيجية والعبقرية العسكرية ومن هؤلاء القائد المارشال روميل.

وإلى أبناء المسلمين وخاصة عرب مصر وليبيا وتونس ليعرفوا ويفهموا التاريخ العسكرى والمعارك التى دارت على أرضهم فى الحرب العالمية الثانية.

من أقوال «رومل»:

«نادرا ما كانت الحرب مفيدة لأحد الذين يخوضونها، وتخوض الشعوب الحرب دون أن يؤخذ رأيها فيها، ولا بد من إيقاف الحرب فورًا عندما يتبين عقمها وانعدام نتائجها».

مقدمة

نلاحظ أن القادة العسكريين الألمان تلاميذ أكبر نجابة بكثير من معاصريهم الأمريكيين وغيرهم فى دراسة المعارك الحربية والتاريخ العسكرى ومن هنا تأتى أهمية روميل الذى طغى اسمه منذ عام 1941 على أسماء كل الجنرالات الآخرين، وكانت بداياته العسكرية من ألمع البدايات فمن عقيد رفع إلى فيلد مارشال، وكان روميل بعيدًا كل البعد عن الطموحات الشخصية وكان خارجيًا "Oursider" فى كل معنى هذه الكلمة، فلم يكن يسعى إلى المراكز العليا فى هيئة الأركان العامة، وكان نشاطه مقتصرًا على المعارك والعمليات العسكرية سواء فى أوروبا أوخارجها مثل معاركه فى إيطاليا ورومانيا وبولندا وفرنسا وليبيا ومصر وتونس.

ولد روميل فى 15/11/ 1891 والتحق بالكتيبة 124 مشاة ضابطًا دارسًا عام 1910 وبعد حضوره فى مدرسة المشاة فى «دانيج – Danzing» عين ملازمًا عام 1912 وبرز روميل خصوصًا كضابط صغير خلال الحرب العالمية الأولى وتلقى أعلى وسام «استحقاق» ألمانى بعد هجوم «كابورتيو» ضد الإيطاليين فى عام 1917 كما شارك فى رومانيا وفرنسا. بعد عام 1933 عين مدربًا عسكريًا لفصائل الانقضاض التابعة للحزب النازى وكان يعرف كيف يحاضر بصورة حية ومفيدة وقد ساعده على ذلك أنه تمكن من توسيع أفقه بدراسة العلم الجديد الذى يسمى «الجيو – بوليتيك» كتلميذ للأستاذ «هانشرفر»، وأصبح فيما بعد مدربًا فى مدرسة المشاة «بدرسد» ثم أصبح مدربًا فى مدرسة «فاينر نوشتادت» وهى مدرسة أحدث، وقد التقى به هتلر فى إحدى المرات واستمتع بنقاش معه حول الأساليب العسكرية الجديدة،

وأعجب بإبداعه الذى وجده متجدداً ومنعشًا وعندما نشبت الحرب عين قائد لمقر القيادة الخاصة بالفوهرر وبعد الحملة البولونية عين قائد لإحدى الفرق المدرعة «البانزر» السابعة وقادها فى الهجوم على الغرب، حيث مثلت دوراً بارزاً فى عملية اختراق نهر «الموز» والانقضاض باتجاه المانش ثم عبرت هذه الفرقة الجبهة الفرنسية على «السوم» بين «آبفيل» و«إميان» وقادت الاندفاع إلى «السين» بقرب «روان» وبعدها لقبت فرقة رومل باسم «فرقة الشبح».

أحدث رومل تأثيراً كبيراً فى العالم بسيفه وسلاحه العسكرى، وزاد من عمق هذا التأثير ببلاغة قلمه، لأن أى قائد آخر فى التاريخ لم يستطع كتابة قصة حملاته بطريقة تضاهى فى حيويتها وقيمتها كتابات رومل، علاوة على أن أى قائد آخر لا يستطيع تصوير عملياته وأسلوبه فى القيادة بمثل هذه الطريقة، كما أنه لا يمكن لأى قائد أن ينقل عن طريق الكتابة ديناميكية الحرب الخاطفة وسرعة قوات البانزر، وسنحس بالحركة السريعة والقرارات الحاسمة كثيراً خلال مذكراته، ولهذا كان اعتمادنا كبيراً على تلك المذكرات فى هذه الدراسة باعتبارها شاهداً حى على الأحداث، إضافة إلى دقة المعلومات والملاحظات العسكرية التى تعطى قيمة علمية أكثر فى التاريخ العسكرى. وقد كان أغلب القادة العظام كُتَّابًا فاشلين، بجانب افتقارهم للمهارات الأدبية فى وصفهم لأعمالهم كانوا على الدوام ميَّالين للغموض بالنسبة للطريقة التى يفكرون بها وفى وصفهم لأعمالهم. ولذلك لم يقدموا للأجيال التى تلتهم إلا القليل عن هذا الفن، أما كتابة رومل فكانت موضوعية للغاية، بالإضافة إلى كونها تفصيلية.

تتضمن هذه الدراسة إضافة إلى رومل وعائلته والقادة الألمان وبعض الأسئلة مثل رأى رومل فى قيادة هتلر السياسية والعسكرية، عندما رآها لأول

مرة عن قرب؟ هل كان روميل يؤمن بقيمة الشعب الألماني؟ لماذا كان البابا يميل إلى الألمان عن الحلفاء؟ ما هي أسباب فساد الحزب الفاشستي؟ كيف كانت خطة هتلر لتخليص موسوليني من الأسر؟ ما هو رأى روميل فى الجندى الإيطالي والبريطاني؟ لماذا اعتبر روميل الانقلاب ضد هتلر قبل الغزو خطأ؟ ما الأهمية الإستراتيجية العسكرية للجبهة فى الصحراء العربية فى مصر وليبيا وتونس؟ هل كان هناك حل لانتصار القوات الألمانية في ليبيا ومصر؟ كيف تكون القيادة العسكرية الحديثة؟ ما هو تعليق روميل على الحرب فى الصحراء العربية فى مصر وليبيا والغزو فى أوروبا؟ هل التعليم أسهل من إعادة التعليم؟ هل هتلر هو الذى قرر قتل روميل؟ هذه بعض الأسئلة التى يتم إجابتها فى هذه الدراسة.

تحتوى الدراسة على عدة فصول منها:

الفصل الأول: معارك روميل من ممر حلفاية إلى معركة البلطة.

الفصل الثانى: استراتيجية روميل ونتائج المعارك.

الفصل الثالث: معركة كروسيد.

الفصل الرابع: هجمات روميل داخل الحدود المصرية.

أتمنى فى الختام أن تكون هذه الدراسة قد حققت أهدافها، وهى اطلاع القارئ الكريم بمجريات الأمور والمعارك فى الصحراء العربية ابتدا من مصر إلى ليبيا وتونس، وأهمية هذه المنطقة فى تاريخ أوروبا التى تعتبر امتداداً لتاريخها وخاصة إيطاليا وبريطانيا، إضافة إلى عبقرية روميل فى الإستراتيجية العسكرية وكيفية إدارته للمعارك برغم قلة عدد الجنود الألمان والعتاد ومعاناتهم من الإمداد، على عكس القوات البريطانية التى كانت تفوق الألمان عدة

وعتـاد، ولكن دون قيادة رومل وشـجاعته وجنـوده الألمان. وبالتالى لا يمكن المقارنة بينهـما التى كانت لصالح بريطانيـا التى تحارب على أرضهـا فى مصر وجنودها من مستعمراتها الهند وأستراليا ونيوزلندا وجنوب أفريقيا وغيرها بكل إمكانياتها المادية والبشرية والإستراتيجية، فى حين كانت القوات الألمانية بعيدة عن وطنها وإمداداتها وغريبـة عن الأرض التى تقاتل عليها أو من أجلها ومن عليهـا، ومن هنا تأى أهمية هذه الدراسـة ومعاركهـا فى الاستفـادة منها فى الإستـراتيجيـة والتاريخ العـسكرى والتى أتمنى أن أكون قـد وفقت فى إعطاء صورة أقرب إلى التكامل عن رومل وإستراتيجيته العسكرية ومعاركه وإنسانيته كقائد فى نفس الوقت.

البروفيسور د. محمد حسن العيدروس

أستاذ التاريخ والعلاقات الدولية

مدينة اليحر - العين

الإمارات العربية المتحدة

الفصل الأول
معارك رومل من ممر حلفاية
إلى معركة البلطة

- السياسة الإستراتجية لبريطانيا وألمانيا حتى يونية 1941.
- معارك ممر حلفاية 1941/5/15.
- المسألة السورية 1941/6/8.
- بدء معركة البلطة 1941/6/15.
- معركة ممر حلايا.
- اليوم الثانى من معركة السلوم 1941/6/16.
- معركة التل.
- انتصار قوات رومل فى معركة البلطة.

السياسة الإستراتجية لبريطانيا وألمانيا حتى يونيو 1941:

نجد أن بريطانيا قد انشغلت وحدها بمساعدة فرنسا الحرة التى كانت عبئًا عليها خلال النصف الأول من عام 1941 أن تواجه غزو أراضيها وتتجنب خسارة مواقعها فى البحر المتوسط وأن تعيد احتلال مواقعها فى شرق أفريقيا فى حين كان موقف اليابان قد أصبح موقفًا تهديديًا وكانت الولايات المتحدة تتبنى مبدأ الإعارة والتأجير، وعلى الصعيد الإستراتيجى كانت إيطاليا واقعة فى مركز الخطوط الداخلية جغرافيًا ولكن على الصعيد العملى كانت بريطانيا هى التى تناور بهذا الشكل وهى ترد بعنف ونشاط ضد أكثر التهديدات إلحاحًا وضغطًا عليها مثل الأسطول الإيطالى فى بادئ الأمر ثم الجيش الإيطالى فى ليبيا؛ وكانت إمكانيات مثل هذه المناورة ضعيفة نظرًا لضعف الوسائل المتوفرة لديها وبعد المسافات، وها هو التهديد الألمانى ضد البلقان يضطر لندن إلى القيام باختيار مصيرى إما الذهاب إلى ليبيا أو سحب كل الوسائل الجاهزة لتخف لمساعدة اليونان ومنع خسارة يوغوسلافيا والحياد النهائى لتركيا ولم يكن تشرشل والقيادة البريطانية العليا وأهمية أبدًا حتى اللحظة الأخيرة بمخاطر المغامرة اليونانية ومن المحتمل أن يكون الانعكاس النفسى للتخلى عن هذا البلد على الرأى العام العالمى قد لعب دورًا حاسمًا وخصوصًا فى الوقت الذى كانت فيه الولايات المتحدة تقوم بخطوة حاسمة عن طريق المساعدة المباشرة، وقد وجه النقد فيما بعد لبريطانيا لأنها جرت اليونان إلى الحرب، وبأنها أعادت تجربة النرويج ثم تجربة دنكرك، وبالحقيقة فإن الحرب تتطلب إعادة التجربة فتكون أحيانًا قاسية وسط صعوبات عديدة. وكان اختيار بريطانيا التى

لا خيـار لها هو قبـول المعركة فى كل مكان لأن الحـرب لـم تكن إلا لعنة من اللعنات المفروضة عليها" .

اتخـذت السيـاسة الإسـتراتيـجيـة لهتلر المبـادأة فى كل مسـتندة على انتصارات حـاسمة ظاهريًا وأخرجت خـمس دول من أصل ست دول خارج المعركـة، فهل كـان من الواجب أن يضع الأخفـاق ضد بريطانيا حـدًا مؤقـتًا للمعركة؟ ألم يكن من الواجب محـاولة قهر هذا الخصم اللدود فى كل مكان يمكن الوصول إليه؟ ولماذا لا يستخـدم هتلر جزءًا من قواته البرية العاطلة منذ يوليو 1940 وقسمـا من الطيران الألمانى لمتابعة القتـال مع الإيطاليين؟ كان من الصعب تغذيـة الأوهام حول فعالية الإيطاليـين العسكرية. فقد كـانت إيطاليا تابعة لألمانيا بالاقتصاد وصناعة الحرب وكان من الطبيعى أن يفرض هتلر وحده للقيادة، وهى قيادته وأرسل إلى ليبيا بعض الفرق واتخذ كل شىء هناك سيرًا جديدًا مختلفًـا ولم يتجاوز إلهام هتلر الشهيـر إطاره الإدارى وهكذا فقد هذا الإلهام كل قـيمتـه إزاء بريطانيا وروسيا، هـاتين القوتين اللتين اصطدم بهـما نابليون وأخفق إخفاقًا تامًا[1].

التقى رأى روميل برأى الجنرال ويفل نظيره فى الفن الإسـتراتيجى وكان الإصرار على استبـقاء طبرق، عملاً جريئًـا فى مثل هذه الظروف ولكن دفاع حاميتها ذلك الدفاع القوى كان ولا شك خطرًا يتهدد مواصلات العدو ويؤدى إلى منع تقدمه؛ ولقد أدى الاحتفـاظ بطبرق فى الواقع إلى هذه النتيجة وربما يكون قـد أنقذ مـصر، ولطالما تحـدث روميل مع ابنه منفـرد عن الجنرال ويفل وقال له: "أنه قائد من طراز ممتاز وهو عبقـرى من الناحية العسكرية" . ولقد وجدا فى مكتبـة روميل بعض الكتب عن ليبيا ومـصر "لفوربنيوس" ثم كـتبًا

(1) إميل دنتيسى - المرجع السابق ص 145.

أخرى لم تفتح أوراقها بعد، كما وجـدا مجلداً ضخماً تدل صفحاته على أن رومل قد قرأه بعناية تامة ذلك هى التـرجمة الألمانية لكتاب "ويفل" عن "فن القيادة"، ولما كان رومل يقدر أهمية طبرق هو الآخر، فقد شن عليها هجوماً كاملاً فى أول مايو حالما تم دعم قواته بالفرقة الخامسة عشر المدرعة.

يقول النقـيب "الدينجر": أن الإيطاليين رغم أنـهم كانت لديهم خطط الدفاع التى أعدوها بأنفسـهم، فقد رفضوا استخدامـها أو تنفيذها، وعلى أى حال فإن الفرقة الأسترالية التاسـعة لم تكن ليفزعها رومل ولا غيره ذلك لأن هذا الفن من القتال الذى يعـتمد على الجرأة والمبادأة التى تقوم بهـا الجماعات والأفراد هو ذلك الفن الذى يتقنه الأسـتراليون، ومن أجل هذا صدم رومل، ورد بقوة، مـتكبداً خـسائر فادحـة فى الرجال والدبابات، فـوجدت القـيادة الألمانية العليا فرصة للشماتة به، وذكرته مرة أخرى بأن الاستيلاء على طبرق، هو المهمة الرئيـسية الأولى للفيلق الأفريقى، وليـس من المهم أن يستولى على برقة والسـلوم والبردية، وأن استـمرار الزحف إلى مـصر ليس له إلا أهمـية ثانوية، وفى منتـصف مايو وقـبل أن تنزل إلى الشـاطئ إمدادات أخـرى من الدبابات الجـديدة الآتية من بريطانيـا، رأى الجنرال ويفل: "أن أمـامه فـرصة سانحة وظروفاً مواتية لمهاجـمة جنود العدو الذين تقدموا على الحدود المصرية بالقرب من السلوم". فـقام "ويفل" ببعض العـمليات العسكـرية مستخـدماً دبابات كروزو" وأخرى غيرها لتخـفيف الهجوم الألمانى على "طبرق" والذى شنه رومل بسلسلة من الهجـمات القوية، فـاستولت القوات البـريطانية على السلوم القريبـة من "طبرق" وذلك لإقـامة جسـر برى للدعم والمساعدة كـما استولت على "كابوتزو". و"بيوجكم" "وممر حلفاية"(1).

(1) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السابق ص 102.

معارك ممر حلفاية:

حاول البريطانيـون التعرض للخط الدفاعى الذى نظمه رومل فـهاجموا حلفـايا والبردية صـباح يوم 15/ 5/ 1941 ونجحـوا فى احتلال حلـفايا ولكن رومل نظم هجومًـا مضادًا طرد فـيه البريطانيين مـن حلفايا ولكن رومل نظم هجومًـا مضادًا طرد فـيه البريطانيـين من حلفايا يوم 27/ 5/ 1941، فقد كان الألمان قـد تمكنوا فى إبريل من احتـلال ممر حلفاية علـى يد الفرقـة الخامـسة الخفيفة، وهو نقطة إستراتيجية بالغة الأهميـة أعطتهم مركزًا متقدمًا أمام جبهة السلوم، ولابد للبـريطانيين من استـعادة هذه المنطقة وهـذا الممر المهم إن هم أرادوا استئناف الهجوم ولذلك قام الجنرال ويـفل بمهاجمتها بين يومى 15 و17 مايو 1941، واستخدم فى الهــجوم وحدات من لواء الحرس 22، وبالرغم من أن سرايا فوج المشـاة المحملة الألمانية الخامسـة عشر ومعهـا بطارية إيطالية قد دافعت دفـاعًا شديدًا عن هذا الموقـع إلا أنها سقطت كلهـا أسيره مـا عدا 12 جنديًا، ولكن الغاية التى استـهدفـها ويفل من وراء هذا الهجوم لم تتـحقق، ذلك أن الألمان أيقنوا أن بقاء ممر حلفاية بـيد البريطانيين يعنى التهديد المـستمر للقوات الألمانية فى جبـهة كابوتزور البردية، وهى قوات خفيـفة، فقرر رومل إعادة احتلال الممر، وهكذا عادت مجمـوعة القتال الألمانية "هيرف" فاحتلت كابوتزور والسلوم فى هجوم مضاد عنيف.

يقول رومل فى مذكراته:

وأصدرت تعليماتى بتنظيم خط دفاعى عند الـغزالة لأكون على استعداد تام لأسوأ الافتراضات على أن يتم حفر هذه المواقع بحيث تشابه مواقع طبرق الدفاعيـة التى أثبتت ملاءمتها تمامًـا لمواجهة أساليب الهجـوم الحديثة. ولكن ظهرت معضلة، وهى كيف أسحب القوات الألمانية والإيطالية المترجلة؟.

وفى الساعات الأولى من صباح يوم 15 مايو شن البريطانيون هجومهم على قواتنا المترجلة الموجودة بالقرب من السلوم، علاوة على مهاجمتهم لنقطنا القوية فى ممر حلفاية، ثم تقدمت المدرعات البريطانية بعد ذلك من منطقة حباطة وانتشرت على طول الحدود واتجهت أولاً نحو الشمال الغربى، ثم شمالاً صوب كابتزو. وتكبدت قواتنا (التى تدافع عن النقط القوية) والقوات الخفيفة الحركة التابعة لهيرف خسائر جسيمة، وارتدت بانتظام تحت ضغط العدو نحو الشمال.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

"شن ويفل هذا الهجوم على أمل مفاجأة روميل قبل وصول الفرقة 15 بانزر مع دفعة للخلف حتى غرب طبرق. وقام بالهجوم الجنرال جوت باللواء السابع المدرع (وكانت قوته تقدر بحوالى 55 دبابة) وباللواء 22حرس".

ويتابع روميل مذكراته فيقول:

فقمت على الفور بإرسال كتيبة باتزر مدعمة بعناصر المدفعية المضادة للطائرات تحت قيادة المقدم كرامر لنجدة هيرف وكان على قوتى هيرف وكرامر الالتقاء ليلية 15 - 16 مايو غربى سيدى عزيز ومن تقرير استطلاعنا الجوى ووحداتنا المحتلة لخط السلوم/ البردية علمنا أن الإنجليز ينوون حشد قواتهم جنوب سيدى عزيز بغرض القضاء على قوة هيرف فى صباح يوم 16 ثم القيام بضربة أخرى نحو الشمال لزعزعة قواعد جبهتنا فى السلوم/ البردية ولذلك قررت توحيد قوتى هيرف وكرامر لمنع الإنجليز من تحقيق غرضهم هذا.

وأثناء الليل دفعت قوة هيرف نحو قوة كرامر لمنع العدو من اصطياد القوتين على انفراد أثناء الصباح، ولكن القوتين فشلتا فى التقابل، وفى صباح يوم 16 مايو وصل كرامر بقوته إلى منطقة سيدى عزيز، فأدى هذا أن

العدو أوقف الهجوم وانسحب نحو الجنوب، وكان ذلك على عكس استنتاجنا.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

"يعتبر هذا مثلاً حيًا للأوضاع التى تظهر تحت ضوء مختلف عند ملاحظاتها من الجانب الآخر".

فقد اندفع اللواء السابع المدرع البريطانى إلى سيدى عزيز ولكنه سحب قواته عندما وصلته أخبار تفيد بأن كابتزو (والتى تهدد مؤخرته) قد سقطت مرة أخرى فى أيدى الألمان الذين قاموا بهجوم مضاد (لم يذكر رومل عنه شيئًا). ولخيبة الأمل قررت القيادة البريطانية لاعتقادها أن الألمان أقوى منها، الانسحاب بقواتها بالكامل مع ترك حامية فى نقب الحلفاية.

وقد فضلوا انتظار القافلة البحرية المهمة التى أرسلت على مسئولية تشرشل نفسه وبكل جرأة عبر البحر الأبيض المتوسط (وهو طريق قصير ولكنه شديد الخطورة وذلك للسيطرة الجوية الكاملة للألمان حول صقلية وتونس).

وكانت هذه القافلة تحمل 150 دبابة ماتيلدا ومائة دبابة كرزور ولكن عند وصول هذه الإمدادات الضخمة كانت الفرقة 15 بانزر قد وصلت هى الأخرى للجانب الآخر بحيث أن التفوق المأمول لم يتحقق"[1].

شمل مسرح العمليات العسكرية الجديد حصون "سيدى عمر" و"كابوتزو" وخط الأسلاك الشائكة الممتد على حدود مصر مع ليبيا ويبلغ طوله 85 ميلاً فى الصحراء وكان الإيطاليون قد أنشأوه ضد الغارات التى يقوم بها السنوسى على مستعمراتهم فى ليبيا، وكان هذا الخط قد أصبح باليًا فى

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 79.

تلك الأيام بسبب مرور الدبابات عليه وسقوطه فى أمكنة عديدة بحيث لم يبق منه إلا الأعمدة الحديدية وحولها الأسلاك الموزعة وفوقها صفائح بترول حديثة أو أوانى فارغة أو جرائد يومية وقطع محـزقة من ألبسة عسكرية ليس لها من نفع سوى أنها قد تحدد لقوات الاستطلاع مـعالم الطريق، وكانت هذه الجبهة تقع على بعد 65 ميلاً شـرق طبرق وتشتمل أيضًا على مـرتفع ينحدر انحدارًا شديدًا نحو البحـر على امتداد نحو 600 قدم، أما الساحل المـمتد من شاطئ السلوم إلى الجنوب الشرقى فيكون من هضبة طولها 23 ميلاً وليس ممر حلفاية إلا الطريق المؤدى إلى مـا فوق الهضـبة، ومـدخله محاط بالوديـان والمضايق العميـقة ومجارى أنهار قديمـة جفت من الزمن ونباتاتها الحشـائش وانتشرت فيها الصخور.

رومل يعيد الاستيلاء على الحلفاية:

ويتابع رومل كتابة مذكراته فيقول:

وفى خـلال الأيام القليلة التـاليـة انسحب الإنجلـيز إلى داخل الحـدود المصرية وتجمـد الموقف مرة أخرى، أما حـاميتنا فى نقب الحلفاية فـقد دمرها الإنجليز واستولوا عليـها، وعليه ففى يوم 18 مايو رجعنا إلى مـوقعنا السابق فيما عدا هذا الموقع.

ويعتبر نقبى الحلفاية والسلوم ذا أهمية إسـتراتيجية كبرى لأنهما المكانين الوحيدين (مـا بين الساحل وحباطة) التى يـمكن عندهما عبور الهـضبة التى تصل ارتفاعها إلى ستمائة قدم وتمتد من السلوم نحو الجنوب الشرقى فى اتجاه مصر. كما أن موقعى الحلفـاية والسلوم يسيطران على الطريقين الوحيدين فى المنطقة.

ويعتبر امتلاك هذه الممرات ذو قيمة عظيمة لعدو يقوم بالهجوم من مصر لأنها توفر له طريقًا مأمونًا للإمدادات، فإذا حاول العدو مهاجمة البردية بدون امتلاك هذه الممرات فسيكون خط مواصلاته عبر حباطة معرضًا للهجوم من جانبنا وباستمرار.

وبعد يوم 17 مايو بدأ الإنجليز فى تحصين وتقوية مواقعهم فى حلفاية مع نشر مجموعات قتال قوية مكونة من عناصر من الدبابات والمدفعية والمدافع المضادة للدبابات فى الأرض التى استولوا عليها. وبما أننى كنت غير مستعد إطلاقًا لأن أترك فى حوزة الإنجليز نقب الحلفاية لذلك أصدرت تعليماتى لقوة هيرف بوضع خطة للهجوم المضاد لاستعادة النقب.

عزيزتى لو 23 مايو 1941

لم أتمكن من الكتابة إليك إلا بعد عودتى من السلوم والبردية ظهر اليوم.

وقد تحركت بالأمس فى الساعة الخامسة صباحًا وتابعت التحرك فى "الماموث" عبر الصحراء مستخدمًا الطريق الرئيسى والمدقات أحيانًا (وهى عبارة عن طرق رملية أتلفها المرور المستمر للدبابات، وهى ترهق العربات للغاية).

وقد عدت من الجبهة وأنا مغتبط للغاية، فالقيادات هناك جيدة ولدينا قوات جديدة مستعدة لصد هجمات العدو فى الحال. وأنشأنا أثناء الليل معسكرًا للمبيت فى الصحراء واشترك ياورى بنفسه فى نوبات الحراسة (ولكن بدون علمى) ولهذا يجب أن تطمئنى على حسن حراستى.

وفى المسـاء يوم 26 مـايو تحـركت فى مـواجـهـة نقب الحلفـاية ثلاث مجموعات اقتحام وبدأنا الهجوم فى صباح يوم 27مايو وتمكنا في وقت قصير من طرد الإنجليز منه وفروا مذعورين نحـو الشرق تاركين وراءهم غنائم كثيرة وعتادًا حربيًا من كل الأنواع، أما خسائرنا فكانت قليلة نسبيًا .

يعلق ليدل هارت فيقول:

"وقد أثـر استرجـاع الألمان لنقب الحلفـاية تأثيرًا خطيـرًا على الهـجوم البريطانى عند وقوعه فى منتصف يونية" .

رومل يستخدم نظرية السيف والدرع:

ويتابع رومل مذكراته فيقول:

وفى الفترة التالية لهذه العمليات قمنا بمجـهودات صخمة لتدعيم جبهتنا فى منطقة السلوم/ الحلفاية/البردية، وأخذنـا ننشئ التحصينات فى منطقة ممر الحلفاية بأقـصى سرعة ومـجهود، وأقـمنا عدة نقط قـوية على طول الحدود المصرية. وأثناء تفتيشى على منطقة الدفاع فى البـردية وجدت كميات ضخمة من العتاد المتروك فى المواقع (وقد تركها جيش جرازيانى أثناء انسحابه)، وكان هذا العتـاد فى حالة جيدة للغـاية وجاهز ومعد للاسـتعمال وعليـه فأصدرت تعليمـاتى على الفور بجمع كل المدافع الإيطالية المهـجورة، واستخـدامها فى تقوية الجبهة فى منطقة السلوم/الحلفاية/ سيدى عمر.

وقامت إحـدى ورشنا الألمانية بتـجهـيز عـدد كبيـر من هذه المدافع ثم وضعناها فى دشم ولكن القـيادة العليا الإيطاليـة لم توافق على الإطلاق على ذلك وأخطرنى الجنرال جاريبولدى (عن طريق ضابط الاتصال) أن هذه المدافع تملكها إيطاليا وعليه فـيصير استخدامها بواسطة الإيطالـيين فقط. وكانوا حتى

هذا الحين لم يحاولوا عمل أى شىء بالنسبة لهذه المدافع التى تركوها للصدأ والدمار. ولكن بمجرد قيامنا بإصلاح أول مدفع وتجهيزه للعمل بدأوا فى الانتباه، ولكننى قررت عدم التخلى عن غنيمتى.

وأظهرت وحداتنا مهارة فائقة فى تجهيز مواقع المدافع 88مم للعمل ضد الدبابات فى منطقة الحلفاية وعلى التبة 208 بحيث عندما تكون مواسير المدافع فى الوضع الأفقى لا يمكن رؤية أى شىء فوق سطح الأرض. وكنت آمل أن أحقق الكثير من هذا التجهيز.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

"وهذا يبين بوضوح أن الألمان كانوا على علم تام بكيفية استغلال الإمكانيات الهجومية للحرب المدرعة (التى كثر الجدل حولها) علاوة على إدراكهم أيضًا بنظرية العمل الدفاعى ضدها وقد كان رومل أول قائد للمدرعات يقوم ببيان "عملى" على طريقة استخدام نظرية "السيف والدرع" وأثبت بذلك قيمة أسلوب "الدفاع الهجومى" فى الحرب الميكانيكية التى تتميز بخفة الحركة وساعد على فاعلية ضرباته الهجومية، الأسلوب الماهر الذى نصب به فخاخًا دفاعية لهجمات أعدائه بحيث يثلم حد سيفهم على سطح درعه[1]".

(1) المقصود هنا أن رومل كان يحتل موقعا دفاعيا ثم يجبر عدوه لمهاجمته فيه لأى سبب من الأسباب كان يخلق منه نقطة إستراتيجية أو محورا لعملياته أو أى سبب يغرى العدو بمهاجمة المواقع هناك ثم يتصيد مدرعاته بستارة قوية من مدافعه المضادة للدبابات من عيار 88مم (مقطورة وذاتية) ثم يجهز على البقية الباقية من مدرعات العدو بهجوم مضاد بدباباته البانزر.

ويتابع رومل مذكراته فيقول:

كانت أهم مشاكلى فى ذلك الوقت فى كيفية تموين قواتى فى منطقة السلوم/ الحلفاية/ البردية. لأن الإنجليز أغلقوا الطريق الرئيسى عند طبرق، لذلك كان التموين ينقل بواسطة القوافل عبر الصحراء المفتوحة جنوبى الحصن المحاصر وكان هذا ينطبق على جميع قواتنا شرقى جمبوت.

وأصبحت المدقات التى أنشأتها قواتنا غير صالحة من كثرة مرور السيارات الثقيلة فوقها وأصبح المرور عليها فى حكم المستحيل. وغرزت السيارات الصغيرة فى أماكن كثيرة بل وحتى اللوارى الكبيرة كانت تلاقى صعوبات جمة فى عبورها.

وكان يعتبر فى ذلك الوقت مرور أى قول حول طبرق مجهودًا يستحق الشكر. وطالبت وحثت السلطات الإيطالية العليا لإنشاء وصلة فرعية للطريق الرئيسى ولكننى فى هذا الحين لم أنجح فى تحقيق هذا الغرض.

وكانوا يدركون تمامًا أهمية هذا الطريق، ولكنهم لم يحاولوا تنفيذه.

وقد زاد من المشكلة استمرار السفن الإيطالية فى تفريغ أغلب إمدادتنا فى طرابلس وعدم استخدامهم لبنى غازى إلا نادرًا وكانت طرابلس تبعد أكثر من ألف ميل عن الجبهة فإذا ما حسبنا أنه يجب نقل ألف وخمسمائة طن من الإمدادات من الماء والتعيينات إلى الجبهة يوميًا (وهذا ينطبق على الحالات العادية والظروف الهادئة) فمن السهل بعد ذلك أن نستنتج أن حملاتنا لن تستطيع تغطية هذه المسافات الشاسعة لمدة طويلة. ولكن بما أنه لا يوجد لنا أى سلطة على المسئولين عن عمليات الشحن والتفريغ فى البحر الأبيض فلم يكن فى مقدورنا أن نفعل شيء لتلافى هذه المشكلة.

القوات الإيطالية والعرب:

وبعد هزيمة جرازياني ضاعت هيبة إيطاليا فى المنطقة وبدأ عدد من القبائل العربية في التمرد، وساعد على انتشار هذه الروح، الأسلوب الوقح الذى كان يتبعه أفراد الجيش الإيطالى مع نساء العرب وهو شيء ينفر منه الرجل العربى للغاية، فاضطررت إلى إرسال تقرير عاجل للقيادة الإيطالية العليا أطلب فيه معاملة العرب بالاحترام اللازم حتى لا نتعرض لثورة بالقرب من مؤخرتنا.

وفى هذا الحين حدث أن ضباط وجنود فرقة "تريتنتو" عاملوا العرب بطريقة همجية فأدى هذا أن قتل العرب عددًا من الجنود الإيطاليين أثناء إبعادهم بالقوة عن قراهم. وكان يتبع على الدوام أن يطلب مسئولون بعمليات تأديب بعد مثل هذه الحوادث ولو لمجرد إثبات الوجود، ولكن مثل هذا التصرف غير مقبول ولا عملى، والإجراء السليم فى هذا الموقف تجاهل الحوادث الفردية ما لم يتم العثور على الفاعل الأصلى بالذات.

وكنت قلقًا للغاية بسبب الموقف الاستراتيجى الصعب الناجم عن واجبنا المزدوج فى المحافظة على حصار طبرق، وفى نفس الوقت الاستعداد لمواجهة الهجوم البريطانى الرئيسى الذى سيتم من قواعدهم فى مصر، إلا أننا كنا على استعداد لبذل أى مجهود لطرد الإنجليز من طبرق. وكنا نأمل بعد الاستيلاء على كريت أن يتمكن السلاح الجوى الألمانى من تهديد خطوط المواصلات البحرية الإنجليزية مع طبرق بحيث يضطروا إلى سحب حمايتهم منها، ولكن التشكيلات الجوية التى سحبت من العمليات فى اليونان وكريت لم ترسل إلى الصحراء العربية.

وطالبت بإرسال غواصات ألمانية وزوارق طوربيد لتعمل كسلاح إضافى ضد المواصلات البحرية الإنجليزية إلى طبرق لأن البحرية الإيطالية لم تستطع تحقيق هذا الغرض فغواصاتهم (التى كانت تعد من أكبر الأساطيل عددًا فى العالم قبل الحرب مباشرة) كانت مليئة بالعيوب الفنية لدرجة لا يمكن استخدامها فى القتال فى البحر الأبيض المتوسط. أما زوارق الطوربيد الإيطالية (بالرغم من توفر قاعدة ممتازة لها فى البردية) فلم تكن فى حالة تسمح لها بالخروج للعمليات.

وفجأة وصل الجنرال جاوزى قادمًا من القيادة العليا للقوات المسلحة الألمانية ومعه هيئة كبيرة من الأركانات حرب وذلك لاستطلاع هل من الممكن استخدام قوات أكبر فى الصحراء العربية للهجوم على مصر؟؟ وعمل التحضيرات اللازمة لاستقبالها. وقد تلقى الجنرال جاوزى أوامر صريحة بعدم العمل تحت قيادتى ولكن عندما قلت له بلهجة لا تقبل الجدل بأن قيادة كل القوات فى الصحراء العربية محصورة فى شخصى قبل.

وتنتج عن مؤتمرات جاوزى مع السلطات الإيطالية أن خرج بفكرة واضحة أنه من الصعب إقناعهم بقبول إرسال قوات ألمانية أكبر إلى الصحراء العربية لأنهم يخشون تفوق القوات الألمانية عليهم فى هذا المسرح فتنتزع منهم امتيازاتهم بالكامل فى الصحراء العربية[1].

كتب رومل لزوجته لوسى:

عزيزتى الغالية لو 26/ 5/ 1941

تلقيت مساء الأمس صدمة قاسية من "براوختش" لأسباب أجهلها تمامًا. ويظهر أن تقاريرى التى أرسلتها إلى القيادة وشرحت فيها الموقف على

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 87.

حقيقته ولم تتناسب أذواقهم وهم يريدون أن تبقى أفواهنا مغلقة وأن نكتفى بإرسال تقارير موجزة جدًا، وليس لنا إلا أن نعزى أنفسنا بشرب قدر كبير من البيرة البافارية، وفيما عدا ذ لك، فقد أصبح كل شيء هادئًا هنا على الجبهة القريبة من "السلوم" ولا أعرف ما إذا كان هذا الهدوء هو الصمت الذى قد يسبق هبوب عواصف جديدة.

لقد كان الجنرال ريتشى خلف حقول الألغام أمام موقعه فى شرق ليبيا فى جبهة عرضها 70 كم بفرقتين ولواءين. أما بقية قواته فقد وزعت بين طبرق والمنحصر المنعزل فى بير حكيم واحتياط مؤلف من فرقتين مدرعتين هما فرقة رقم "1" وفرقة رقم "7" وفرقة هندية، وكان لدى «رومل» فرقة مدرعة وفرقة خفيفة ألمانية، ولم يكن عدم تكافؤ قوات الطرفين كبيرًا جدًا، فقد كان لدى البريطانيين دبابات أكثر، لكن تسليحهم المضاد للدبابات كان أقل عددًا وقوة، فقد كان باستطاعة المدفع الألمانى عيار 88 تدمير دبابة على مسافة أكبر من 1.000 متر، وكان "ريتشى" يتوقع هجومًا جبهويًا، وهذا هو فى الواقع ما أوحى به إليه «رومل» عندما قدم قواته فى مايو فى الساعة 14 فكان ذلك عملاً ناجحًا فى مجال التشتيت والتضليل(1).

حدد رومل موعدًا للهجوم على ممر حلفايا يومى 26 و27 مايو 1941، وفى السادس والعشرين من شهر مايو أصدر أوامره لمجموعة القتال "هيرف" باحتلال الممر، فدارت رحى الحرب الطاحنة فى هذه الوديان، وقد يبدو تنفيذ هذا الأمر بسيطًا جدًا ولكن عند التحقيق بالغ الصعوبة. وبناء عليه تقدم الفوج الثامن المدرع بقيادة المقدم "كرامر" من السلوم جنوبًا خلال الصحراء ثم انحرف نحو الشمال مهاجمًا القوات البريطانية المدافعة عن الممر من الخلف،

(1) أميل دنتسى - المرجع السابق ص 174.

واشتـركت معه فى الهجـوم مدفعـية الفوج المدرع الثـالث والثلاثين، وتولت الكتيبة الأولى من فـوج المدفعية 194 الهجوم عـلى الممر مواجهة سـيرًا على الأقدام. بيـنما قام الفـوج المدرع الخامس انطـلاقًا من المنطقـة الواقعـة غربى "كابوتزو" بهجوم مخادع من الجنوب الشرقى غايته إلهاء البريطانيين عن الممر وعاونـته فى هذا الهـجم بطارية مدفـعيـة وخمـسة مـدافع من عيـار 88ملم ووحدات من المدفعية الإيطاليـة. تلك كانت الخطة على الخريطة، وهكذا فقد الجنود الأوامر، ولكن المعـركة لشق الطريق من السلوم إلى المرتفعـات المحيطة بممر حلفاية لم تكن بمثل هذه السهولة، فالكتيبة الأولى من فوج المدفعية 104 التى كانت قـد فقدت قـائدها فى اليوم التالى لخـدمتهـا أثناء معركـة طبرق، وجدت على رأسها النقيب "باخ" الذى كان قائدًا لإحدى السرايا، وكان هذا فى الحياة المدنيـة قسيسًا وراعيًـا لكنيسة إنجيلية فى فانهـايم، ثم أصبح ضابطًا احتياطيًـا ولذلك كان صفوف الضباط يدعونه "القـسيس"، أما الجنود فكانوا يطلقون عليه اسم "الشيطان المراوغ" وعندما قدم الملازم "شميدت" نفسه إلى القائد الجـديد دهش أشد الدهشة للطفل البـالغ لأن مظهره لم يكن يدل على أنه رجل عسكرى صـارم ولم يكن يبدو بهيـئة ضابط كـما يتصـور الإنسان، وكان فى الخـمسين مـن العمر بادئ البـساطة والاتزان ويزيد طوله على سـتة أقـدام، ويرتدى سـروالاً طويلاً من غـير سـتـرة وعندمـا دخل عليـه الملازم "شميدت" فى الكوخ الذى يشغله وتقـسمه بطاطين عسـكرية عتيقة مستخدمة كحجاب، حياه برأسه وهو يحمل بيده اليسرى سيكارًا وشارات الرتب مستقرة براحة على كتفيه الواسعتين.

قبل أن يقدم الملازم نفسه قال له النقيب "باخ" بلطف: حسنًا ياصديقى لقد تمكنت إذن من الوصول إلى هنا سالمًا! هل لك فى تدخين سيكار ممتاز؟

"فأجابه الملازم شكرًا سيدى النقيب. السيكار يجعلنى أشعر بالغثيان، وأنا لا أدخن إلا السجائر" فرد النقيب: "السيكار أفضل من الناحية الصحية، لكن إن كنت تفضل السجائر فخذ واحدة منها". ثم أضاف: "أتمنى أن تستمتع معنا هنا بالراحة والهناء" وكان النقيب يتحدث بلهجة أبناء بادن وينفخ سيكاره فتبدو عليه علامات الرجل المستمتع بالتدخين ودلائل رجل رصين مالك زمام نفسه ومن أسرة عريقة ولم يسبق للملازم شمدت أن سمع قائدًا يدعوه كما دعا النقيب "باخ" إلى الاستمتاع بحياته العسكرية وخاصة فى إبان الحرب وفى ممر حلفاية بالذات! وقد أعجب البريطانيون أنفسهم بهذا القائد الجديد القسيس كما أحسَّ جنوده حبًا حقيقيًا إذ كان مثلاً رائعًا للفضائل العسكرية فى الحرب الليبية - المصرية ولم يسمح لنفسه بأن يعطى أمرًا لم يكن هو على استعداد لتنفيذه وبالرغم من أنه وقع أسيرًا فى أيدى البريطانيين أخيرًا إلا أن هؤلاء استمروا يذكرون شمائله العسكرية وقد سمته الصحافة البريطانية "بطل ممر حلفاية" أو "قسيس نار الجحيم.

أخذ مدفع بريطانى من عيار 75 ملم يطلق نيرانه فترات متقطعة على السرية التى اتخذت مواقعها الدفاعية فى دارى "قلالة" وسط حرارة بلغت فى الظل 130 درجة فهرنهايت، ولم يكن أحد يعرف من أين تنطلق نيران العدو ولا كان أحد يجرؤ على الزحف فى الوادى إذ لا يكاد يرفع رأسه حتى تنهال عليه الطلقات من كل جانب إلا أن النقيب "باخ" وجد من الضرورى إسكات هذه المدفعية بعد أن عجز قائد جماعة اللاسلكى العريف "جنج" عن اكتشاف مكانها، فطلب الين القائد "باخ" أن يذهب إلى الخلف ويحضر المدفع عيار 3.7 سم المضاد للدبابات ليضعوه على جناحهم ويقذفوا به البريطانيين. ولكن هذا المدفع لم يؤد الغاية المطلوبة منه لأن نيرانه كانت غير

محكمـة على وجه الإطلاق رغم كل العناء والجهد والعـرق التى بذلها الجنود لأحضـاره فى هذا الجو الحر وتثبـيته فى المكان المناسب، فـأمرهم "باخ" بأن يتركوه لأنهم يسـرفون فى الذخيرة دون فائدة ثم خـرج هو بنفسه من الوادى ونظارته المكبرة فـوق عينيه ولما قذفه البـريطانيون بالنيران سارع إلى الاختـباء وراء ساتر فى حـافة الوادى وتمكن من تحـديد موقع المدفع البـريطانى وأرسل ينبئ جنوده بهـذا الموقع فتـصايح هؤلاء بإعـجاب: "أرأيتم ماذا فـعل الرجل العجوز؟ ". ثم أحنوا رؤوسهم، ولما شـاهدوا "باخ" يرفع رأسه شرعوا هم فى الهجوم، وكـان هذا الهجوم هو الفاصل فى اقـتحام ممر حلفاية واسـتيلاء الألمان عليه.

فقد كان يواجـههم فوج من أفضل الأفواج البريطانيـة هو الفوج الثالث "من حرس الـغولدكريـن "الذى حاول رجالـه طوال الليل مقـاومة الهـجوم الألمانى وبلغ الالتحام أشده إذ كانت الشمس تشرق فى الأفق بلون الدم، وقد هجم الوفج 104 الهجوم التقليدى بالبنادق المثبتة عليها السلكات، وساد الذعر الجميع إذ تعالت الصيحات الضارية، بينما قامت السرية الثالثة من فوج المشاة المحملة الخـامســة عشر بـالهجوم من المنـحدرات على الجناح الآخر تـساندها الدبابات والمدفعـية المضادة التى تصب نيـرانها اللاهبة علـى ممر حلفاية وعلى الطريق الساحلـى حتى اضطرت الحامـية البريطانيـة إلى التراجع وتم استـيلاء الألمان على الممر واسـتلقى الجنود المنتصرون منهكين على الرمال لـيناموا بعد ذلك الصراع الدامى فكانت صيحات الجرحى توقظهم فترة بعد فترة، واشترك الجميع مع حـملة النقالات فى حمل الجرحى ودفن القتلى، وقـد تعذر إنجاز عملية الدفن قبل مرور ساعات حتى تم حفر القبور فى التربة الصخرية، وقام الجميع بمهمـة تبدو يسيرة ولكنها شديدة الوطأة على القلب هى مـسهمة الصلاة

الأخيرة على أرواح الموتى، وأقيم لكل جندى قتيل حصن صغير من الحجارة يحمى جدثه من هجوم الضباع، أما الذين نجوا من الموت فقد عادوا هم أيضًا ليدفنوا أنفسهم تحت الأرض فى الحفر والخنادق التى أقاموها استعدادًا للمعركة المقبلة التى كانت خططها قد وضعت فى لندن قبل خمسة أسابيع[1].

وكان هناك كتلة مؤلفة من مجموعة دبابات انحرفت فى 26مايو 1941 فى الليل عن اتجاهها الصحيح، وبلغت عند الفجر نقطة تقع على بعد 15كم جنوب شرقى "بيرجكم"، ومن هناك انتصبت باتجاه الشمال والتفت بهذا الشكل على حقل الألغام، وكان من الضرورى أن تكون المفاجأة تامة، ولكن المدرعات الألمانية غير المدعومة بمدفعيتها فقدت الاتصال فيما بينها وشنت أركان رومل، قامت الوحدات الاحتياطية البريطانية بالهجوم المضاد وتشبثت الكتائب الأربع التابعة لفرنسا الحرة والمتمركزة فى بيرجكم بالأرض وفقد رومل بعض الوقت للإشراف على إدارة العملية وليس هناك شىء أفضل من هذا يظهر سيولة المعركة الصحراوية وصعوبة استعادة السلك الناقل فيها، وبانعدام كل نقطة دالة وكل ارتباط كانت المعركة بأمس الحاجة إلى النشاط المعجز لقائد من أمثال رومل ليرى الوضع بوضوح فى فجر يوم 29 مايو ويعيد جمع القسم الأكبر من الفيلق الأفريقى، وصمدت بيرجكم التى هوجمت من كل الجهات خلال عشرة أيام بقيادة الجنرال الفرنسى "كوينغ" وبفضل استخدام رائع للحفر الفردية والمدافع الرشاشات وللمدفع المضاد للدبابات والألغام، وصمدت بيرجكيم رغم الهجمات المتواصلة للطيران الألمانى، وكانت بيرجكم قاتلت بشجاعة كما قاتلوا البريطانيون بعناد أيضًا فى كل الأمكنة الأخرى وبددوا حلم الأيام الأربعة التى توقعها رومل لحسم المعركة،

(1) بول كارل – المرجع السابق ص 43.

ولم يتم إخلاء بيرجكم إلا فى بداية يونيـة ولـم تترك سوى خمسمـائة أسير، فقد حد الانتشار والاختفاء أكثر من 1.200 موضع قتال من الخسائر فاقتصرت على 76 قتيلاً أثناء الحـصار بالإضافة إلى 41 قتيلاً سـقطوا خلال الانسحاب النهـائى، فنشط رومل العـمليـات العـسكرية عندئذ دناور عـلى خطوط المواصلات بين القـسم الأكبر من القـوات البريطانية والنطاق الدفـاعى لطبرق وتحدى فرقتين وطوق وحدات أخرى نجحت رغم هذا بالتخلص[1].

حاول رومل بعد حصار طبرق منع وصول مواد الأدامة إليها من بريطانيا عن طريق البحر واستمر على الدفاع إزاء محـاولات بريطانيا لاجتياح مواضعه الدفاعية عبر ممر حلفـاية وإلى السلوم بينما واصلت قوات رومل الضغط على ميناء طبرق المحاصر. كما شهد رومل هجمات عديدة على طبرق خرقت فيها قواته الـدفاعات الغـربية للمنطـقة المحصـورة إلا أنها تأثرت بالسـدود النارية الكثيـفة المنصبة من منـطقة الميناء والتى اشتدت الهـجمات المقـابلة التى شنها الأستراليون. عندئذ طالب رومل قيادة القوات المسلحة الألمانية بتخصيص أربع فرق مـدرعة أخرى للاندفـاع إلى قناة السويس فلم يلق منهـا استجـابة لأنها كانت تستعد للهجوم على الاتحاد السوفيتى.

كتب رومل رسالة يوم 29/ 5/ 1941 إلى زوجته

عزيزتى الغالية لو:

سيحمل رسالتى هذه إليك غداً صـباحًا رئيس هيئة أركان - "فون ديم بورن" - ولهـذا فإنى آمل أن تـصلك بأسرع مما تصـلك رسائلى الأخـرى - تلقيت تهنئـة من الدرجة الأولى من القـيادة العليا وهى تشكر كل مـا أنجزناه حتى الآن وهى تهنئة فى غير محلها من وجهة نظرى، وأعتزم ألا أترك الأمور

(1) إميل دنتسى - المرجع السابق ص 175.

على مـا هى عليه فـقـد أرسلت رسالة إلى "فـون براوخـتش" بهذا الصـدد وأريدك أن تعرفى أن صحتى جيدة جـدًا، فلتطمئنى، كما شهد الموقف بعض التحسن، ولكن الحرارة باتت هنا غير محتلمة ومن الأفضل تجنب الخروج فى ساعات القيظ أثناء النهار.

وأتبع روملى برسالة أخرى يوم 2 يونية 1941:

وصلت درجة الحـرارة بالأمس إلى 42 درجـة، فى حين بلغت درجـة الحرارة فى الدبابات المتوقفة فى الشمس حتى 46 درجة وهى تحرق أصابع من يلمسها، علاقتى بالقيادة العليـا على حالها، فإما أنهم يثقون بى، أو أنهم لا يثقون. وفى الحالة الثـانية، فإنى سأطلب إليهم استـخلاص النتائج، وأتلهف لمعرفة ما سيؤول إليه الأمر فقد يكون من السهل جدًا وضع النظريات الجميلة، عندما لا يكون الإنسان معرضًا للغـرق، على نحو ما نحن فيه. وقد رجع - "بورن" - (رئيس هيئة أركـان روملى) وهو يحمل معه بعض الأخبـار الطيبة أنهم غاضبون منى فى القيـادة الإيطالية العليا لأن تقاريرى قد وصلت بدورها إلى القيادة الألمانية العليا، وهذا خطأ مـلحقنا العسكرى فى روما الذى تصرف بحسب القـواعد المحددة لـعمله. وإنى لم أتسلم حتـى الآن ردًا على رسالتى من "فون براوختش".

المسألة السورية 1941/6/8.

كانت المسألة السورية أحد أكثـر المظاهر مأساوية فى هذه الحرب المعقدة التى دارت فى حوض البـحر المتوسط، وكانت دعـاية فرنسا الحرة فيـها قليلة الفاعلية، وكان العنف هو العـمل الوحيد الذى يمكن أن يوطد الموقف ويقره فى اتجاه ملائم للسياسـة الإستراتيجية البريطانية فـيها، ولكن بريطانيا لم تكن

تملك الوسائل الضرورية للقيام بهذا العمل، ففى مارس 1941 كان البريطانيون قد خسروا "برقة" فى ليبيا، وكانوا يعدون العدة للعمليـة فى اليونان، ولم يكن القائد العام "ويفل" مضطرًا إلى الاهتمام بالمسائل العسكرية فحسب، بل كان مضطرًا أيضًا إلى الاهتمام بانعكاساتها السياسية. والدبلوماسية أكثر من أى مكان آخر فى العالم، وكذلك كان عليه أن يهتم أيضًا بالتعامل مع زعيم فرنسا الحرة المشاكس، وكان لدى الجنرال الفرنسى دانتز فى سوريا 25.000 جندى نظامى. 20.000 جندى عربى من بلاد الشام و100 دبابة، وهذه القوة لا يمكن الاستهانة بها، فى حين أرسلت المجموعة البريطانية الوحيدة الجاهزة فى مطلع مايو إلى العراق للقضاء على التمرد فيه. وكان "ويفل" يستبعد الشروع بعمل عسكرى بوسائل غير كافية وباستناد إلى معلومات "فرنسية" غير موثوقة، ورغم هذا نظم "ويفل" بناء على إلحاح من الحكومة البريطانية قوة مختلطة مؤلفة من لواءين أستراليين و2 كتيبة خيالة ولواء هندى و6 كتائب من قوات فرنسا الحرة مع بعض الدبابات و3 أسراب من القوة الجوية الملكية البريطانية.

بدأت العملية فى الشام "سوريا" بتاريخ 8 يونية 1941 بعد 15 يومًا من الإخفاق والفشل العسكرى فى ليبيا، وبعد ثمانية أيام من نهاية الثورة العراقية والانسحاب من "كريت" وقبل ثمانية أيام من القيام بهجوم جديد كبير فى ليبيا معركة "البلطة" - "باتل آكسى". وكانت المجازفة ضرورية لأن الحكومة البريطانية تعلن أهمية أساسية على الشام فى الفترة التى كان فيها هتلر عازفًا عن التدخل فيها لأنه مستغرق تمامًا فى عملية "باربروسا"، وامتدت الحملة خمسة أسابيع وكانت شاقة ومتعبة بسبب طابع الاقتتال بين الإخوة من الفرنسيين الأحرار والفرنسيين الفيشيين، وخسر البريطانيون فيها 3.300 رجل، كما خسرت فرنسا الحرة 1.300، وخسر الفرنسيون الفيشيون 26.000 بينهم

1.000 قتيـل وخسر سلاح الطيـران الملكى البريطانى 27 طائرة ولم تكن هذه المعركة ما اصطلح على تسميته "بمعركة مشرفة" ووقعت اتفاقية الهدنة بتاريخ 11 يولية، وقبل 15٪ تقريبًا من المدافعين عن الشام الانضمام إلى قوات فرنسا الحرة[1].

خط بيانى متعرج بين رومل وويفل:

يقول اللواء إدموندز يونغ:

الآن وقد صحـبنا رومل فى شمال أفريقـيا أكثر من سنتـين. أصبح من السهل علينا أن نتـتبع الخط البيانى، الذى يبـين مدى ما أحرزه خـلالهما من نجاح.

وسنرى ارتفاعـًا كبيرًا واضـحًا فى هذا الخط البيانى وذلك حـين أحرز روميل أولى انتـصاراته فى نيسـان سنة 1942. ثم يعقب هذا الارتفـاع هبوطًا ضئيلاً، حـين لم يواته التوفيق فى الاستيـلاء على طبرق فى اليوم الأول من آيار، وبعد الهـزائم التى منى بها أمام الهجـمات اليسيرة التى قـام بها الجنرال ويفل فى منتصف كل مـن آيار وحزيران. تأتى بعد ذلك سلسلة من الهـبوط والصعود الســريعين، كتلك التى يرسمـها جهاز تسجـيل الزلازل، عند نهاية شهر نوفمبر وبداية ديسمبر، ثم يعقب هذه السلسلة هبوطًا كبيرًا، حينما انهزم روميل هزيمة سافـرة أمام الجنرالين أوكلنلك وريتشى، وارتد على عقـبيه إلى حدود برقة. وأخيرًا نعود فنرى فى ذلك الخط البيانى صعودًا كبيرًا آخر، حين قام روميل بهجمات مضادة سريعـة موفقة فى كانون الثانى وشباط سنة 1943، فارتد البريطانيون إلى غزالة واستعاد روميل ثلث الطريق الذى كان قد بلغه فى نيسان السابق!

---

(1) إميل دنتسى - المرجع السابق ص 143.

وفى نهاية شهر مايو، نرى فى الخط البيانى هبوطًا استمر بضعة أيام، وكان من الممكن أن يؤدى إلى كارثة ثم نرى أعظم صعودًا فى ذلك الخط عقب الانتصارات المثالية التى أحرزها رومل فى مدى شهر، فاجتاز طبرق والحدود المصرية، ومضى حتى بلغ العلمين وأبواب الإسكندرية، بعد سقوط مرسى مطروح والضبعة!.

ومن هذه القمة التى اعتلاها رومل بدأ بعد أن أوقف الجنرال أوكنلك تقدم الألمان يتوالى انحداره فى بطء لا يكاد يشعر به، وإن كان نذير سوء ثم ازداد الانحدار بانتصارات الجنرال مونتغمرى فى الحلفاية فى أغسطس، وفى العلمين فى أوائل تشرين الثانى وظل الخط البيانى يسجل استمرار ذلك الانحدار لرومل إلى أن بلغ به نهاية الهاوية، حين ألقت البقية الباقية من جنود الفيلق الأفريقى سلاحها فى تونس فى الثانى عشر من شهر ماي عام 1943، وكان رومل قد طار إلى ألمانيا قبل ذلك بشهرين، ليحاول أن يقنع هتلر بعمل شيء لإنقاذ حياة جنوده على الأقل ولكن محاولاته ذهبت مع الريح.

ولئن كان تتبع ذلك الخط البيانى لمعارك رومل فى الصحراء قد بدأ يسيرًا هينًا كما رأيناه فإن من العسير علينا حقًا أن نتتبع سير تلك المعارك نفسها، بل أننى لأعتقد أن ليس من المجدى ها هنا أن نصف هذه المعارك بالتفصيل مرة أخرى فهؤلاء الذين يريدون أن يعرفوا أين كان اللواء المدرع الرابع عند فجر السادس والعشرين من شهر تشرين الثانى عليهم أن يلتمسوا ذلك عند المؤرخين الرسميين، أو فى السجلات التاريخية للجيش أما الذين يريدون أن يروا صورة بارزة لتلك المعارك فخير لهم أن يقرأوا أو يعاودو قراءة كتاب "الثالوث الأفريقى" لمؤلفه "الان مورهد"، أو كتب بعض المراسلين الحربيين

الممتــازين الذين رافقوا القوات البــريطانية، وذلك لأنهم كانوا يكتــبون وصف تلك المعــارك تحت ضغط الحــوادث وفي وقت سرت فــيه إلى نفــوسهم روح الصحــراء. على أننى فى قصة رومل قــائد الفيلق الأفــريقى هذه، لا أجدنى بقادر على أن اطرح جانبًا ما دار من المعارك فى شــمال أفريقيا. فعلى القارئ أن يربط بين ميــدانى بنغازى وبين الأمــاكن الغربية التــى طرقها المتــحاربون، ومنها طريق الساحلية القــديمة وطريق الصحراء العتيقــة. كما أن على القارئ أن يعرف أن عليه أن يقطع جزءًا من تلك الطريق فى سيارة نقل ألمانية.

وأننى لأذكر هــنا بأنى قد أنبأت المــستر "الان مــورهد" بأننى أفكر فى تأليف هذا الكتــاب فاقترح أن اتــصل بفنان ألمانى اسمه "فــسلز" كان مرافــقًا لرومل فى الصحراء العربيــة، وكان من رأى الان مورهد" بأن اللوحات التى رسمها فسلز، بالألوان المائية للصحراء الغربية، هى أروع ما رأه.

وقبــل أن أهتدى إلى عنوان ذلك الفنان الألمانى ســافرت إلى ألمانيــا كى أمكث فى مــعسكر الاعــتقال العــاشر فى "إيزر لــوهن" بضعــة أيام، وأقوم بالبحث عن فسلز هناك.

وعند وصولى المعسكر المذكور، لقينى أحــد الأصدقاء القدماء ممن كانوا ضمن أسرى الحرب الذين وضــعناهم فى معسكر الاعتقال الــتاسع والعشرين فى إيطاليا، وقــد أنبأت هذا الرجل أننى أود اللقاء بفــنان ألمانى يدعى «فسلز» رافق رومل فى حــرب الصحراء فــأخبــرنى ذلك الرجل بأن فسلر يعــيش فى "ايزر لوهن" وفى عصــر اليوم نفســه لقيت الرجل، فوجــدته فنانًا ممتازًا، ذا أخلاق محــببة إلى النفس، ولما أخبرته بما أريد نصــحنى بمقابلة الجنرال "فون إيزبك" الذى كان قائدًا فى فترة من الفترات للفــرقة المدرعة الخامسةعشرة فى الصحراء والجنرال "فون رافنشتين" قائد الفرقة الحادية والعشرين، وقال الفنان

الألمانى: أنهما يسكنان بيتين متقاربين على مدى خمسمائة ياردة من البيت الذى كنت فيه.

ورغم أنى اشتركت فى حربين ضد الألمان فلم أكن أعرف الكثير عن الألمان، ومما لا شك فيه أننى لم أقابل ألمانيًا برتبة جنرال، اللهم إلا رومل، وقد كان لقائى بروميل رسميًا ولبضع ثوانى وأن كراهيتى لتلك الطبقة المسئولة إلى حد بعيد عن تلك السنوات المرهقة العقيمة العشر، لا تقل عن كراهية أكثر الناس لها، ولكننى بعدما لقيت الجنرالين السالفى الذكر وجدتهما مقبولين إلى حد غير قليل.

كان الجنرال "فون إيزبك": شيخًا تقدَّم به السن، ظاهره الهدوء، يعيش لوحده فى حجرة فى الطابق الأخير، وقد علق على حوائط حجرته لوحات لأجداده فى القرنين السابع عشر والثامن عشر، ولقد جرح فون إيزبك فى وجهه، من جراء إحدى شظايا قنبلة انفجرت بالقرب من طبرق عام 1941. وبعد أن التأم جرحه أرسل إلى الجبهة الروسية، وألقى القبض عليه حين حامت حوله الشبهة فى 20 يوليو عام 1944، ثم أودع معسكرات الاعتقال.

أما الجنرال "فون رافنشتين" فأنت إذا رأيته فى الطريق رأيت رجلاً أرستقراطيًا ولكنه من طراز مختلف أشد الاختلاف ورغم أنه اشترك فى الحربين الماضيتين، كان يبدو دون الخمسين من عمره، ولا يزال قادرًا على الاشتراك فى حرب ثالثة[1].

وقد أبلى الرجل فى الحربين بلاء حسنًا، وفى يونيو عام 1918، منح وسام الاستحقاق لشجاعته فى القتال بعد أن منح رومل ذلك الوسام بثمانية

(1) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السابق ص97.

عشـر شهراً وقد اعـتزل الرجل عمله العـسكرى بين الحربين، وأصبح رئيـسًا لإحدى وكـالات الأنباء فى دويسـبرغ ثم عـاد إلى الجيش برتبـة عميـد سنة 1939، وقاد وحدة مدرعة فى بولندا. وبعد أن حارب فى بلغاريا واليونان فى شهرى مـارس وأبريل عام 1941، انتقل إلى الصـحراء ليقود إحـدى الكتائب المدرعة فى الفرقـة الحادية والعشرين المدرعـة، ثم قام بقيادة هذه الفـرقة قبل معركة ممر الحلفاية والسلوم فى حزيران.

وكان الفون رافنشين هو الذى قاد الهجوم المشهور الذى قام به رومل فى يومى 24 و25 أكتوبر عام 1941، ولكنه ما لبث أن وجد نفـسه فجأة، وعلى غير إرادة منه، فى صـفوف الفرقة النيوزيلندية، وكـان ذلك فى فجر يوم 28 من ذلك الشـهر، وقد قـال لى: "لقد كـان ذلك شيـئًا مروعًـا، لأننى كنت أحمل مـعى خريطـة رئيس أركان الحـرب، وفيهـا كل ما أعـددنا من خطط واستعدادات، ولم تكن لدى فسحة من الوقت لتزييفها أو إتلافها، ولما أيقنت أنه ليس ثمة مخرج، اعتزمت أن أسمى نفسى العميد شميث، وكنت آمل ألا يفطن القوم إلـى ما أعلقه من إشـارات وأشرطة تدل على رتبتـى العسكرية، ولكنهم أخطأوا فظنونى الجنرال فرايبورغ ولعلك تعرف أننا معشر الألمان نذكر أسمـاءنا عندما تقدم أنفـسنا وهذا ما حدث تمامًـا، فقد ضـربت زوج حذائى ببعضـهما البعض، ثم انحنيت، وقبل أن أتمالك نفـسى قلت: فون رافنشين، جنرال!".

ولقـد بلغ فون رافنشـين كندا أخـيراً وفى طريقـه إليـها أعـد محـاولة للاستـيلاء على السفـينة التى كانت تقله. ولكن خطتـه اكتشـفت فى اللحظة الأخيرة من قـبل ضابط برتبة نقيب وبالرغم من أنه لم يـعد إلى ألمانيا إلا فى عام 1948، فهـو لا يشكو من شىء فقد عومل مـعاملة حسنة تمامًـا. وبعد

الحرب أعطيت له الحريـة الكاملة قال وهو يحدثنى بعد أول لقـائى معه: "لا نقص هناك فأنا ما زلت أستطيع تزويدك بسيكار من تبوغ هافانا إذ أننى مازلت أحتفظ ببضعة صنـاديق منها". فهو الآن يعيش فى دار بمدينة ايزر لوهن، فى جو من الراحـة والهدوء، وإن كانت تساكنه فى تلك الدار عـائلتان. وهو لا يزال يحتـفظ بقطع جيـدة من الأثاث، وصور أجـداده معلقـة على الجدران. وزوجته الكونتس البرتغالية أكثر إجـادة للإنجليزية والفرنسية منه. وقد عاد من جديد رئيسًا لوكالة الأنباء التى كان يعمل فيها قبل الحرب.

ولما كانت الفرقـة الهندية الرابعة قد قاست زمنًا عصيـبًا على يدى فون رافنشين عند سيدى عمر، قبل أن يقع فى الأسر، فقد اقترحت عليه أن أبعث له بصورة فوتوغرافية أخذناها أبان هجماته غير الموفقة علينا، لسبع من دباباته وقد اشتعلت فيها النيران!

ثم قابلت الجنرال فـريتس بايرلاين، عن طريق مكتب القـسم التاريخى الأمريكى فى فـرانكفورت، وقد وجدته، وهـو فى الخمسين من عـمره ممتلئ نشاطًا وحماسة وقد اشترك فى الحرب العظمى الأولى وهو فى السادسة عشرة من عمره جنديًـا عاديًا، وحارب ضد البريطانيـين، كما ساهم فى الهـجمات الألمانية حول كيـمل فى مارس عام 1918، واشترك فى المعـارك الفاصلة على السوم وحـول بابوم وكـمبارى فى الصـيف، وبعد أن وضـعت تلك الحرب أوزارها لم تكن لديه أية فكرة عن معاودة الاندراج فى سلك الجندية. . ولكنه لم يجد شيئًا يعـمله، فعاد إلى الجـيش عام 1921، ودخل إحدى الكليات الحربيـة من عام 1932 إلى عام 1935 ثم انتـقل بعد ذلك إلى إحـدى الفرق المدرعة.

ولعل فريتس باير لاين كان أكثر من رومل والجنرالين السابقين، اشتراكًا

فى حرب متصلة عنيفة فى الصحراء الغربية، فلقد جاء إلى أفريقيا من جيش غودريان المردع فى روسيا فى تشرين أول عام 1941، ولم يغادر الصحراء إلا فى مايو عام 1942 حينما جرح، ثم طار إلى ألمانيا قبل النهاية ولقد كانت تلك الشهور التسعة عشر ملأى بقتال مستمر. وظل فريتس باير لاين ضابطًا فى هيئة أركان حرب الفيلق الأفريقى حتى مايو 1942، حين جرح الجنرال غاسى فأصبح هو رئيسًا لهيئة أركان حرب رومل، وظل فى هذا المنصب حتى النهاية، اللهم إلا خلال الأسابيع الخمسة الأخيرة بعد أن وقع الجنرال فون توما فى العلمين، فاقتاد هو الفيلق الأفريقى أثناء تقهقره!.

ومن الواضح تمامًا أن يكون الجنرال باير لاين خير حجة فى شؤون المعارك الأفريقية. ففى المقر الأمريكى فى "أوبر أوزل" نشر أمامى الخريطة المعتادة للصحراء من أجدابية إلى العلمين. وذكر لى أن هذه هى المرة الأولى التى يسأل فيها عن أفريقيا، كما أنها المرة الأولى التى.يلتقى فيها بضابط بريطانى كان يحارب هناك. ولقد كان الجنرال باير لاين حجة أيضًا فى كل ما يتعلق بالمارشال رومل. ذلك أنه قبل أن يعيش معه خلال تلك الشهور فى الصحراء فى أماكن متقاربة، كان قد عرفه جيدًا فى مدرسة المشاة فى درسدن، من عام 1930 إلى عام 1933. ولقد قضينا يومًا طويلاً نتذاكر الصحراء، وإننى أعتذر عن حبى للجنرالات الألمان، فما ينبغى لى أن أفعل ذلك، ولكننى أحببت الجنرال باير لاين فى النهاية!. فمن هؤلاء القواد الثلاثة، ومن غيرهم، استقيت أخبارى عن الجانب الألمانى لسيرة رومل[1].

ذكرت من قبل أن الجنرال ويفل أو هيئة أركان حربه، قد أخطأ التقدير حين ارتأى أن رومل لن يتمكن من شن هجوم فى ربيع عام 1941، على هذه

---

(1) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السابق ص99.

الصورة الباكرة التى قام بها، وإذا كانت هيئة أركان حرب رومل قد أخطأت، فإن قلم المخابرات السرية البريطانية معذور ولا شك، إذ نحن علمنا أن رومل لم يفاجئ قلـم المخابرات فقط، بل فـاجأ حتى رؤسـاءه فى برلين. لأنه شنَّ هجومه فى 31 مارس، ولم تكن القـيادة العليا قـد طلبت إليه إلا فى 21 فى ذلك الشهر، أن يهئ خطة لإعادة الاستـيلاء على برقة وأن يعرض هذه الخطة للنظر فيها فى موعد لا يتجاوز العشرين من أبريل، لتكون خطة محكمة.

وكانت القـوات البريطانية العـاملة ترى أن رومل لن يذهب إلى ما وراء أجدابية، إلا إذا وصلت الفرقة المدرعة الخامسة عشرة. ولا بد أن يكون هالدر وهيئـة أركان حربه، قد أمـضوا أسبـوعًا أو أسبوعـين فى دراسة هذه الخطة، ناظرين إليها نظرة الناقد الذى يتسقط هفوات خصم له. ولكن الفرصة لم تتح لهم فقـبل أن تصل إليهـم الخطة بتسعـة أيام، تمكن رومل من غـزو برقة من جديد، مع استثناء طبرق، ثم بلغ الحدود المصرية.

لقد قام رومل بأكثر مما كان منتظراً أن يطلب إليه أو يحاول القيام به، لو أنه انتظر الإذن من برلين ولقد تجاهل رومل حتى هتلر. وفى الثالث من شهر أبريل أبرق إليه هتلر يـنصح له، بأن يكون حريصًا على ألا يقـوم بأى هجوم واسع النطاق قبل أن تصل إليه الفرقة الخامسة عشرة المدرعة. وكان عليه بصفة خاصة ألا يعرض جناحه للعدو حين يستدير مهاجمًا بنغازى.

وقد كـان ممكنًا أن يغفل رومل الشق الأخيـر من أمر هتلر آمنًا، وذلك لأن بنغازى كانت قد أخليت فى اليوم الذى وصلته فيه برقية هتلر.

أما الفـرقة الخـامسـة عشـرة المدرعة، فكانت قـد نزلت إلى طرابلس، ويمكن أن يقال أنها "قد وصلت".

وقـد قال لى ضـابط قـدير كان يـعمل مع قلم المخـابرات الســرية فى القـاهرة، "أن روميل لسـوء الحظ قد قـامـر وكسب. ولو أنه اتـبع القواعـد والأوامر الصادرة إليه، ما قام بمثل ذلك الهجوم وعلى هذا النحو من السرعة.

ولا شك أن مثل هذه اللهجة فى الحـديث عن روميل، مما يروق للعميد "هالدر" ولقـد كان أمـير اللواء وليـامز الذى صـار فيـما بعـد رئيسًـا لقلم المخابرات الخـاص بالجنرال مونتـغمرى، فـقائدًا لفيلق الحـرس التابع للفـرقة المدرعة الـثانية، يشـاطره فى هذا الرأى، إذ قـال: إننى أعتقـد أن روميل بدأ بتكتيكات سريعـة ثم وجد من اليسير عليه أن يستـولى على "العقيلة"، ذلك لأننى أتذكر هذا الأمر جـيدًا، لأننى كنت فى حصن العقيلة، عندمـا استولى روميل عليه، ثم بعـد ذلك قام بخطة استكشـافية انتهت إلى هجـوم موفق.. ومما لا شك فيه أن روميل ما كان من الممكن له أن يجـرؤ على مهاجمتنا بتلك السرعة التى قام بها".

وهكذا ظهر روميل لأول مـرة على مسرح الصـحراء فهذه الســرعة التى غزا بها برقة، كـان لها أثر قوى حتى فى نفوس الخبـراء العسكريين، بل كان لها أثر قـوى مؤلم فى نفـوس عامـة الناس الذين يقيـمون الانتـصارات على صفحات الخرائط، مع أن الأرض فى الصحراء لا تعنى إلا شيئًا تافهًا، ولكى يسهل عليـك فهم هذه المعارك، مـا عليك إلا أن تتصـور أنها معـارك بحرية وليـست برية. فـالعدو الذى تتـعطل دباباته، يـغيـر عليـه أسطول الدبابات المنتصرة، فيظل هذا الأسطول يجرى إلى أقصى ما يسمح له البترول بذلك.

أما الشىء الذى روعنا حقًـا فهو تلك السيادة الهـائلة التى نالها السلاح الجوى الألمانى ذلك لأنه من طراز رفيع وقد ظلت هذه الســيادة وذلك التفوق فى السلاح إلى أن وصلت للبريطانيين دبابات شيرمان قبيل معركة العلمين.

ولم تنل دبابات شيرمان تقدير القيادة العليا البريطانية، ولا الوزارة البريطانية التى كانت ترى العبرة بالكم لا بالكيف، ولقد أمسك روميل بزمام قوته الدقيقة بجرأة وبراعة فائقتين، ولو فى ذلك خبرة طويلة هائلة، فلقد اقتاد بنفسه فرقة مدرعة فى الحرب، وأسبوع فى القتال خير من ستة أشهر فى المناورات، وكان روميل يحارب جنودًا لا خبرة لهم ولا دراية، وقادة لم يروا مناورات على نطاق واسع، وذلك لنقص ما لدينا من الدبابات.

وفى كلمة واحدة، نستطيع أن نقول أن روميل كان يعرف من أمر مهمته أكثر مما نعرف نحن، وكذلك جنود دباباته!.

وفى منتصف آيار، وقبل أن تنزل إلى الشاطئ إمدادات أخرى من الدبابات الجديدة الآتية من إنجلترا، رأى الجنرال ويفل "أن أمامه فرصة سانحة وظروفًا مواتية لمهاجمة جنود العدو الذين تقدموا على الحدود المصرية بالقرب من السلوم" . فقام ويفل ببعض العمليات الصغيرة مستخدمًا دبابات كروزو وأخرى غيرها، "فاستولى على السلوم وكابوتزو. وفى اليوم التالى قام روميل بقواته وأرغم البريطانيين على الانسحاب. وفى يوم 27 مايو تقدم روميل فى ممر الحلفاية، وهو المكان الوحيد، إذا استثنينا السلوم، الذى تستطيع الدبابات أن تصعد فيه إلى تلك الهضبة التى يبلغ ارتفاعها 200قدم، وتمتد خمسين ميلاً إلى الجنوب الشرقى فى الصحراء الغربية.

وكان الجنرال ويفل ما يزال مُصرًا على إنقاذ برقة يضاف إلى ذلك أن لندن كانت "تستحثه أن يهاجم دون أدنى تأثير" وليس من الصعب أن تحدس، من الذى كان يستحثه فى لندن. وكان الجنرال ويفل حينئذ قد تلقى دبابات جديدة كافية ليزود بها الفرقة السابعة المدرعة، التى لم تشترك فى القتال كفرقة منذ الانتصار على غرازيانى، ولقد كانت هذه الفرقة تعانى النقص فى معداتها، بحيث إنها لم تكن تملك دبابات، ولا أجهزة للإرسال لتواصل تمريناتها وتدريباتها العسكرية. ولقد كان بعض هذه الدبابات الجديدة

من طراز لم يشاهد فى الشرق الأوسط، كما أن بعضها كان يعوزه الاختبار للتحقق من صلاحيته، وكان يجب أن تكون جميع هذه الدبابات مزودة بالأجهزة التى تحول دون نفاذ الرمال إلى داخلها، وكانت فى حاجة إلى تمويه لتخفيها من عيون الطائرات وكان جنودها غربيين بعضهم عن بعض، وكذلك كانت دباباتهم غريبة عنهم"[1].

الموقف البريطانى من رومل:

كانت ليلة من أحلك الليالى على المستر ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا فى قصره الريفى بقصر "تشيكرز" تلك التى تلقى فيها نبأ الهزيمة التى حلت بالجنرال وايفل فى برقة وكان الطقس رديئًا والمطر ينهمر فى الخارج ولم تنقص إلا فترة قصيرة على منتصف الليل، وبينما كان سكان بريطانيا يشعرون بشىء من الراحة وهم يزيحون ستائرهم السوداء لعدم توقعهم قيام الألمان بغارة جوية فى مثل هذا الجو العاصف، كان تشرشل يطالع البرقيات الواردة من القاهرة وهى فى فراشه مستندًا على الوسائد، وما أن أحاط علمًا بهزيمة البريطانيين فى الصحراء الغربية المصرية - الليبية حتى استغرق فى تفكير طويل فقد كان هدف تشرشل دائمًا - كما نص على ذلك فى مذكراته - إحراز نصر فى الصحراء العربية وتحطيم قوى رومل قبل أن تصل إليه القوى المدرعة بكامل قوتها، خصوصًا وأن عملاءه فى ألمانيا قد نقلوا إليه أن الفرقة المدرعة الخامسة عشرة أصبحت فى طريقها إلى ليبيا وقد كان على البريطانيين أن يعززوا قواتهم قبل وصول هذه الفرقة إلى رومل، لأن أى تأخر من جانبهم فى هذا التعزيز سيضعف إمكانية القيام بأى هجوم مفاجئ ضد القوات الألمانية، وقد أضحى ظاهرًا أن الفوز فى الحرب سيكون نصيب من يتمكن من الإسراع فى استحضار المزيد من القوات والمؤن، وكان ظاهرًا أيضًا أن الإمدادات البريطانية ستصل متأخرة؛ لأن البريطانيين كانوا ينقلونها من

(1) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السابق ص103.

طريق رأس الرجاء الصالح فالبحر الأحمر فقناة السويس فالإسكندرية، وذلك خوفًا من الغواصات والطائرات الألمانية فى البحر المتوسط.

لم يكن وايفل يعلم أن وحدات من الفرقة المدرعة الخامسة عشرة الألمانية قد وصلت فعلاً فى مارس وإبريل 1941 وأن وحدة الاستطلاع الثالثة والثلاثين وكتيبة المشاة المحملة الخامسة عشرة ووحدة المدرعات الثالثة والثلاثين قد اشتركت فعلاً فى القتال إلا أنه أبلغ تشرشل فى 20 إبريل أن الفوج المدرع الخامس الذى هو طليعة الفرقة الخامسة عشرة المدرعة قد جرى إنزاله فى طرابلس، وكان ويفل يخشى أن تصل الفرقة بمعداتها وهى تشمل 400 دبابة قبل نهاية الشهر إلى الخطوط الأمامية وفى هذه الحالة تكون النهاية لبريطانيا فى مصر إلا إذا وصلت الإمدادات إلى قواتها بسرعة فائقة، وإزاء هذا الموقف المثير للذعر اتخذ تشرشل قرارًا خطيرًا فأصدر أوامره فى 21 إبريل إلى قيادة الأسطول البريطانى بإرسال قافلة محملة بالدبابات الجديدة لا عن طريق رأس الرجاء الصالح بل عن طريق البحر المتوسط هذه المرة على أن يحرسها سلاح الجو الملكى. وعلى ذلك أبحرت خمس سفن تجارية كبرى بحراسة وحدات بحرية من الأسطول المعقود اللواء للأميرال "سمرفيل" وهى تقل 295 دبابة تغطيها 50 طائرة مقاتلة أقلعت نحو جبل طارق، وقد سميت هذه العملية بعملية النمر وهو اسم رمزى يتلاءم مع حمولة الموت التى تشير إلى الدبابات، واستبد بالمستر تشرشل بعد هذا القرار شعور بالرضى وفى اليوم التالى أبرق إلى "وايفل" مؤكدًا إيمانه بالنصر ويقول:

"إذ نجح النمر فى ساعة العمل والإقدام تكون قد دقت، ودقّ التعجيل بتحويل أسراب طائرات الهاريكان من مالطة إلى قيادتك فور مرور النمر بسلام ولا شك أن هؤلاء البرابرة - أى الألمان - سيكونون أقل خطرًا إذا فقدوا المبادرة كل فكرنا معك".

والواقع أن أفكار بريطانيا كانت مركزة كلهـا على مصر فهى تخشى أن تفقد قـاعدة الإستراتيجـية فى قناة السويس. وقد تمكنت القـافلة من آن تجتاز البـحـر المتوسط وتـبلغ الإسكندرية بسـلام دون أن تفـقد إلا باخـرة واحـدة اصطدمت بلغم وكـانت تحمل 57 دبابة و10 طائرات أما سـائر الدبابات التى وصلت إلى الإسكندرية فيـبلغ عددها 153 دبابة ثقيلة من طراز "ماتيلدة" - "2" ويبلغ وزن الواحدة منها 26.5 ط وسمك درعها 5.3 بوصة، و82 دبابة جديدة مـن طراز "مارك - 2 - " يبلغ وزن الواحـدة منها 14 طنًا ولا يزيد سمك درعها عن نصف بوصة وهى سريعة الحـركة وعليها مدفع من عيار 45 سم يضاف إلي ذلك 21 دبابة من طراز "مارك - 4" وهى دبابة خفيـفة يبلغ وزن الواحدة منها 5.5 أطنان وسمك درعها ثلاثة أرباع البوصـة وسرعتها 40 ميـلاً فى الساعة وقـد شعر تشرشل بالارتـياح الكامل عندما علم بأن عـملية النمر تكللت بالنجـاح ثم أخذ يتلقى البرقيـات من وايفل ففى 25 مايو أبرق "وايفل" إلى لندن يقول " - "أن النمر يحتاج إلى تنمية مخالبه" وهو يقصد أن تدريب الجنود على اسـتعـمال الدبابات بعـد تجمـيعهـا يحتـاج إلى بعض الوقت، وبعد ثلاثة أيام تلقى تشرشل برقية من "وايفل" يـنبئه فيها بأنه على استعداد للهجوم لفك الحـصار المضروب حول طبرق وطرد الفيلق الألمانى إلى ما وراءها، وقد أطلق تشرشل على هذه العـملية اسم عملية «باتل آكسى» أى عملية «البلطة»، وكان الهدف الرئيسى لهذه العملية تدمير قوات رومل المدرعة فى منطقة السلوم - البردية ثم احتلال ممر حلفـاية واستئناف المواصلات البرية مع طبرق، وكان المستر تشرشل على أتم اليقين من أن الدبابات البريطانية لابد أن تكسب المعركة لتفوقها على الدبابات الألمانية[1].

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 47.

وكان الجنرال ويفل ما يزال مصرًا على إنقاذ برقة، يضاف إلى ذلك أن لندن كانت "تستحثه أن يهاجم دون أدنى تأثير" وليس من الصعب آن تحدس من الذى كان يستحثه فى لندن وإن كان ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطانى وراء هذه العملية العسكرية شخصيًا، وكان الجنرال ويفل قد تلقى دبابات جديدة كافية ليزود بها الفرقة السابعة المدرعة، التى لم تشترك فى القتال كفرقة منذ الانتصار على غرازيانى ولقد كانت هذه الفرقة تعانى النقص فى معداتها بحيث إنها لم تكن تملك دبابات ولا أجهزة للإرسال لتواصل تمريناتها وتدريباتها العسكرية، ولقد كان بعض هذه الدبابات الجديدة من طراز لم يشاهد فى الشرق الأوسط كما أن بعضها كان يعوزه الاختبار للتحقق من صلاحيته، وكان يجب أن تكون جميع هذه الدبابات مزودة بالأجهزة التى تحول دون نفاذ الرمال إلى داخلها، وكانت فى حاجة إلى تمويه لتغطيها عن عيون الطائرات وكان جنودها غريبين بعضهم عن بعض وكذلك كانت دباباتهم غريبة عنهم لأنها كانت متطورة وآخر تقنية عسكرية فى تلك الفترة وكان يقدر عدد الدبابات الألمانية بحوالى مائة وخمسين دبابة متوسطة الحجم والخفيفة فقط غير أنه كان يعانى من النقص الشديد فى المحروقات - البترول ومن ضعف قواته العددى[1].

معركة باتل أكس "BATTLE AXE" البلطة (بلطة القتال):

ويعلق ليدل هارت فيقول:

بعد أن فشل الهجوم قيل عنه أنه كان مجرد "استطلاع بالقوة وظل الشعب البريطانى يجهل أغراض الهجوم الأصلية الطموحة. وهى تدمير قوات

---

(1) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السابق ص 103.

روملى والحصول على نصر حاسم فى الصحراء العربية ويبين اسم المعركة الكودى "باتل آكس" النوايا المستترة خلف الخطة.

وكان ويفل قبل العملية يشك فى النجاح، وهذه الشكوك ترجع أولا لوصول الفرقة 15 بانزر. وثانيًا: لأسباب فنية بالنسبة لمدرعاته. ففى تقرير له بتاريخ 28 مايو قال فيه: "إن دبابات المشاة أبطأ من أن تكون ذات فاعلية فى حرب الصحراء كما أنها تكبدت خسائر فادحة من نيران المدفعية القوية المعادية المضادة للدبابات". أما دباباتنا من طراز كروزر فهى لا تمتاز كثيرًا عن الدبابات الألمانية المتوسطة. ولكنه مع كل هذا ظل يأمل فى نجاحه فى طرد العدو إلى الغرب من طبرق.

وقاد العملية الجنرال بيرسفورد بيرسى، ونفذتها قوة تتكون من الفرقة السابعة المدرعة والرابعة الهندية واللواء 22 حرس، وهناك خلاف كبير فى المراجع البريطانية حول عدد الدبابات التى استخدمها الإنجليز، وعمومًا يتراوح العدد بين 170، و250 دبابة وسنرى فيما بعد أن روملى يقول أن الفرقة 15 بانزر كان بحوزتها 80 دبابة لمواجهة الهجوم البريطانى ولكنه يقول أيضًا أنها دعمت فيما بعد بدبابات الفرقة الخامسة الخفيفة، وفى مراجع ألمانية أخرى نرى أن المجموع كان 150 دبابة منها 95 بانزر 3 والباقى بانزر 4، ولم تشترك أى دبابة إيطالية فى المعركة".

ويتابع روملى مذكراته فيقول:

فى بداية شهر يولية كانت هناك دلائل كثيرة تدل على أن هناك هجوما بريطانيًا كبيرًا مزمعًا على جبهتنا فى السلوم وكان من المتوقع أن يبدأ هذا الهجوم فى منتصف الشهر لذلك حشد عدد 2 فرقة إنجليزية فى مواجهة مواقع الفرقة 15 بانزو (وهذه الفرقة الألمانية انتقلت إلى السلوم/ البردية/ الحلفاية

ولكن لواء البنادق التابع لها كان ما يزال يحتل موقعًا فى رأس المدور حول طبرق). أما أغلب قوات الفرقة الخامسة الخفيفة فكانت فى الاحتياط جنوبى طبرق.

ولسوء الحظ أن احتياطينا من البترول كان محدودًا للغاية ولذا ترقبنا الهجوم البريطانى بشئ من القلق لأننا كنا نعرف أن تحركاتنا سيحكمها مؤشر الوقود فى المركبات، أكثر من النواحى التكتيكية[1].

قرر القائد البريطانى "ويفل" تنظيم عملية هجوم كبيرة حملت الاسم الرمزى أو الكودى "البلطة" وهدفها الطموح هو: "تدمير قوات رومل والحصول على انتصار حاسم فى شرق ليبيا وكانت الروزنامة تشير إلى يوم 12 يونية 1941 حين كان المهندسون الألمان يدرسون نتائج عملهم الذى انقضى عليه أسبوعان فى تحصين ممر حلفاية وإعداد الاستحكامات فيه للمدافع، وحرص الملازم ريتشارد على أن يتحقق بنفسه من مدى إخفاء المدافع وتمويهها خصوصًا وأن المدفع التى من عيار 88 ملم ليس سهلاً إخفاؤها، وفى الصحراء لا يمكن أن يرى شيء حتى ارتفاع ثلاثة أقدام إذا نظر الرائى إليه عن بعد، أما إذا زاد الارتفاع على ثلاثة أقدام فإن خداع النظر فى الصحراء يجعل الناظر يرى الشيء أكبر مما هو فى الحقيقة؛ ولهذه الغاية انبطح الملازم ريتشارد على بطنه بعد أن ابتعد مسافة 150 ياردة عن الموقع المحصن، وتحقق من أن شيئًا من استحكامات المدافع لا تراه العين وكان الإخفاء تامًا أيضًا لمواقع مدافع بطارية "بوم بوم" ووراء بطارية المدافع عيار 88ملم نصبت بطارية أخرى من مدافع الميدان الفرنسية من عيار 155ملم وهى مدافع ثقيلة عرف قائد البطارية الملازم "أرمل" وهو مدرس فنى سابق فى مدرسة "ورزبرغ"

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 90.

كيف يخفيها ببراعة، وإلى جانب بطاريته كانت هناك بطارية مدفعية إيطالية ممتازة بقيادة الرائد "باردى".

أرسل المهندسون الألمان فى ذلك اليوم أيضًا إلى السهل الساحلى عربة خفيفة محملة بالألغام، وليست عملية زرع الألغام من العمليات غير الخطرة فقد حفرت الحفر التى ستزرع فيها الألغام على هيئة رقعة الشطرنج والمسافة التى تفصل بين الحفرة والأخرى تتراوح بين 6 أقدام و9 أقدام وعلى المهندسين أن يثبتوا فى قلب كل حفرة أوتادًا صغيرة مع وتد آخر متقاطع فى حائط الحفرة ويشدوا إليها سلكًا دقيقًا متصلاً بمفجرات ملتصقة بالأرض إلى جانب اللغم، ولابد من ربط السلك بحيث ينفجر اللغم لمجرد رفعه أو لمجرد تعرض السلك لأدنى اهتزاز إلى اليمين أو إلى اليسار. وعلى غطاء اللغم يجب أن يوضع مفجر ثالث يعمل بالضغط وينفجر بكل من يدوسه بقدمه وكل من يريد أن يفك هذا المفجر بعد أن يحاول إزاحة الرمال من حوله عليه أن لا يحركه على الإطلاق لأن مثل هذا التحريك يعنى التفجير الفورى لثمانية عشر رطلاً من المتفجرات الموجودة فى اللغم.

قام المهندسون بعملية زرع الألغام هذه وأتبعوها بأعمال تمويه الحقل، بينما كانت طائرات هاريكان البريطانية تقوم بتحليق استطلاعى فوق ممر حلفاية مما يدل على أن البريطانيين يعدون شيئًا ما خصوصًا وأن مثل هذا التحليق مستمر منذ بضعة أيام، وقد شاهد المهندسون الألمان بعد أن أنهوا أعمالهم طائرة ألمانية من طراز "مستمر شميت" تنقض على آخر طائرة من طائرات الهاريكان البريطانية المغيرة وتسقطها محطمة وإن كان ربانها استطاع النجاة بمظلة، ثم أسقطت طائرة بريطاتية ثانية وقفز منها قائدها بمظلة إلى البحر فالتقطه زورق بريطانى، وكان الطيار الألمانى الذى سجل هذا الانتصار

هو النقيب "منشبــرغ" وقد حيَّاه الجنود الألمان بأيديهم وهو يطير فـوق البحر وتهز طائرته جناحيهـا بينما هى تنخفض إلى الأرض دلالة على النصر، ومن نقطة "آفار مـاريا" وهى نقطة كان الإيطاليون قـد رفعوا فـيها نصبًـا تذكاريًا للسـيـدة العـذراء فى ممر "حلفـاية"، وجـاءت بعد قلـيل إحدى سـيـارات الاستطلاع تحمل المسـاعد "بارسليوس" من السرية الأولى لكتيـبة الاستطلاع الثـالثـة والثلاثين الذى صـاح بالرجـال أن "ترقـبوا حـدوث شيء فـالألمان يتجمعون فى سيدى عمر.

تعـتبر "سـيدى عـمر" هذه نـقطة ارتكاز مهـمة فى منطقـة السلوم - كابوتزو - حلفاية - طبرق - وقـد وفق روملِ فى وضع القسيس "باخ" قائد فى ممر حلفاية وربما كـان ذلك أحد أسرار انتـصارات رومل فى هذه الجبـهة، فالقائد فى ممر حلفاية كان مسـموع الكلمة من الجنود لأنه لم يكن يطلب شيئًا لا يستطاع تنفيـذه، ولذلك كان هؤلاء يسارعون إلى تنفيذ رغـباته بكل سرور وحذق كلما صاح فـيهم: "أيها الفتيان أنا أريد ذلك" وهكذا كـان الاستعداد كاملاً فى هذه الجبهة بعد أن اهتم القائد "باخ" بكل الأمور فصناديق الذخيرة ممتلئة والجنود احتفظوا بأسلحتهم إلى جانبهم ومعها خزائن الذخيرة الاحتياطية كما أعدوا المدافع الرشـاشة وجهزوا شرائط الذخيـرة، أما أفراد الصف الثانى من جنود الرشاشات فـقاموا بتنظيف المواسير الاحـتياطية واحتفظوا بهـا بعيدًا عن الرمال والتراب(1).

مضت ليلتان ولم يحـدث شيء مما كان متوقعًـا، وكان من الصعب أن ينام المرء ملء جفونه وملابسه لاصقـة بجسده، هذا فضلاً عن أن الجنود كانوا يخوضون مـعركة من نوع آخر هى معـركتهم ضد البـراغيث الفتاكة الدقـيقة

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 49.

الحجم حتى لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة، وأغرب ما فى الأمر أن الأناث منها التى تخترق جلد الرجل حتى لا يبقى منها إلا مؤخرتها ثم تأخذ فى امتصاص دمه إلى أن تصبح كرة صغيرة كثيفة من الدم، وبلغ من شدة وطأة البراغيث أنها كانت تدفع الرجل فى بعض الأحيان إلى الجنون، وبالفعل فقد اضطرت القيادة إلى إعادة عدد من الرجال إلى أرض الوطن بعد أن أصيب أكثر من نصفهم بالجنون بفعل البراغيث، فالرقيب "أرهارد" مثلاً وشم بها من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه وها هو المعاون البافارى فليثمان يستغيث فى إحدى الحفر مناديًا: «يا إلهى لو كان لها رؤوس كرؤوس الثيران لاستطعنا أن نحطمها حتى الموت. ولكن ماذا نستطيع أن نفعل بهذه المخلوقات اللعينة؟» على أنه كان يمكن لمكافحة البراغيث أن يعمد الجنود إلى طى أسرتهم والنوم فى أسرة معلقة. وهذا ما فعله كثير منهم، ولكن هذه العملية بما تقتضيه من إقامة أعمدة لم تكن ممكنة وسط الصحراء الليبية مع العلم بأن البراغيث تتمكن أحيانًا من الفرار من الأرض إلى الأسرة المعلقة.

إضافة إلى جانب البراغيث كانت هناك الإشاعات التى تؤثر على الأعصاب حين تسرى بين الرجال، وكان من أهم هذه الإشاعات وأكثرها خطرًا تلك التى أحضرها الرقيب "برندهل" معه من الوادى ومفادها أن لدى البريطانيين دبابات جديدة لا تؤثر فيها قذائف المدفعية المضادة بل ترتد عنها كما لو كانت حبات من الفاصوليا، واسم هذه الدبابات "مارك" وما لبثت هذه الإشاعة انتشرت دون أن يرى الدبابة المعجزة أحد فأحدثت موجة من الذعر تركت الجنود فى حالة من القلق فترة طويلة وفى 14يونيو دق جرس الهاتف فى الميدان، وكان المتكلم الضابط "باخ" الذى أنبأ الملازم شميدت بكل هدوء أن: "من المنتظر حدوث شيء هذه الليلة أو فى الصباح الباكر. وأضاف مخاطبًا الملازم:

"أنت جندى اقتحام قديم ومعك جماعة مهندسين قديرين، وأطلب إليك أن تقوم بمهمة الاحتياطى للمهندسين، فإذا استطاع البريطانيون أن يخترقوا المواقع فإن عليك أن تردهم أنت إلى الوراء" . ولم يكن هناك ما هو أوضح وأحرج من هذه المهمة اليسيرة فى مظهرها والعسيرة فى تنفيذها ولكن الملازم "شميدت" أجاب "باخ" يقول: "سمعًا وطاعة يا سيدى" ثم سارع إلى إبلاغ كل من المعاون فيلشمان والرقيب "بايكر برندهل" و"جيرهارد" و"هامل" الذين كان عليهم أن ينتظروا، وما أن حل المساء حتى سارع المهندسون بإغلاق الممرات الموجودة فى حقول الألغام فيما بين السرية الثالثة وقوة المدافع المضادة للدبابات وبات كل واحد فى حفرته فى حالة تأهب بعد أن ضوعفت الحراسة وسيرت الدوريات إلى الأمام؛ وساد على الممر صمت رهيب بينما النجوم تلمع فى كبد السماء ونور القمر يضئ الصحراء المترامية.

سمع الجنود فى هذا الجو الهادئ فى الساعة العاشرة إلا ثلاث دقائق صوت المذيع الألمانى يعلن بدء برنامج الإذاعة الألمانية العسكرية "وبلغراد" ثم انطلقت الإذاعة تبث أغنية الجنود المفضلة "ليلى مارلين" ولهذه الأغنية قصة طريفة، فقد وضعها مؤلفها، ويلى شافرز" قبل الحرب العالمية الثانية وأقنع مغنية الكوميديا "ليلى اندرسن" بغنائها فى أحد الملاهى الليلية، غير أنها لم تصب نجاحًا حين سجلت على أسطوانة، ولكن ما كادت طبول الحرب تدق فى ربيع عام 1940 فى فرنسا حتى أخذت الأغنية تلاقى رواجًا، إذا أخذ ضباط صف السرية الثانية من كتيبة الاستطلاع الثالثة والثلاثين يلتقون بزملائهم فى مقهى "ليلى" ويستمعون إلى الأغنية، فيستحوذ عليهم حتى صاروا لا يتناولون البيرة فى الحانات إلا على ألحانها ومن بين أفراد هذه السرية كان المعاون "كارل هينز" الذى كان يعمل فى إذاعة برلين قبيل

الحرب، فنالت الأغنية إعجابه الكامل. ثم حدث أن رقى كارل إلى رتبة ملازم وعين كبيراً للمذيعين فى إذاعة بلغراد العسكرية الألمانية حينما نقلت السرية الثانية إلى مسرح العمليات فى الصحراء العربية فى ربيع عام 1940، وفى بلغراد كانت الأسطوانة تصاحب كارل الذى أخذ يذيعها من محطة الإذاعة كتحية لسريته السابقة مشفوعة بتحية منه عبر الأثير إلى زملائه القدامى. ولم تلبث الأغنية أن أصبحت هى الأغنية المفضلة فأخذت تذاع كل مساء فيستمع إليها كل الشعب الألمانى لأن كل أفراد هذا الشعب كانوا يعلمون أن الجنود يستمعون إليها وهم يحملون بيوتهم، وبالرغم من أن هذه الأغنية ذات أنغام مضحكة إلا أن الدموع كانت تسيل من أعين السامعين إليها إذ هى تحمل معنى الوطن وأسمى العواطف الإنسانية ضد خراب الحروب ودمارها كما تحمل معنى الهناء المنزلى والحياة الهادئة فى المدن والقرى ومعنى السلام والحياة الزوجية الهنيئة، وهذا ما جعل ملايين الجنود يستمتعون بها على الدوام ومن كلماتها الرائعة[1]:

"تحت عمود النور

هناك بالقرب من مدخل الثكنة

أتذكرين يا حبيبتى

مشهدك وأنت واقفة منتظرين

هناك كنت تصفرين بهدوء وحنان

يا حبيبتى الواقفة بقرب عمود النور

أنت حبيبتى ليلى مارلين".

---

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 52.

لم يكن تأثير هذه الأغنية على الجنود الألمان فحسب، بل على البريطانيين أيضًا، حتى أن الكاتب البريطانى "آلن مورهيد" الذى كان ضابطًا فى زمن الحرب قال فى كتابه عن الحرب فى الجبهة الليبية المصرية: "أن هذا اللحن لم يطرب الجنود الألمان فقط بل الجنود البريطانيين أيضًا، فكانوا ينتظرونها ويديرون أجهزة الراديو ليسمعوها فى كل ليلة". وبلغ من قوة تأثيرها أن أصبح الجنود البريطانيون يصفرون نغمها فى الصحراء فى كل حين مما اضطر القادة البريطانيين إلى منع الجنود من غنائها أو الاستماع إليها من الإذاعة الألمانية، وهكذا جلس الجنود الألمان فى تلك الليلة الهادئة الحالمة يستمعون من راديو بلغراد وهم ينتظرون الهجوم البريطانى إلى تلك الأغنية من أجهزة الاستقبال فى عرباتهم ودباباتهم كما يستمع إليها جميع الجنود الألمان فى مختلف أنحاء الأرض من فرنسا إلى بولونيا إلى النرويج وفى الثكنات أو فى الخنادق أو فى الغواصات السابحة فى ظلمات البحار هذه الأغنية الساحرة البسيطة بصوتها البسيط الساحر الطبيعى كطبيعة الحياة، ولكن النغم الجميل ما لبث أن قطعه صوت الضباع الذى جاء يوقظ الجنود على الواقع وذكرهم أنهم ليسوا فى وطنهم بل فى جوف الصحراء وقد اعتادت الضباع أن تأكل الجثث فهى لا تنفك تبحث عنها وعن الجنود القتلى من البريطانيين والألمان والإيطاليين والأستراليين والنيوزلنديين تحت رمال الصحراء وفى مدافنها ولعابها يسيل من أشداقها عندما تشم رائحتهم، ولم تكن ترعى للموت حرمة بل كانت تنبش الجثث من قبورها مبعثرة الأحجار التى فوقها لتبلغ الرمم فى مرقدها، وهذا ما كان يدفع الجنود إلى إقامة القبور وكأنها حصون صغيرة تعجيزًا للضباع عن بلوغ مأربها[1].

(1) بول كارل – المرجع السابق ص 53.

يقول روميل:

وفى حوالى سعت (2100) من يوم 14 يونية أصدرت أمرًا إنذاريًا لجبهة السلوم. وأمرت بتحريك عدة وحدات من الفرقة الخامسة الخفيفة وبعض الوحدات الإيطالية إلى مواقعها الجديدة وكانت تعليماتى تقضى بأن تكون على استعداد للتدخل فى جبهة السلوم.

وجاء هجوم العدو (المتوقع) سعت (0400) يوم 15 يونية. وتقدم العدو على جبهة واسعة فى كل من السهل الساحلى وأعلى الهضبة فاضطرت نقطنا أخذ الخارجية إلى الانسحاب فى اتجاه الجنوب الشرقى وإلى الجنوب من السلوم وكانت التقارير الأولى تحمل فى طياتها ما يشير بالتفاؤل.

ولكن كسب العدو أرضًا بسرعة، وفى سعت (0900) بدأ الهجوم بالدبابات على كابتزو وكانت أوامرى للفرقة 15 بانزر بألا تقوم بهجومها المضاد إلا بعد وضوح الموقف.

وفى نفس الوقت كانت مجموعة قتال الفرقة الخامسة الخفيفة قد تلقت أمرها الإنذارى ووصلت وحداتها المتقدمة إلى جنوب جمبوت.

وفى سعت (1100) أنذرت كافة وحدات الفرقة الباقية وحركتها على الفور نحو السلوم.

وفى نفس الوقت كان العدو يحشد قوات كبيرة بين سيدى عمر وكابتزو بغرض القيام بهجوم مركز نحو الشمال لتدمير الفرقة 15 بانزر وحتى أكون مستعدًا لأى احتملات أمرت حامية البردية باحتلال المخارج الشرقية والغربية للمدينة ولسوء الحظ لم تكن هناك قوات كافية لاحتلال دفاعات البردية بالكامل.

وفى هذه الأثناء قام البريطانيون بهجمات متكررة على نقب الحلفاية من الأمام والخلف محاولين فتح الطريق ولكن الرائد باخ ورجاله قاتلوا ببسالة،

وفى وقت قصير كانت القوة البريـطانية المكلفة بهذه العملية تشكو من خطورة موقفها وفداحة خسائرها.

وفى عصر نفس اليوم طوق البريطانيـون كابتزو وبدأوا فى الهجوم على الجبـهة الجنوبيـة للبردية[1]. وفى وقت متـأخر من الليل اقـتحم البـريطانيون كابتزو ودارت معركة عنيفة بين المدرعات، اشتبك فيها 80 دبابة تابعة لآلاى 8 بانزر (الفرقة 15 بانزر) مع حوالى 300 دبابة بريطانية وكانت تهاجم بعناد فى اتجاه الشمال.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

"يقدر رومل عدد الدبابات البريطانية بأكثر من الحقيقة وهو نفس الشىء الذى حدث للبريطانيين بالنسبة له"[2].

بدء معركة البلطة 1941/6/15

بدأت معـركة البلطة التى استـعد لها البـريطانيون منذ عدة أشـهر، فى الساعـة الرابعة من صـباح يوم 15/ 9/ 1941، وكانت أكـبر معـركة للدبابات شاهدوتها الصحراء الـليبية حتى هذا التاريخ، وعهد بقيـادة الهجوم البريطانى المباشر إلى الجنرال "برسـفورد برسى" فدخل المعركة بأكـثر من مائتين دبابة، 250 ألف جندى، وتولى الجنرال "كريغ" الفـرقة السابعة المدرعـة التى كانت مـشكلة من اللواء السـابع المدرع واللواء الرابع المدرع بدبابات المشـاة الثقـيلة القوية، بينما تولى الجنرال "مساريفـى" الفرقة الرابعة الهندية مع لواء الحرس الثانى والعشرين وفى ساعة الصفر زأرت محركات الدبات البريطانية من طراز

(1) أتضح أن المدرعات البريطـانية وصلت إلى أقصى تقدم لها إلى مـسافة عدة أميـال شمال الخط مساعد/ كابتزو.

(2) بول كارل - المرجع السابق ص 92.

مارك "2"، ودبابات المشاة من طراز "ماتيلدة 2" وكانت قد أحضرت إلى الجبهة على حاملات خاصة، وعلى برج بإحدى الدبابات من طراز "مارك2" كان واقفًا كل من الملازم "ميلر" والملازم "كلارك" اللذين كانا أول من شهد هجوم روميل المضاد الأول فى فى العقيلة وهو الهجوم الذى استمر فى انطلاق حتى ممر حلفاية، وكان هذان الضابطان عندئذ فى عربة الاستطلاع ومعهما سائق السيارة " فولتون" الذى قتل عند البردية، وعامل اللاسلكى العريف" فاركها" الذى دفن بجوار طبرق، وها هما هذان الضابطان يريدان الثأر لتلك الهزيمة القاسية والمرة الذى ألحقهما روميل وجنود الألمان، والآن يشهدان انطلاق الهجوم البريطانى حين رفع قائد الكتيبة ذراعه وحركها ثلاث مرات مشيرًا إلى المدرعات بالتقدم إلى المعركة.

وفى الصحراء لا فرق بين الغسق والفجر لأن التغيير يتم بسرعة وما أن أزفت الساعة الرابعة واقترب طلوع الفجر حتى أخذت أصوات المدرعات تسمع بوضوح، فأخطر المعاون" فيشمان" بالأمر للجنود القابعين فى الحفر، وما لبث النبأ أن انتشر فى كل مكان بعد أن دق جرس الهاتف: " استعدوا، أصوات دبابات، أصوات دبابات" . وقد كان هذا إيذانًا بزوال التوتر الذى استحوذ على الجنود بفعل الانتظار طوال الليل، ذلك أن الشعور بالحذر من عدو غير منظور يرهق الأعصاب، أما الآن فقد أصبح بإمكان الجنود أن يشاهدوا العدو ويقاتلوه، وسرعان ما أدرك الجنود أن العدو يتقدم فقد كانت ضجة المحركات تتعالى ببطء وكانوا يرون بمناظيرهم المكبرة نقطًا سوداء ترتفع حولها سحب عالية من الغبار والتراب، فتلك كانت الفرقة الرابعة الهندية تقوم بالهجوم يدعمها اللواء السابع المدرع.

سأل القائد" باخ" : "ما رأيك يا ريتشارد، كم تبعد الدبابات؟" فأجاب" ريتشارد" : "أعتقد أنها على بعد ثلاثة آلاف وخمسمائة ياردة" وكان

" باخ" قـد اتخذ مكانه بين المدافع المضـادة للدبابات من عـيار 88 ملم وهو السلاح الذى سيلعب أكبـر الأدوار بعد بضع ساعات ويعتبر مـعجزة الحرب. فنفخ" باخ " دخان سيجاره وهو مستند إلى عصاه وأجاب بهدوء: "حسنًا يا ريتشـارد، مازال عندنا بعض الوقت إذن" وبما أن الأوامر تقضى بتـرك العدو ليقترب دون إطلاق النار فى أي حال فقـد بقي الجنود فى حفرهم لا يحركون ساكنًا ولكن الأيدى أخذت ترتجف بينما كانت الدبابات تتقدم وكانت الشمس بأشعتها اللاهبـة وحرارتها الشديدة حليفة للعدو المهاجم فقـد أعمتهم وحدت من مدى رؤيتـهم لأن الهجوم كان آتيًـا من الشرق وفى الصباح سـاد صمت رهيب وارتفع وجـيب القلوب مع تقـدم الدبابات الثقـيلة السـوداء الشبـيهـة بالوحوش الضارية، فـتلك هى إذن دبابات" مارك 2" المرعبـة وأخذت أعداد الدبابات تظهر فى ازدياد ووراءها دبابات المشاة الثقـيلة التى تتقدم ببطء لتساير زحف المشاة[1].

وتركز الهـجوم البريطانى على الاتجاه الجنـوبى - الشرقى للسلوم وعلى الاتجاه الجنوبى، وحـقق البريطانيـون نجاحًا أوليًـا فى اختـراق المواقع الألمانية الضعـيفـة وأسرعـوا فى التقـدم خلال الساعـات التسع التـالية، فـهاجـموا "كابوتزو" وكـانت صورة الموقف غـامضة، فـتمهل رومـل فى زج قواته من "البانزر" فى هجوم مضاد، واشتبكت القوات البـريطانية فى معركة حامية مع الحاميـة المدافعة عن" ممر حلفايا" فما قـامت بقية القوات البريطانيـة بالهجوم على "كابوتزو" وعلى جبهة البردية[2].

---

(1) بول كارل - المرجع السابق ص54.

(2) بسام العسيلى - المرجع السابق ص 134.

معركة ممر حلفايا:

قبل أن تصل هذه الجبال من الفولاذ إلى قرية حلفايا فتحت النيران بينما أخذت المدفـعية البـريطانية تطلق هى الأخرى النار مـرة تلو المرة وإذ بالقنابل تحرث الأرض ويعم صفيرها وصوت انفجارها الآذان، وإذا بكتل من الصخور تتطاير فى الهواء وتتصاعد أعـمدة الدخان هنا وهناك، وعلى هذا النحو بدأت معـركة السلوم وأخذت الـقنابل تتساقط فى الوادى غـير المحتـمل الواقع بين السريـة الثالثة ومـوقع المدافع المضادة للـدبابات، وكان الوادى خالـيًا من أى مقاتل ومن أية عربـة، ومع ذلك بقى ضرب المدفعية البريطانيـة مركزًا عليه. فـما كـان من الجندى " هوجـمـان" إلا أن صاح: " يـمكنكم أن تواصلوا الضرب مـا حلا لكم". فـأجابه زميله " مـيز" قائلا: " مـا دامت القنابل لا تسقط على رؤوسنا فليـضربوا الوادى ما شـاؤوا". وكان القصد أن لا يشـعر البريطانيون بأنـهم يقذفون بنيرانهم على هدف خاطئ ولذلـك اقتضى التظاهر لهم بأنهم أصابوا فى اختيار الهدف فـربحوا نصف المعركة. وحين نزل الجنود اللواء الهندى الحادى عـشر من الدبابات المدرعة الخـفيفـة التى تحملهم والتى كانت تتبع دبابات " مـارك" المتقدمة باتجاه السرية الثـالثة حين نزل جنود هذا اللواء وتشكلوا على هـيئـة سرايا وسـاروا وراء الدبابات وكـأنهم فى ميـدان استعـراض لم يطلق الموقع الألمانى طلقة واحدة على الدبابات، فـخيل للهنود أن المدفعـية البريطانية لا بد وأن سـحقت الألمان وجعلت من خنادقهم مـقابرًا لهم وهذا ما يفـسر تقـدم الهنود بتلك اللامبـالاة على نحو ما ذكـر الأسرى البريطانيون فيـما بعد. وعندما توقفت سيارة بريطانـية عند أطلال قرية حلفايا ونزل منها الجنود الذين كانت تحـملهم لم يكن لدى هؤلاء أية فكرة عن مدى قربهم من المدافع الألمـانية وفجـأة دوى صوت المدفع المضاد من عـيار 88 ملم

بشكل يصم الآذان، وكان صوته يختلف عن صوت المدافع البريطانية، وما أن صدرت الأوامر بفتح النيران حتى انفتحت أبواب الجحيم من أفواه المدافع الألمانية إذ اشتركت جميع البطاريات بالضرب، وتعاقب تسجيل إصابات مباشرة حطمت أبراج الدبابات من طراز" مارك 2" وجعلتها تتطاير عدة ياردات فوق الرمال، وكان كل ذلك بفضل المدفع الألمانى من عيار 88 ملم الذى لم تستطع دبابة "مارك 2" مقاومته. وهلل الألمان للنتيجة وللمدفع العظيم وزال ذعرهم من الدبابات البريطانية[1].

غير أن البريطانيين كانوا مصممين على استعادة ممر حلفاية والطريق الساحلي لكى يتمكنوا من استخدام ميناء السلوم وجعله قاعدة لتموينهم، ولذلك لم يتراجعوا بل استهدفوا بنيران مدفعيتهم بطارية الرائد" باردى" الإيطالية، واحتدمت المعركة أشد الاحتدام وفتحت جهنم أبوابها فاختلطت أصوات الانفجارات بأصوات الطلقات ومنذ تلك اللحظة أضحى ممر حلفاية باسم "ممر جهنم"، وفى هذه المعركة أدهش الرائد "باردى" رجال مدفعيته أنه كان يصدر أوامره وكأنه فى ميدان للتدريب على الرماية. واشتركت فى القذف مدافع مضادة للدبابات من عيار 20 ملم وكانت قنابل هذه المدافع الصغيرة تنزلق على صلب الدبابة فتثير غضب الملازم" جنتزلر" غير أن هذا لاحظ تأثير قنابله على جانب الدبابة ومؤخرتها حيث المحرك مدرع بدرع غير سميك، فأخذ يحدد أهدافه بدقة ويعطى أوامره بالتصويب المحكم حتى سقطت على مدفعيته طلقة واحدة مباشرة من الجانب البريطانى أسكتته وفتكت برجاله وأصيب الملازم الشاب بجرح خطير إلا أن حملة النقالات نقلوه إلى المستشفى فكان الوحيد الذى تمكن من البقاء على قيد الحياة وكان حاصل المعركة احتراق 12 دبابة بريطانية أمام المواقع الألمانية، أما طوابير المشاة

(1) بول كارل - المرجع السابق ص55.

البريطانية المتقـدمة فى تشكيلات منتظمة فقد فتكت بهـا نيران المدافع من عيار 88 ملم فتكًا مميتًا.

وفى هذه الأثناء والمعركة على أشدها فى الممـر بأعلى الجبل كانت تظهر فى أسـفل الوادى على السهل السـاحلى دبابات بريطانيـة تتقـدم بسرعـة إلى مواقع السرية الأولى التى تحاول منع البريطانيين من بلوغ السلوم، وكانت هذه الدبابات تبدو وكأنها لعب للأطفـال، وتركزت أعين الجنود الألمان على حقل الألغـام التى لا بد للدبابات المتـقدمـة من اجتـيازه بيـنما لزمـوا هم السكون الكامل، ورأوا خـمسًـا من الدبابات "مارك" مـا كادت أولاها تدخل حـقل الألغام حتى تـصاعد عمود من الدخـان ابتلعها ابتلاعًـا، ولم تأخذ الدبابات الأربع الباقـية حذرها مما وقع لزمـيلتها فـما لبثـت الدبابة الثانية أن انفـجرت انفجارًا كبـيرًا، أما الدبابتان الثالثة والرابعة فـقد تعطلتا لأن جنزيرهما لامس الألغام. ورأى الجنود الألمان أحـد الجنود البريطانيين يفـتح برج الدبابة الرابعة ويقفز منها إلى الأرض لكى يتناثر جسده أشـلاء فى الهواء بفعل انفجار سريع جـعل الرقـيب الألمانى يشـفق عليـه متـسـائلا: "يا إلهى! لماذا فـعل الرجل ذلك؟". فـقد تألم الرقـيب لحمـاقة الرجـل الذى لقى حتـفه لأنه لم يلتـزم بالقواعـد المتبعة التـى يعرفها كل جندى فى الحـرب الليبيـة - المصرية، وهى تقضى بأن يزحف الداخل إلى حـقل الألغام بكل حذر وحيطة، شبـرًا شبرًا، ويتحـسس طريقه بقدميـه وهو رافع يديه فوق رأسه كى لا يطلق العـدو عليه النار، أما ذاك البريطانى فقد قفز بحمق وببساطة لكى يلقى حتفه.

دهش الألمان عندما شاهدوا الدبابة الخامسـة تعبر الحقل المؤلف من ستة صفـوف من الألغام دون أن تصـاب بأى ضرر مما جعلهم فـى خطر شديد إذ بات فى إمكان الدبابة اقتحـام مواقع المشاة الألمان بعد أن عبـرت حقل الألغام

وأضحى الطـريق إلى بلدة السلوم السفلى مـفتوحًـا أمامـها، غيـر أن الدبابة توقفت فجأة ودارت على نفسها لتـعود من حيث أتت داخل حقل الألغام وما كادت تفـعل حتى حدث انفـجار عطلها هى أيـضًا ولكن رجالهـا لم يرتكبوا خطأ زميلهـم بل رفعوا أيديهم فـوق رؤوسهم وأخذوا يـزحفون خـارج حقل الألغام متتـبعين آثار جنزير العربة تجنبًا لانفجـار ألغام أخرى. وقبل أن يرخى الليل سدوله على ميـدان المعركة ويلفه بشئ من رداء الرحمة استمرت معظم القنابل تتساقط فى الوادى الخالى من القوات عندمـا كانت الشمس قد أخذت فى المغيب وكانت بطارية الرائد الإيطالى "باردى" هى وحدها التى تتلقى هذا السيل من النيـران، فعمـد "باردى" بنفسه إلى إطلاق المدافع وسط إعـجاب جنوده وقـولهم: "آه لو رآه الدوتشـى وهو يقـاتل!" وفى هذه اللحظة جـاء رومل فهنـأه دون أن يصافحـه، إذ لم يكن هناك وقت لغـير كلمة تهـنئة لأن المشاة البريطانيين ما لبثوا أن خرجوا فى هجوم ثان من بين أطلال قرية حلفاية وهم من قوة اللواء الحـادى عشر الهنـدى ولواء الحرس الثاني والعـشرين ولم تكن تستحوذ عليهم إلا فكرة واحدة هى إخراج الألمان من تلك الحفر الصغيرة المشرفـة على ممر حلفـاية، ولذلك تقدمـوا عبر السـهل المنبسط وهـم يهزون أذرعتهم وقـد مالت على رؤوسهم خوذاتهم المسطحـة المصنوعة من الصلب، وكان الموت ينتظر هؤلاء الجنود الذين يحبون الحياة ولهم فى أوطانهم زوجات وصديقات وأمـهات، لقد كانت القـوات الألمانية فى انتظارهم وأيدى جنودها على الزناد، فمـا كادوا يقتربون حـتى مزقتهم نيـران الألمان شر ممزق رغم أن مدافع الهـاون البريطانيـة أحدثت فى المواقع الألمانيـة ثغرات كـبيـرة وفتكت بالعشرات من جنود العدو[1].

---

(1) بول كارل - المرجع السابق ص59.

ويتابع رومل كتابة مذكراته فيقول:

أصدرت أوامرى للفرقة 15 بانزر وكتيبة بانزر من الفرقة الخامسة الخفيفة (التى وصلت لمعاونتها) باحتلال مواقع أثناء الليل جنوبى "البردية" للقيام منها بالهجوم المضاد نحو الجنوب، ونظرًا لقوة البريطانيين الكبيرة فكنت أشك أن هذا الهجوم سيحصل على أى نتائج حاسمة. بينما أصدرت أوامرى للقوة الأساسية للفرقة الخامسة الخفيفة بالهجوم فى صباح يوم 16 (من نقطة تقع غرب سيدى عزيز) نحو "سيدى سليمان" للوصول إلى نقب الحلفاية، وبذلك يتم عزل الإنجليز عن قواعدهم فيضطرون للانسحاب، بينما تتحرك فى أول ضوء الفرقة 15 بانزر جنوبيًا على جانبى "كابوتزو" لتثبيت القوة البريطانية الأساسية. ووضعت خطتى على أساس حشد الفرقتين المدرعتين فجأة فى قوة واحدة وبذا أستطيع توجيه ضربة قوية لأكثر تشكيلات العدو حساسية[1].

كتب رومل إلى زوجته:

عزيزتى الغالية لو - 16/ 6/ 1941

قتال ضار استمر طوال نهار الأمس على قطاعنا الشرقى على نحو ما علمت من نشرة أخبار الجيش الألمانى، وسيصدر القرار فى الساعة 2.30 من صباح هذا اليوم وستكون معركة قاسية، وتعرفين بذلك عدم تمكنى من النوم، كتبت لك هذه الكلمات على عجل لتعرفين أنى أفكر بكما دائمًا، وسأكتب لك رسالة مطولة فى القريب العاجل عندما ينتهى كل شىء.

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص93.

اليوم الثانى من معركة السلوم 1941/6/16

دخلت معركة السلوم فى هذا الصباح يومها الثانى، وكان الجو شديد الحرارة حتى أن درجتها تراوحت ظهراً بين 130 و 140 " فهرنهايت " وشح الماء لدى الألمان فلم يبق للجندى فى أسفل قربته أكثر من جرعة أو جرعتين وهو ليس بالماء القراح وإنما هو نقيع بذور اليانسون الذى يساعد أكثر على إرواء الظمأ وقد اقتبس الألمان هذه الطريقة من الإيطاليين ولذلك كان طعم الماء فى أسفل القرب متغيراً يورث الحرقة فى الحلقوم وإن كان يطفئ العطش، ورافق هذا الهجوم الدموى بالدبابات للاستيلاء على المرتفعات المحيطة بممر حلفاية هجوماً بريطانياً آخر فى الوسط اقترن بنجاح كامل بقيادة الجنرال "بريسفورد بيرس" فقد تقدم هذا القائد بمجموعتين مقاتلتين نحو الغرب فاتجهت إحداهما نحو «كابوتزو» و«مساعد» بمحاذاة الساحل لمواجهة الفرقة المدرعة الألمانية الخامسة عشرة فى منطقة البردية، بينما قامت المجموعة الأخرى بمحاولة تطويق جريئة واسعة إلى الجنوب خلال الصحراء من أجل إجبار الفرقة الخفيفة على الانسحاب نحو الشمال ومحاصرتها بعد ذلك مع الفرقة المدرعة الخامسة عشرة ومقاتلتهما فى أرض مكشوفة بمعاونة الفرقة المدرعة البريطانية السابعة.

اهتزت فرقة البانزر الخامسة عشرة وهى تتحرك للهجوم على اتجاه «كابوتزو» فى الساعة الخامسة من صباح يوم 16 يونية 1941 ووقعت معركة عنيفة بالدبابات غير أن حظ الفرقة من النجاح كان معدوماً فى مواجهة تقدم حازم، وكان عدد الدبابات التى قامت بالهجوم 80 دبابة لم يبق منها حتى الساعة 10.30 سوى ثلاثين دبابة فقط(1).

---

(1) بسام العسيلى - المرجع السابق ص 135.

وفى تمام سعت (0500) من اليوم 16 يونية (وهو اليوم التـالى للمعركة) شنت الفرقة 15 بانزر هجومها على كابتزو ونشبت معركة عنيفة بين الدبابات، وبالرغم من المجهودات العنيـفة لم تنجح الفرقة فى تحقيق أى نتـائج مرضية. وبعد ذلك بوقت قصير سقطت مساعد فى قبضة الإنجليز. وفى حوالى سعت (1030) أبلغتنى الفرقة 15 المدرعة أنها اضطرت لإيقاف هجومها على كابتزو. وظل العدو ثابتًا لا يتزعزع وبقى من الثـمانين دبابة التى دخلت بها الفرقة 15 بانزر المعركة أبـقت ثلاثين فقط، أما الباقى فقـد احترق فى ميـدان المعركة أو ينتظر سحبه لإصلاحه.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

«كانت القـوة البريطانيـة فى كابتـزو تتكون من لواء 22 الحرس واللواء الرابع المدرع ويتكون اللواء الرابـع من الآلايين الرابع والسابع دبابات وكـانت الآلايات مسلحة بدبابات من طراز ماتيلدة «الثقيلة» وكـانت قوتهما معا عبارة عن 90 دبابة. وقبل ذلك قـابل رومل هذه التشكيلات فى أول معـركة له مع الإنجليز فى آراسى فى مايو 1940».

ويتابع رومل كتابة مذكراته فيقول:

اشتبكت الفرقة الخامسة الخفيفة أثناء تقدمها نحو سيدى سليمان، باللواء السابع المدرع البريطانى (المسلح بدبابات كروزر) وذلك فى المنطقة غرب سيدى عزيز وعلى مسافة ستة أميال غربى سـيدى عمر. وانتهت المعركة العنيفة التى دارت بين هذه التشكيلات المدرعة فى صالحنا ونجحت الفرقـة الخامسة الخفيفة فى شق طريقها قتالا إلى منطقة شمال شرق سيدى عمر واستمرت فى تقدمها نحو سيـدى سليمان وكانت هذه هى نقـطة التحول فى المعركة. فـعلى الفور أمرت الفرقة 15 بانزر بالخروج بكل عناصرها الميكانيكيـة بأسرع مايمكنها من

المعركة مع ترك أقل قوة ممكنة للمحافظة على المواقع شمالى كابتزو، ثم التقدم على الجناح الشمالى للفرقة الخامسة نحو سيدى سليمان.

وكانت اللحظة الحاسمة قد حانت، وكثيرا ما يكون من الممكن تقرير مصير المعركة بمجرد أن ننقل مركز الثقل فجأة بحيث يخل هذا بتوازن العدو.

وظهر أن العدو ليس على استعداد لترك زمام المبادأة يفلت منه بهذه السهولة لأنه حشد أغلب مدرعاته شمال كابتزو ليشن بها هجومًا قويًا فى وقت مبكر من الصباح التالى فيخترق خطوطنا فى الشمال عبر الفرقة 15 بانزر (الموجودة هناك) ولكى أفرض على العدو أسلوب القتال الذى أريده، أمرت الفرقة الخامسة الخفيفة والفرقة 15 بانزر ببدء هجومها على سيدى سليمان فى تمام سعت (0430) أى قبل أن يبدأ العدو هجومه المزمع[1].

وكان من جراء نجاح هذه الخطة أن سقطت «كابوتزو» وسقطت «مساعد» وزحفت الفرقة السابعة المدرعة هذه لمواجهة الفرقة الألمانية الخامسة عشرة دون أن تتمكن هذه من صد زحفها. ولم يبق الآن إلا تحقيق انتصارين هما سقوط ممر جلفاية ونجاح حركة الالتفاف فى الجنوب خلال الصحراء وذلك لكى يصبح فى الإمكان مهاجمة الفرقة المدرعة الألمانية الخامسة عشرة والفرقة الخامسة الخفيفة من الخلف، وكان على الفرقة المدرعة البريطانية السابعة أن تتفادى فى تقدمها أبعد موقع ألمانى تجاه الجنوب، وهو موقع فى نقطة تدعى «التل 208» لا يصح نعته بالنقطة الحصينة لأنه ليس إلا مقبرة للأعراب فى وسط الصحراء وقد قام المهندسون الإيطاليون يعاونهم المشاة، وتعاونهم إحدى سرايا الوحات الألمانية ببناء هذا الموقع، أما سرايا الواحات هذه فلم تكن تزيد على خمس سرايا لا يتجاوز سن الجندى من جنودها - باستثناء الضباط -

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص94.

ثلاثين عـامـا، وقد أمـرها رومل باحـتـلال واحات «جـغـبـوب» و«سيـوة» و«الكفـرة». وقـد ترك هؤلاء الجنود آثارهم فى «ممـر حلفـاية» وفى «السلوم» أيضًا فضلاً عن «التل 208» وأعيد تشكيلهم فيما بعـد فى كتيبة الواحات 300 المكلفة بأعمال معينة.

معركة التل 208:

يقع التل فى قلب الصحـراء على بعد 20 ميلا إلى الجنوب الشرقى من «كابوتزو»، وهو كناية عن موقع مستطيل طوله 600 ياردة وعرضه 500 ياردة، وقد استطاع المهندسون الإيطاليون أن يقوموا فيه بعمل باهر إذ تمكنوا من تمويه مواقع المدفعـية الثقيلة، بحيث لم يعد ممكـنا تبين أى موقع للمدافع من على بعد 20 ياردة، أما قائـد هذا الموقع فهو الملازم «بوليويز» وأمـا جنوده فخليط سرية من الواحات الأولى وبطارية المدفعـية عيار 88 ملم المضاد للدبابات التى يقودها الملازم «زيمر» وبطارية المدفعـية عيار 37 ملم المضادة للدبابات وقوة من الرشاشـات الثقيلة، وكمـا ذكرنا سابقًا فـإنه كان على القوات البـريطانية فى عملية التفـافها على الفرقة الخامسـة أن تتفادى أو تحطم أولا هذا الموقع الذى هو أبعد المواقع الألمانية إلى الجنوب فى الصحراء، ولقد كانت منشغلة يوم 15 يونية بمعركة حلفاية وبالزحف إلى "البردية "، وبذلك انقضى هذا اليوم دون أن يحدث شيء على جبهـة هذا الموقع إلا أنه فى المساء بات معزولا عن باقى قـوات المحور إذ انقطع الاتصـال اللاسلكى بينه وبين كـتـيبـة المشاة المحـمـلة الخامسـة عشرة، فغدا وكأنه جـزيرة صغيرة فى محـيط الصحراء أو نقطة فى رقعة الشطرنج التى تمثـلها المعركة وتتسع باسـتمرار ولم تكن أشعة الفـجر قد بزغت فى صباح يوم 16 يونية حين تحرك اللواء البـريطانى المدرع السابع نحو الموقع وكان الملازم "جـوليونز" يحلق ذقنه عندمـا سمع الصـدى الأول لجلبة

جنازير الدبابات فهب واقفًا على قدميه وخرج مسرعًا ينذر جنوده ويطلب إليهم أن لا يطلق أحد منهم النار قبل صدور الأوامر:

"احبسوا نيرانكم حتى تهاجمكم المشاة وتكون الدبابات قد وصلت فوقنا تقريبًا"، واتجه الملازم "جوليونز" إلى موقع المدافع عيار 88 ملم المضادة للدبابات وما أن أشرقت الشمس حتى بانت الدبابات المهاجمة فى الأفق وهى تثير زوابع ترابية وبواسطة النظارات استطاع الجنود أن يتبينوا 30 دبابة، وتابع "جوليونز" حلاقة ذقنه وهو يشعر بشيء من القلق الناشئ عن تساؤله عن كيفية مواجهة جنوده لهذا الموقف فهو لم يعرفهم منذ فترة لا تزيد على عشرة أيام وهو يخشى أن يفقد واحد منهم أعصابه فيطلق النيران قبل الوقت المناسب. وكان "زيمر" قد ألقى عليه السؤال: "متى نبدأ الضرب؟" فأجابه:

"لنحبس نيراننا عن الدبابات الأولى ولندعها تقتحم علينا المواقع لكى لا تبتعد الدبابات عن ضرب مدافعنا إذا نحن أطلقنا النار الآن ثم تسارع إلى قذفنا بقنابلها من بعيد". وأخذ الملازم "زيمر" يحصى الدبابات المتقدمة وكلها من طراز "مارك" حتى بلغت سبعين، وصاح بجنوده: "حافظوا على أعصابكم أيها الجنود". ولكن ما أن تجاوزت الدبابات الأولى الموقع حتى صرخ "زيمر": "افتحوا النار". وبمثل لمح البصر أطلق المدفع عيار 88 ملم فإذا ببرج الدبابة المتقدمة يطير فى الهواء مع مدفعها، وبدأ الفريقان يتقاذفان المدافع المضادة للدبابات من جهة والرشاشات من ناقلات الجنود البريطانية من جهة ثانية، ولم يكن باستطاعة هؤلاء أن يترجلوا وسط هذا الآتون. وكانت النتيجة احتراق 11 دبابة بريطانية وخروج الدبابات الباقية من المعركة ووقوع نقيب بريطانى أسيراً مع رجال دبابته المعطوبة، وقد طلب هذا النقيب مشاهدة المدفع عيار 88 ملم وما كان أصدقه حين هز برأسه وقال:

"إن شكله لا يدل على قـوته، ولكن ليس من الممكن عـمل أى شيء ضده، ولسوف يثـبت هذا المدفع عدم فعاليـة الدبابة مارك 2" . على أن هذه الدبابة لم تكن الوحيدة التى فقدها البريطانيون من بين دباباتهم الحديثة الرائعة حول هذا الموقع، ذلك أنهم استأنفوا الهجوم بعـد ظهر اليوم نفسه ففقدوا 71 دبابة أخرى، وتمكن الموقع حتى الآن من صد هجـوم لواء مدرع بكامله فعاود البريطانيـون الهجوم مرة ثالثة وقـذفوا بمشاتهم إلى الأمام ولكـن هذا الهجوم أيضًا أوقفته نيران الرشاشات الألمانية على بعد 30 ياردة من الموقع وهكذا غدا "التل 208" مقبرة للبريطانييـن بينما لم تزد خسائر الألمان على إصابة جنديين بجراح بسيطة وإصابة مدفع واحد مضاد للدبابات.

يرجع الفضل الأكـبر فى هذه النتائج إلى المدفع العجـيب عيار 88 ملم الصالح لجميع وجوه الاستـعمال، ولقد تمكنت القوات الألمانية مع هذا المدفع من قلب الخطط البـريطانية رأسًا على عـقب بعد أن ظهر خطـأ تقدير الجنرال "برسفـورد بيرس" فى قدرته على انتـزاع ممر حلفاية والاستـيلاء على "التل 208" رغم أن الممر لم تكن تحتله إلا كـتيبة واحدة والتل لم يكن يحـميه إلا قوة لا تزيد عن سـرية إلا قليلا، وقد سجل اليـوم التالى فى 17 يونية نهاية المعركة رغم أن ذخيرة المدافع 88 ملم كانت قد أوشكت على النفاذ وبات على حامية الموقع الاقتصاد فى استـعمال الذخيرة ذلك أن معظم دبابات البريطانيين عادت فـتوقـفت فى السلوم ولم يعد يظهـر لهم أى أثر، وفى المساء اسـتطاع عـامل اللاسلكى فى "التل 208" من الاتصـال بقيـادة الفـرقة الألمانيـة فكان سرور القيادة عظيـمًا لصمود الموقع أمام هجوم البريطانـيين فأرسلت إليه على الفور كل ما يحتاج من إمدادات الذخيرة والمياه(1).

---

(1) بول كارل - المرجع السابق ص65.

انتصار قوات رومل فى معركة البلطة:

بينما كان الهجوم البريطانى يصطدم بمقاومة عنيدة من قوات الفيلق الأفريقى الألمانى، كان رومل قد دفع الفرقة الخفيفة - الخامسة - على اتجاه سيدى عزيز، وسيدى سليمان، وممر حلفاية، فوصلت الفرقة الخامسة الخفيفة فى مساء 16 يونية 1941 إلى شرقى سيدى عمر بعد أن شقت طريقها قتالا نحو سيدى سليمان وذلك بعد ما نجحت فى التغلب على المقاومة البريطانية القوية فى شمال شرق سيدى عمر، وهنا قام رومل بسحب قواته المرابطة أمام "كابوتزو" من تحت أنف العدو وأرسلها لتنضم إلى الفرقة الخامسة الخفيفة فى مهاجمة سيدى سليمان، بينما تهاجم قواته فى الوقت نفسه جناح القوات البريطانية الشمالى فى منطقة "البردية" و"ممر حلفاية"، وكانت هذه خطة بارعة من خطط رومل وضربة من ضرباته الموفقة المتميزة بالحكمة والجرأة، وكان هذا التحرك هو نقطة الانعطاف الحاسمة فى مسيرة المعركة، فقد أسرع رومل لحشد كافة القوى المتوافرة له وزجها على اتجاه "كابوتزو" لتعزيز ما أمكن إحرازه من نجاح ولم يكن البريطانيون بدورهم على استعداد للتنازل عن المبادأة التى أمسكوا بها، فزجوا ما لديهم من دبابات لتدمير الدبابات الألمانية فى "كابوتزو" وكان رومل أكثر سرعة فى تنظيم قواته وزجها فى المعركة، فانطلقت هذه القوات فى الساعة 4.30 من صباح 17 يونية على الاتجاه الجنوبى لسيدى سليمان، واشتبكت مع القوات البريطانية إلا أنها نجحت فى متابعة التقدم فى الساعة 9.00 وفى الساعة 16.00 مساءً كانت القوات الألمانية قد شرعت فى تطويق القوات البريطانية عند ممر حلفايا من جانبين، غير أن الثغرة كانت واسعة فتمكنت القوات البريطانية من الهرب إلى خارج دائرة الحصار وخوض قتال تراجعى[1].

(1) بسام العسيلى - المرجع السابق ص 136.

موقف القوات البريطانية خطير للغاية:

يقول رومل: فى صباح اليوم التالى (17 يونية) تحركت الفرقة الخامسة الخفيفة فى الوقت المحدد وبعد قيامها بتحرك سريع وصلت لمشارف سيدى سليمان فى تمام سعت (0600)، أما الفرقة 15 بانزر فاشتبكت فى قتال عنيف مع قوة مدرعة أرسلها الإنجليز لحماية أجناب جيشهم من خطر هجوم قوات البانزر. ولكنها وصلت بالرغم من ذلك إلى غرضها. وظهرت الدبابات البريطانية المحطمة منتشرة على الأرض التى مرت بها مدرعات البانزر.

وعلى ما يبدو أن هذه العملية فاجأت الإنجليز تمامًا لأننا سمعناهم فى اللاسلكى وهم يصفون موقفهم بأنه خطير للغاية، بينما أرسل قائد الفرقة السابعة المدرعة يطلب من القائد العام لقوة الصحراء الحضور إلى رئاسته، وبدا لنا أن القائد البريطانى عجز عن إدارة المعركة تحت هذه الظروف، ولذا لجأ لرئاسته. وهذا كان يشير بكل وضوح أن البريطانيين فى حالة إرتباك جعلهم عاجزين عن القيام بأى شىء قبل وقت طويل، ولذلك قررت تضييق الخناق عليهم بالاستمرار فى التقدم إلى حلفاية. وعليه ففى حوالى سعت (0900) أصدرت أوامرى للفرقتين الخامسة الخفيفة 15 بانزر بالتقدم إلى حلفاية مع منع أى محاولة تقوم بها المدرعات البريطانية للاختراق نحو الشمال. وكان البريطانيون يعانون من أزمة خطيرة فى الوقود والذخيرة فقررت إجبارهم على القتال فى مواقع ثابتة وبذلك أتمكن من تدمير قواتهم بالكامل.

وكان لاسلكى العدو يكرر باستمرار العجز فى الذخيرة، وبعدها بقليل أشعلوا النيران فى مخازنهم الموجودة فى كابوتزو وانسحبوا تاركين العربات المهجورة تملأ الصحراء، وذلك لنفاذ الوقود، وكانوا يشكون بمرارة من خسائرهم الفادحة فى المدرعات.

ووصلت الفرقتان الخامسة الخفيفة 15 بانزر إلى نقب حلفاية بعد سعت (1600) بقليل. وهناك تحولتا واندفعنا بالفرقتين نحو الشمال. وكان هذا التقدم خطأ كبيرًا لأنه بدلا من قفل الفخ على العدو قامتا بتضييق الخناق عليه بدون وجود قوات كافية لعمل حلقة كاملة مستمرة لإتمام عملية التطويق. ولذلك استطاع العدو الاندفاع شرقًا والإفلات عبر الثغرة الضخمة (ما بين سيدى عمر وحلفاية).

وغضبت للغاية لضياع هذه الفرصة الذهبية، فكان المفروض على الفرقتين بمجرد وصولهم إلى الحلفاية الانتشار فى مواجهة الأعداء وبذا يضطروه للدخول فى المعركة فيمنعوه بذلك من الهروب. وربما بهذه الطريقة استطعنا تحطيم الجزء الأكبر من قوة العدو الهجومية.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

(كان رومل هنا على خطأ، لأن الجزء الأكبر من القوة الضاربة البريطانية انسحبت بالفعل من نقب الحلفاية قبل وصول مقدمة الفيلق الأفريقى الألمانى).

ويتابع رومل كتابة مذكراته فيقول:

واستمرت معركة السلوم ثلاثة أيام وانتهت بانتصار كامل للجانب الذى التزم الدفاع، وبالرغم من ذلك كان من الممكن تكبيد العدو خسارة أكبر بكثير مما تكبده بالفعل. وقد خسر البريطانيون فى النهاية أكثر من 220 دبابة كما أن خسارتهم فى الأفراد كانت كبيرة للغاية، أما قواتنا فقد خسرت فى النهاية 25 دبابة (وهى الخسارة الكلية).

ويعلق ليدل هارت فيقول:

(وبالرغم من أن ثلثى الدبابات البريطانية أصيب إلا أن العدد الكلى المدمر أو المفقود كان تفصيله كالآتى: 58 دبابة ماتيلدة و29 دبابة كروزر وذلك بجانب 500 قتيل وأسير. وقد أسر البريطانيون 570 أسيرًا وادعوا أنهم دمروا مائة دبابة وهنا مرة أخرى يمكننا ملاحظة ميل الجانبين للمبالغة فى خسائر الخصم، وخاصة عندما تكون المعركة سريعة الحركة)[1].

هكذا شهد اليوم السابع عشر من يونية 1941 تداعى الجبهة البريطانية واضطر الجنرال "برسفورد بيرس" إلى إعطاء الأمر بالانسحاب الذى ما لبث أن غدا تقهقر تسوده الفوضى الشاملة، وهذا اليوم هو الذى سجل تشرشل فى مذكراته عن قوله: (فى السابع عشر انقلب كل شىء، ويعود الفضل فى هذا التحول الكبير الذى طرأ على المعركة إلى قبضة من الضباط وبضع مئات من جنود الفيلق الأفريقى الألمانى الذى أوكل إليهم أمر الدفاع عن ممر حلفاية و"الموقع 208" وكانت قرارات رومل الجريئة وشجاعة الجنود وراء كسبهم هذه المعركة الجبارة).

كتب رومل إلى زوجته:

عزيزتى الغالية لو 18/6/1941

انتهت معركة الأيام الثلاثة بانتصار كامل وقمت بجولة على الوحدات فى هذا اليوم لأشكرها ولأعطيها الأوامر الجديدة، وقد خرجت لهذه الجولة منذ السادسة صباحًا ولهذا ليس باستطاعتى أن أكتب كثيرًا.

---

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص97.

تحليل معركة البلطة:

إذا تمعنا فى المرحلة النهائية لمعركة " البلطة" أمكننا تلخيصها على الوجه التالى:

سقطت فى اليوم الأول "كابوتزو" و"مساعد" و"السلوم العليا" بيد البريطانيين بعد أن هاجمتها طلائع الفرقة السابعة المدرعة. وتميزت معركة "كابوتزو" بالذعر الذى أوقعته الدبابات البريطانية فى القوات الألمانية، إذ فاجأتها خمسون من هذه الدبابات فلم تستطع المشاة الألمانية المحملة إزاءها شيئًا إلا الفرار بأقصى سرعة بعد أن أمرت بالتراجع، وكان هذا الأمر فى محله ولكن الدبابات البريطانية كانت أسرع من المشاة المحملة فأوقعت فيهم عددًا كبيرًا من الجرحى ولم يكتب لهم الخلاص إلا بفضل المدفع عيار 88 ملم الذى أحضره من البردية الملازم "لاتوكى" التابع للفوج المدرع الثالث والثلاثين، وكان كافيًا أن يطلق هذا المدفع ثلاث طلقات حتى يعطل ثلاث دبابات بريطانية ويوقف تقدم 40 دبابة أخرى، وفى هذه المعركة تميز النقيب من تدمير 6 دبابات من طراز "مارك 2" بواسطة مدافع من عيار 75 مركبة على دبابتين ثقيلتين، وبات النقيب "كومل" يدعى باسم "أسد كابوتزو" بعد أن منح وسام "أوراق البلوط" تقديراً لعمله، وفى هذه المعركة أيضًا تمكن الفوج المدرع الثامن الذى كان يسيطر على الطريق المؤدى إلى "كابوتزو" من إنقاذ المقدم "كناب" ومعاونيه وهم مرافقة الملازم "كوهنود" والمعاون "مانكويز" والمعاون "جولز" ومعهم العداؤون التابعون للفوج وجنود الإشارة. وقد التقطهم الفوج المدرع الثامن بينما كانوا يتسللون إلى الخطوط الأمامية تحت جنح الظلام بعد أن دوت سيارة المقدم "كناب" فى المعركة، فاختبأ الجميع فى خندق بأسفل الطريق وجعلوا من على بعد 40 ياردة يراقبون

جنود دبابة بريطانية وهم يبحثون فى سيارة "كناب" عن الغنائم، فلم يقعوا إلا على بدلة المقدم العسكرية فأخذوها وهم يضحكون.

وكان موقف رومل فى معمعان المعركة بالغ الصعوبة، فقد فشل فى المحاولة التى بذلها لاستعادة "كابوتزو" وخسر الفوج المدرع الثامن معظم حملاته الميكانيكية كما قام البريطانيون لمطاردة الفوج المدرع الخامس من ميدان المعركة أثناء عودته. وكان لا بد له لكى يربح المعركة من الاحتفاظ مهما كلف الأمر بممر حلفاية وبنقطة الارتكاز فى الجنوب فى الموقع "تل 208"، فالممر يسيطر على طريق الإمدادات للمعركة التى تخوضها الدبابات فى منطقة البردية - طبرق وهو يقع على جناح القوات البريطانية، وكان البريطانيون يحضرون إمداداتهم بحراً إلى ميناء السلوم ومنها تنقلها الحاملات على طريق الساحل البرى. ولذلك كان الاستمرار فى احتلال الممر بالغ الأهمية، فأبرق رومل إلى القائد "باخ" يأمره بوجوب الاحتفاظ بممر حلفاية تحت كل الظروف، ولقد كان "باخ" عند حسن ظن رومل إذ استطاع أن يصد هجوم البريطانيين على الموقع خمس مرات متواليات تبودلت فيها نيران المدافع ساعة بعد ساعة ولما قلت أن الذخائر تمكن الرائد الإيطالى " باردى" من جمع قنابل المدفعية الإيطالية القديمة المخزونة فى الوادى وقام بتنظيمها وصقلها وتشحيمها وأخذ يطلقها على العدو المهاجم، واستطاع القائد " باخ" بعد أن وفق بالسيطرة على الممر أن يقوم بهجوم مضاد اضطر المشاة البريطانيين على إثره إلى الانسحاب من قرية حلفاية[1].

حاول الجنرال" وايفل" أن يغير مصير الحرب فى ليبيا بعملية البلطة هذه التى باءت بالفشل بعد أن استمرت 72 ساعة متواصلة غير أن ذكاء القيادة

(1) بول كارل - المرجع السابق ص65.

الألمانيـة وتفوق أسلحـة الألمان منعـاه من بلوغ مـا يريد ولـم يكن الأمر أمـر شجـاعة فحـسب بل كان هناك تفوق الأسلحـة وخاصة المدفع عـيار 88 ملم حيث يقـول الضابط البريطانـى الذى اشترك فى الحـرب العالمية الثـانية اللواء "إدموندز يونغ" :

(كان للألمان شيء يعتزون به، أعنى ذلك المدفع الجـبار من عيار 88 ملم الذى يستخـدم لغرضين خطيرين، فـهو مدفع مضاد للطائرات سـريع الحركة ويمكن استخـدامه أيضًا ضد الدبابات ويضـاف إلى ذلك أن لدى الألمان عتادًا حربيًا ينفـذ فى الدبابات المدرعة كما لو كانت قطـعًا من الزبدة. ويدل تقرير روبمل عن "فرقة الأشباح" دلالة قاطعـة على أن هذا الموقع الجبار لم يستخدم ضد الدبابات البـريطانية إلا بالقرب من "آراى"، ولكـن المعلومات التى لدى البريطانيين تدل دلالة قاطعة أيـضًا على أن هذا المدفع لم يستخدم فى "آراى" وأننا لم نصطدم به لأول مرة إلا فى 16 يونية 1941 فى الصحـراء الليبيـة، وعلى أى حال فلقد ظل ذلك المدفع سـلاحًا مردعًا بل إنه ظل كالسـحر تمامًا لقادة الدبابات ولغيـرهم إلى نهاية الحرب)[1]. ولم يكن هذا التفوق مـقتصرًا كذلك على المدفع عيار 88 ملم الذى اعتبـر معجزة الحرب العالميـة الثانية بل كانت هناك أيضًا الـدبابات الألمانية "مارك 3" و "مارك 4" كما أن وحدات النجدة الألمانية المنظمة أحسن تنظيم تمكنت من سحب الدبابات الألمانية المعطلة بالجرارات إلى خارج مـيدان القتال وإصلاحهـا فى الورش المتنقلة فخفّف هذا العمل كثيرًا من أثر الخسائر الكبيرة التى تكبـدتها الفرقة المدرعة الخامسة عشرة فى مركباتها وكان هذا العمل البارع محل دهشة البريطانيين ولم يتمالك المستر تشرشل نفسه من أن يعبر عن إعجابه بروبمل فى مذكراته.

(1) اللواء ادموندز يونغ - المرجع السابق ص 103.

لقد كان لهذا الانتصار نتيجتان مباشرتان، أولاهما: أن المستر تشرشل عمد إلى عزل الجنرال "وايفل" من قيادة الشرق الأوسط وتعيينه قائدًا عاما في الهند، وتعيين الجنرال " أوكلنك" مكانه، وهو قائد معروف بالحنكة والإقدام. والنتيجة الثانية: نفسية جعلت البريطانيين يتساءلون كيف السبيل إلى دحر الألمان وهل من المستحيل إلحاق الهزيمة بهم؟. وكان هذا التساؤل عامًا فى جميع صفوف البريطانيين حتى أن القيادة البريطانية باتت مقتنعة بانخفاض الروح المعنوية لدى جنودها. ويكفى أن نأخذ مثلا واحدًا على ذلك وضع الضابطين "كلارك" و"ميلر" اللذين تحدثنا عنهما فى البداية، فقد كانا واثقين كل الثقة من النصر عندما خرجا بدبابتهما من طراز "مارك 2" مع قوات الفرقة السابعة البريطانية التى اندحرت، أما بعد فشل الهجوم فقد انتهى عندهما كل شىء بانسحاب معيب تمكن الضابطان خلاله من التسلل فى الوقت المناسب من "حقيبة رومل الواسعة" التى تشمل "سيدى عمر" و"ممر حلفاية" و"كابوتزو"، ومما ساعد على انخفاض الروح المعنوية لدى البريطانيين تلك الهالة السحرية التى أحاطت برومل وجعلت منه فى نظر الجنود "قائدًا لا يقهر" وجعلت من اسمه - كما جاء فى تقرير أرسله القادة البريطانيون - أسطورة من الأساطير التى باتت تشكل خطرًا سيكولوجيًا على الجيش البريطانى. وقد سارت هذه الأسطورة فى الخطوط الأمامية، ونشرها الأسدى فى الأرض الحرام بين المتحاربين، أمَّا جنود رومل أنفسهم فلم يكونوا أقل تأثرًا بهذه الأسطورة بل كانوا يؤمنون بأنه رجل يحميه "صجاب" ويقولون "إن الرصاصة التى يمكن أن تصيب رومل لم تخلق بعد". وهذا ما كان يقوله حتى الرجال الذين عادوا من الحرب وأوسمة "الصليب الحديدى" و"صليب الفارس" تزين صدورهم.

ولا غرو فقد اعتاد جنود رومل أن يشاهدوه ينجو دائمًا من الخطر فى اللحظة المناسبة، فيبتعد بسيارته المدرعة قبل أن تنفجر قنبلة من قنابل العدو

بلحظات معدودات. وكثيرًا ما ردد قدماء المحاربين من ثعالب الصحراء قصصًا من هذا النوع، ومنها أن روMل حضر مرة بسرعة ووقف فى خندق من الخنادق التى يرقد فيها رجاله تحت وابل من نيران العدو الرشاشة فلا يستطيعون إظهار أنوفهم خارج الخنادق دون أن يعرضوا أنفسهم للقتل وكان الهجوم البريطانى قد توقف فوقف رومل فى الخندق ورفع يده فوق جنبيه ويعمى عينيه من أشعة الشمس اللاهبة وخاطب الجنود قائلا:

(ما بالكم أيها الرجال منبطحون على بطونكم إذا تأزم الموقف بعض الشيء) ولكن ماكاد ينتهى من توجيه هذه الكلمة إلى الجنود ويبتعد بسيارته المدرعة قليلا حتى عاد العدو ففتح نيرانه وسقط من الجنود الألمان عدد آخر من الضحايا. وهذه الحالة التى أحاطت باسم رومل جعلت بعض القادة فى أعلى المستويات يقررون ضرورة القيام بضربة جريئة، حتى أن بعضهم راودته فكرة أسر رومل، أما القائد الألمانى رومل فلم يكن ليتأثر أو يؤخذ بالأسطورة المكونة لدى الجميع عن مناعته وعدم إمكانية الفوز عليه، ولم تكن لديه فكرة عما يراود أذهان أعدائه بشأنه، بل كان فى يوم 18 يونية أى فى اليوم التالى لانتصاره فى المعركة قلقًا يتساءل كيف سقطت الحرب الليبية - المصرية، وكان رومل يعلم أن هتلر ورئيس هيئة أركان الحرب الألمانية العليا الجنرال "هالدر" مقتنعان بأن هزيمة البريطانيين النهائية فى مصر مستحيلة، ولكن الحرب هناك ليست إلا حربًا هامشية غايتها كسب الوقت وتحويل أنظار العدو عن جبهة الحرب الرئيسية التى هى الجبهة الأوروبية والتى تحظى بالقسط الأوفر من اهتمام هتلر وهيئة أركان الحرب العليا ثم إنَّ الهجوم الألمانى على روسيا بات قريبًا فلا أمل إذن فى تلقى أية تعزيزات مهمة من المدرعات والطائرات لميدان الجبهة الليبية - المصرية[1].

(1) بول كارل - المرجع السابق ص69.

الفصل الثانى
استراتيجية رومل ونتائج المعارك

- رومل والإستراتيجية العسكرية.
- النتائج المستخلصة من معارك رومل.
- إستراتيجية رومل فى المشرق العربى والبحر المتوسط.

رومل والاستراتيجية العسكرية:

إن القائد الذى لا يعميه كبرياؤه أو الانتقاص من أهمية خصمه قادر على استخلاص الدروس من هزائمه كما يستخلصها من نجاحاته، وكان رومل قد تأمل فى أحداث حملته الأولى فى الصحراء واستخلص منها بعض المبادئ التى كشفت عنها مذكراته، ينبغى على القائد أن يحشد قواته فى المجال والزمان مع محاولة تجزئة قوات خصمه. وتشكل طرق المواصلات النقطة الضعيفة لكل ترتيب. وعلى القائد أن يحمى مواصلاته الخاصة مع تهديده لخطوط مواصلات خصمه وأن مثل هذه المبادئ نابليونية وصالحة للتطبيق فى كل مسارح العمليات، ووجد رومل فى الحرب الخاصة التى قادها أن الدبابات تشكل هيكلها الأساسى، أما بقية الأسلحة فلا تشكل سوى أسلحة مساعدة وينبغى استغلال سرعتها إلى أقصى حد ممكن ومرونة مناورتها مع مساندتها بمدفعية متحركة جدًا وممونة بالذخيرة جيدًا وترمى لمسافة بعيدة مع تشكيل محاور حقيقية منها ومن المشاة فى المواقع المختارة. ويرتبط النجاح قبل كل شئ بكتمان سر العمليات وبالتضليل واستخدام الحيلة والمخادعة وبكلمة واحدة بالمفاجأة ثم بسرعة ردود فعل القيادة وبعملها المتواصل الذى لا يكل ولا يمل. وعلى القادة أن يكونوا فى الأمام ليتخذوا قراراتهم استنادًا إلى معرفة تامة بالوضع والمحافظة على تماسك قطعاتهم أو توطيد هذا التماسك ومنع الخصم من إعادة تنظيم نفسه فهل ينبغى عليهم أن يحاولوا القيام بعملية تتسم بالمجازفة؟ أو عملية جسورة؟ وقد رد رومل على هذا السؤال قائلا:

(ليس هناك أى حل مثالى، فلكل حل محاسنه ومساوئه، ولكن عندما يتم الاختيار ينبغى التمسك بالحل إلى النهاية وقبول نتائجه وكل حل وسط يمكن إدانته والحكم عليه، ولا يستطيع القائد أن يعتمد كلية خلال مثل هذه

العمليـة، حيث كل شيء يعـتبر مـجازفـة على قائد محلى، آمـلا بأن يجنى أقصى فائدة ممكنة من وضع معين لأن كثيـرا من القادة يستسلمون عند الحاجة للرعاية والراحـة، وعلى القائد أن يكون المحرك الأساسى للقـتال. وعلى كل فرد أن يفكر بالحـسابات التى ينبـغى عليه أن يقدمـها عندمـا يقوم بالتفـتيش الشخصى، ونحن بعيـدون جدًا فى الحقيقة عن المعركـة التى تديرها من بعيد (قيادة إدارية). ولا يريد روميل أن يدير القائد معركة كلعبة الشطرنج فيقول:

(فينبـغى أن تطور أفكاره بحرية وسط الشروط التى تحـيط به وينبغى أن يحسن بقـطعاته وأن يفكر معـها وهو على اتصـال دائم بها وأن يوحى إليـها بالثقة وينبغى على القـائد الذى لا يحس بأى تعاطف مع قطعته أن لا يتظاهر أو يتصنع بذلك. فللجندى حـاسة شم غريبة يميـز فيها بين الشـعور الصادق والشعور الكاذب). هذا هو المناخ النفسى لهجومه وكانت خطته تقليدية[1].

وبالرغم من أن روميل لم يكن شـهيراً ببعـد نظره الإستراتيـجى بل كان شهيرًا بأنه قائد موهوب من الطراز الأول على الصعيد التكتيكى، فقد برهنت الأحداث على أن نظرياته الإستراتيجية وخططه كانت نظريات وخطط واقعية. أو هى أقرب إلى الواقع من نظريات هتلر التى تأثرت بها إدارته لمعـارك الجبهة الروسية من مركز قيادته فى "وكر الذئب" فى راسـتبرغ بروسيا الشرقية، وإذا قارنا بين خطط هتلر الإسـتراتيجيـة التى انتهت نهاية مـفجعة وكـانت تقضى بعبور القوقاز والاستـيلاء على آبار النفط فى "باكو" فإذا قارنا هذه الخطط بما كان يراه روميل من ضرورة الاستيلاء على طبرق ثم الاندفاع إلى قناة السويس والزحف منها حتى البصرة والخليج العربى مع استخدام سوريا كقاعدة للقوات وكمركز رئيـسى للإمداد لوجدنا أن خطط هتلر الستراتيجـية كانت أقرب إلى

(1) إميل دنتيسى - المرجع السابق ص173.

الخيـال وخطط رومل كانت أقـرب إلى الواقع، وقد أيد هذه الحقـيقـة تقرير خطيـر وضعـه الجنرال "أوكلنك" تحت رقم 38177 عن الموقف الحـربى على الجبـهة الليبـية - المصرية بين شـهرى نوفمـبر 1941 وأغسطس 1942، وكان الجنرال " أوكلنك" صريحًا فى تقريره هذا فى الإعراب عن خشيته البالغة من تلك الخطة التى اقترحها رومل على هتلر والقـيادة الألمانية العليا راجيًا من الله أن يرفض هتلر وأركـان حربه هذه الخطـة وما ذلك إلى أنه كـان يسيـرًا على القوات الألمانـية كشف الجناح الشـمالى للقـوات البريطانيـة بالاستـيلاء على قبرص بواسطة رجال المظلات ثـم التقدم بسرعة وسهولة نحـو سوريا فالعراق وإيران حيث لا يوجد تحت تصرف القـائد البريطانى العام فى الشرق الأوسط إلا قوات ضئيلة لا تستطيع الصمود أمام الزحف الخاطف(1).

يقول رومل:

تعليق على معركة السلوم:

(أ) المدرعات البطيئة كانت نقطة ضعف الإنجليز.

كانت الخطة الإسـتراتيجية التى وضـعها ويفل للهجـوم ممتازة. والشىء الذى ميـز هذا القائد عن غيـرة من قادة الجيـش البريطانى شجـاعته الفـائقة الاتزان فى المجال الإسـتراتيجى؛ وهذا سمح لـه بحشد وتجميـع قواته بغض النظر عن أى تحركـات يحركـها عدوه. وكـان يعرف تمامًا ضـرورة تفادى أى عملية تمكن خصمه من القتال مـستخدمًا خطوطًا داخلية (ستارة المدافع 88 مم المضادة للـدبابات) وبذا يدمر تشكيـلاته الواحد تلو الآخـر بتفوق مـحلى فى

(1) بول كارل - المرجع السابق ص69.

القوى. ولكن الذى عاب موقفه؛ الدبابات الثقيلة التابعة لتشكيلاته المدرعة والمسماة بدبابات المشاة وكانت بطيئة للغاية؛ فهذا منعه من الرد بسرعة على تحركات مدرعاتنا الأكثر سرعة. ومن هنا كانت نقطة ضعفه بطء الجزء الأكبر من مدرعاته؛ والتى استغلناها تكتيكيا من جانبنا.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

«إن تقدير رومل العظيم لويفل يحمل فى طياته معان كثيرة؛ لأن تشرشل بعد أن خاب أمله بنتيجة هذه المعركة قرر بعدها مباشرة إحلال أوكنلك محل ويفل. ويتفق تحليل رومل للعامل الرئيسى فى فشل الإنجليز مع النبوءة التى تنبأ بها ويفل عندما أرسل فى 28 مايو برأيه للسلطات العليا؛ بعدم عقد آمالٍ كبيرة بالنسبة لنصر حاسم منتظر»

(ب) خطة ويفل كانت بسيطة للغاية:

وبتابع رومل مذكراته فيقول:

وكانت خطة العدو بسيطة للغاية ولكن الخطط البسيطة فى أغلب الأحيان أخطر من الخطط المعقدة؛ فتضمنت الخطة قيام الإنجليز بهجوم تثبيتى بالمواجهة للقوات الألمانية والإيطالية التى تحتل المواقع الدفاعية فى قطاع السلوم / الحلفاية مع دفع لوءاتهم الضاربة لتلتف حول الهضبة؛ ثم تهاجم نحو الشمال وبذلك يتم احتلال نقب الحلفاية بالهجوم عليه من كلا الجانبين. وكان البريطانيون متأكدون من نجاح هذا الإجراء بعد تجربتهم الناجحة فى مايو. وكانوا ينوون بمجرد فتح الطريق عبر النقب القيام بحشد كل قواتهم والتقدم شمالا؛ وبذا يخلون بتوازن مواقعنا فى الحلفاية/ السلوم. وفى غالب الأمر كانوا سينطلقون بعدها بكل قواتهم نحو طبرق لرفع الحصار عنها.

وفى هذه المعركة استخدم البريطانيون عدداً كبيراً من دباباتهم ماركة 2 (ماتيلدة) وكانت أغلب أسلحتنا المضادة للدبابات لا تخترق دروعها. ولكن مدفعها كان عياره صغيراً للغاية ومرماه قصيرا هو الآخر؛ كما أن ذخيرتها كانت من النوع الأصم الخارق للدروع فقط. ومن المثير للاهتمام أن هذه الدبابة سميت بدبابة المشاة؛ بينما مدفعها ليس له ذخيرة شديدة الانفجار ليشتبك بها مع مشاة الأعداء كما أنها كانت بطيئة جدا كما سبق القول.

وفى الواقع كان يجب أن تستخدم فى حشد كبير لتوجيه ضربة مباشرة لفتح ثغرة بالقوة بدون الاستخدام الفعلى للنيران.

وظهرت الدبابة كروزو ماركة 6 البريطانية فى معارك شتاء 1941/ 1942 للمرة الأولى وكانت دبابة مفيدة للغاية لسرعتها الكبيرة التى تزيد عن أربعين ميلا فى الساعة؛ ولكن مدفعها هو الآخر كان عياره صغيرا لكن عوض هذا الضعف فى العيار والمرمى بسمك الدرع؛ ولو سلحت هذه الدبابة بمدفع أثقل لوضعتنا فى مأزق.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

«كانت الدبابة كروزر ماركة 6 هى الدبابة المعروفة باسم «كروسيدر» ويجب أن نهتم برأى رومل فى هذه الدبابة بالرغم من عيار مدفعها 2رطل؛ لأن خيبة الأمل بالنسبة لها بسبب ضعف تسليحها جعل النقد يشتد عليها من الجانب البريطانى مع تجاهلهم لمزاياها. بينما كان رومل مخطىء فى قوله أنها ظهرت لأول مرة فى الشتاء لأن الإنجليز قد سبق أن استخدموا 50 دبابة منها فى معركة «باتل آكس» فى شهر يونية.

وكانت قوة اختراق مدفعها عيار 2 رطل 44 مم على مسافة ألف ياردة وهو أحسن بقليل من المدفع 50مم الألمانى الموجود فى الدبابة بانزر ماركة 3 أو

المدفع 75مم القصير الموجود فى البانزر ماركة 4. وكان سمك الدرع فى مقدمة البرج 49مم أما سمك درع البانزر 3؛4 فكان 35مم ولكن كانت باقى أجزاء الدبابة الكروسيدر أرق تدريعا. وعند ظهورها لأول مرة كثرت أعطالها الميكانيكية فأدى هذا لزيادة السخط عليها؛ علاوة على بعض الأسباب الأخرى».

ويتابع رومل مذكراته فيقول:

(ج) التعاون التام بين المدرعات والمدفعية:

وكانت النقطة الحرجة فى هذه المعركة هى نقب الحلفاية وقد دافع عنها الرائد باخ ورجاله ضد الهجمات العنيفة للعدو؛ كما أن كتيبة مدفعية الرائد باردى قامت بأعمال مجيدة خلال هذه المعركة وبذا أظهرت أن القوات الإيطالية يمكنها أن تقاتل ببسالة عندما تكون قيادتها جيدة. ولو استطاع البريطانيون الاستيلاء على حلفاية (كما كانت تقضى خطتهم) لتغير الموقف جذريا؛ لأنهم فى هذه الحالة يستطيعون الاندفاع نحو المواقع وعلى طول الساحل بالمواجهة ومن المؤخرة. وقد استخدموا مدرعاتهم تحت كل هذه الظروف بطريقة أفضل من الناحية التكتيكية وفى المنطقة شمالى سيدى عمر فشلت الوحدات المدرعة (التى ألقوا بها ضد قواتنا الضاربة) فى منع تقدم الفرقتين الخامسة الخفيفة والخامسة عشر بانزر؛ ويرجع ذلك للتعاون الرائع بين قواتنا المدرعة والمدفعية المضادة للدبابات والمضادة للطائرات؛ لذلك أمكن تدمير العدو بسهوله؛ وقد كان من الممكن إبادة الجزء الأكبر من القوة الإنجليزية شمال سيدى عمر لو أن قادة تشكيلاتى استغلوا الفرصة التى سنحت لهم مع تمسكهم بالمبادأة.

(د) قوات روميل تقاتل لآخر طلقة ولآخر رجل:

عندما انطلق الهجوم الألمانى شمال سيدى عمر لم يتمكن ويفل من نقل كل قواته من كابتزو إلى النقطة الحاسمة لمواجهة هذا الهجوم وذلك بسبب بطء دباباته الثقيلة.

ولم يكن أمامه سوى الانسحاب بسرعة؛ وقد انسحب بالفعل بأقل خسائر ممكنة. وقد ساهمت الحاميات التى تدافع عن النقط القوية فى السلوم بنصيب كبير من انتصاراتنا؛ فبعضها نجح فى صد كل هجمات الأعداء بينما قاتل البعض حتى آخر طلقة وآخر رجل.

وأحدثت هذه المعركة تأثيرًا ضخمًا فى قيادتنا العليا. وقد أخطرنى الجنرال رواتا (الذى حضر إلى الصحراء العربية) أن القيادة العليا الإيطالية أدركت ضرورة تدعيم قوات المحور فى الصحراء العربية بدرجة كبيرة.

وكان المفروض زيادة العناصر الألمانية إلى أربع فرق ميكانيكية؛ والإيطالية إلى فيلق مدرع (يتكون من ثلاث فرق) بالإضافة إلى فرقتين أو ثلاثة محملة؛ ولكن لسوء الحظ لم يدم هذا الحماس لوقت طويل.

ولو وصلت هذه النجدات إلى الصحراء العربية فى خريف عام 1941 مع ضمان إمدادها وتموينها؛ لاستطعنا صد هجوم الإنجليز فى الشتاء الذى تم فى برقة؛ وكنا سنصبح بعد ذلك على درجة من القوة تكفى لأن نتمكن من تحطيم الإنجليز فى مصر فى ربيع عام 1942 وبعدها نتقدم إلى العراق ونعزل بذلك الروس عن البصرة؛ وكان هذا سيمثل ضربة إستراتيجية قاصمة لخطط روسيا وإنجلترا معًا[1].

---

(1) مذكرات روميل - المرجع السابق ص102.

النتائج المستخلصة من معارك رومل:

يقول اللورد إدموندز يونغ البريطانى عن معركة البلطة: - لقد كانت عملية البلطة بعد أن أحرزت بعض النجاح أول الأمر؛ فاشلة غاية الفشل؛ فقد خسرنا فيها أكثر من مائتى دبابة؛ وكان بعضنا فى الوقت ذاتة يحارب دون سند من دبابات أمن ستار من الطائرات فى سوريا وتطارده الدبابات والمدافع المضادة للطائرات التابعة لفيش الفرنسية؛ ولا شك أننا أبدينا أشد الاستياء عندما علمنا أن مثل هذه العملية التى تبدو تافهة تمامًا؛ فقد استخدمت فى معركة البلطة ستة أسراب من الطائرات المقاتلة وأربعة أسراب من قاذفات القنابل وأكثر من مائتين من أحدث الدبابات؛ولذلك فمن الطريف أن يكون الجنرال «غون أذبك» والجنرال «غون راغتشين» والدنجر قد قالوا كل على حدة:

«إن هجومنا قد أولاه رومل غاية الاهتمام والعناية واعتبره بالغ الخطورة ويرى الجنرال «غون راغتشين»: - «أننا ارتكبنا خطأ جسيما حين هاجمنا أقوى نقطة لدينا وهى ممر حلفاية وخاصة بالدبابات وأن التفافنا حول الطرف الجنوبى للهضبة كان يجب أن يكون أوسع نطاقًا ولو تناحى إلى علمنا أمر المدافع من عيار88 مليترًا التى اختبأت هناك؛لكان من المحتمل أن نترك حلفاية وحدها وإنما كان هذا الشط الهائل من صفوت دباباتنا هو الذى ألزم دباباتنا من طراز «9» التابعة للواء المدرع؛ بما لها من مدى محدود بأن تنحرف شمالا إلى «كابوتزو» «ومما يبعث على الرضا على الأقل أن عملية «البلطة» هذه قد ضايقت العدو ولقد استمعت من «الدنجر» إلى قصة غريبة عن تلك الفترة.

فعندما ذهبنا إلى سوريا؛ أنكر الفرنسيون بشده أنهم يساعدون الألمان لقد كان الفرنسيون يقاومون تقدمنا؛ وكانوا على حد قولهم يفعلون ذلك لأننا نغزو أرضًا فرنسية وأنهم كانوا سيقاومون الألمان مثلنا تمامًا أو أى غازٍ آخر

ولقد قضيت ثلاثة أيام أسيراً بعـد أن تحطمت سيارتى خارج(المزة) بالقرب من دمشق وسـمعت مثل هـذا التفسـير من كثـير من الضبـاط فى القيـادة العليا الفرنسية وكـانوا يدلون به فى قوة وفى إخلاص ظاهر؛ أما حقـيقة الأمر فلم أحتد إليها بعد علمنا أن الفرنسـيين كانوا يمونون الطائرات الألمانية بالوقود فى طريقهـا إلى العراق لتـشد أزر ثورة رشيـد عالى الكيلانى ولـم يكن يبدو فى ذلك الحين أن يوجد أكثر من نفر قليلين من الألمان بالملابس العارية فى دمشق أو بيروت؛ أما قصة النقيب فـهى أنه قبل أو بعد «عملية البلطة» هبطت طائرة فرنسـية فى البردية قادمـة من سوريا وأدخل ملاحهـا فوراً إلى روملِ ومكث عنده أكثر من ساعة ثم عاد إلـى سوريا مرة أخرى فإذا صح هذا «والدنجر» لا يكذب فمن المحـتمل أن يكون هذا الطيار قـادماً من الجنرال دنتز قـائد قوات فيشى الفرنسية وهذا ما أزعج بريطانيا ولم تفهم أبعاد ذلك.

فيـما يلى الدروس المستـخلصة من الحـملة العسكرية للفـيلق الأفريقى الألمانى بقيادة روملِ فى الجبهة الليبية المصرية(1):

(1) توخى الهدف السوقى:

ليس هناك أى مبرر للتخلى عن الهدف السوقى فى سبيل قضية جانبية؛ فقد ثبت للقيادة الألمانية أنها إزاء عداء شديد يتمثل بالقيادة السياسية البريطانية التى رفضت كل مـساعى إنهاء الحـرب وكان الواجب على «هتلر» أن يتـفرغ لمقاتلة بريطانيا بكل جهوده لكنه فتح جبهة ثانوية فى ليبيا ومصر واستمر على مواصلة الاستعدادات للهجوم على روسيا بينمـا كانت جبهة ليبيا - مصر هى الجبهة الرئيسية بالنسبة لبريطانيـا التى أخذت تحشد كل قواتها المسلحة لتحقيق النصر فيها.

(1) اللواء فاروق الحريرى - المرجع السابق جـ1 ص228.

(2) جمع المعلومات:

اعتمد رومل فى إدارته للحركات مع الاستطلاع الشخصى الذى كان يقوم به بالطائرة وعلى المعلومات المتقنة التى حصلت عليها قطعة الاستطلاع الإلكترونى الملحقة بمقره فكان يهجم على المواضع الضعيفة بقوات متفوقة ويدمر المناطق الإدارية ويستولى على الأكداس.

(3) تقدير الموقف:

(أ) كان القائد البريطانى الجنرال (ويفل) قد قدر الموقف وتوصل إلى نتيجة مفادها أن لديه متسعًا من الوقت ريثما يتحشد خصمه ولما عاد لتقدير الموقف على ضوء المعلومات الجديدة التى حصل عليها من مختلف المصادر بقى متأثرًا بتقديره السابق للموقف ولم يتوقع هجوم الألمان بهذه السرعة.

(ب) - كان رومل يقدر الموقف بسرعة ويتوصل إلى نتائج مفيدة نتيجة لكل تطور يطرأ على الموقف السائد ويستفيد من القوات المتيسرة لدية مستغلا خصائصها فكانت ارتال التطويق مؤلفة من القوات الآلية والمدرعة أما القوات التى خصصها لحصار طبرق فكانت من تشكيلات المشاة الإيطالية المتفوقة عددًا.

(4) التأقلم وتوفير المتطلبات الضرورية:

رغم أن أغلب القوات المتقاتلة من الطرفين كانت قوات أجنبية عن الصحراء الليبية - المصرية العربية وهى بالتالى غير متعودة على العيش فى طقسها المتغير من الحرارة الشديدة نهاراً إلى البرودة الشديدة ليلاً مع خصائص الصحراء المؤثرة على الإنسان والمعدات فإن القوات الألمانية أثبتت قدرتها على

التأقلم وهيأت المتطلبات الضرورية لإدارة الحركات فى الصحراء كالماء ومصافى الوقود للآليات والأدوية اللازمة للتعايش فى الصحراء وهى أمور أغفلتها القيادة الإيطالية التى كانت قواتها تحتل القطر الليبى منذ عشرات السنين

(5) استخدام الآليات:

أثبتت الحركات الجارية فى الصحراء أن الفوز يتحقق للفريق المرن الذى يتمكن من نقل قطعاته بسرعة على مختلف الاتجاهات وهذا يتطلب وجود آليات كافية لتنقل القطعات وهذا ما حققه الألمان بتخصيص فيلق مدرع وحققه البريطانيون بصورة جزئية عندما خصصوا فرقة مدرعة ولواء آليًا للمشاركة فى العمليات. أما الإيطاليون فلم يكن لديهم سوى فرقة مدرعة واحدة هزيلة بالدروع من مجموع 14 فرقة.

(6) مساوئ الحصار:

قبل البريطانيون حصار قواتهم فى طبرق وأخذوا يجمعون تشكيلاتهم الإضافية فى ذلك الميناء على أمل الاستمرار على إدامة تلك القوات من البحر، إلا أن هذا الإجراء قيد كل تشكيلاتهم المحصورة وحرمها من المساهمة فى الحركات السيارة وأصبحت عالة على قيادتها.

(7) أهمية الأكداس:

إن حاجة القطعات فى حروب الصحراء إلى مياه الشرب ولمقادير وفيرة من الوقود والعتاد والمواد الاحتياطية. ثم إن المسافات الطويلة من موقع إلى آخر تجعل الأكداس من الأهداف المغرية التى يحاول كل فريق الاستيلاء عليها بغية الاستفادة منها أو تدميرها بقصد حرمان الخصم منها. وقد أدرك رومل

هذه الحقيقة فجعل موقع «المخيلى» الذى كانت فيه أكداس القوات البريطانية من الأهداف المهمة وقرر الاستيلاء عليه حال اكتشافه لوجود الأكداس فيه.

(8) تضليل الخصم:

أراد الفريق رومل تمويه خصومه بإظهار قواته بصورة أكبر من حقيقتها فاستعرض القوة المتواضعة التى وصلت معه إلى طرابلس لكى يخيف خصومه عندما تصلهم معلومات مبالغ بها عن قواته من وكلائهم وجواسيسهم كما أنه أرسل بضع عجلات لإثارة الغبار الكثيف من عدة اتجاهات لكى يصور لخصومه فى الميدان أن قواته كبيرة جدًا وتتقدم بأرتال متعددة من مختلف الاتجاهات.

(9) التحشد:

دأب رومل على تحشيد قوات متفوقة - وبخاصة من الدروع - فى النقاط الحرجة التى يختارها ويركز عليها هجومه من عدة اتجاهات بغية تحطيم مقاومة الخصم.

(10) المهارة فى استخدام المعدات:

استفاد الألمان من المعدات المتيسرة لديهم بكفاءة واضحة كاستخدام مدافع 88 ملم م/ ط بمهمة مقاومة الدبابات بنجاح وطائرات اللقلق الخفيفة بمهمات الاستطلاع والأجهزة اللاسلكية لسرقة المكالمات الهاتفية للقوات البريطانية.

لم تقف بريطانيا مكتوفة الأيدى إزاء الانتصارات التى حققها الألمان لصالح إيطاليا فى ليبيا بعد أن حققوا انتصاراً سريعا فى حملتهم على البلقان وتم طرد القوات البريطانية من اليونان؛ وإنما اتخذت الإجراءات المهمة التالية:

(1) مضـاعفة جنود الأسطول البـريطانى (المتفوق نوعـيا على الأسطول الإيطالى) فى البحر المتوسط للقضاء على سفن التموين وسفن نقل القطعات والتجهيـزات إلى قطعات المحور فى إيطاليا ومن اليونان. وقد أفلـح البريطانيـون فى هذه الإجراءات إلى حـد بعيـد لدرجة أثرت على سير الحركات فيما بعد.

(2) إقالة القائد الجنرال «ويفل» وتعـيين الجنرال «أوكنلك» بدلا عنه؛ ثم إبدال الآخر فيـما بعد بتعيـين الجنرال «مونتغومـرى» قائداً للجيش الثامن الذى تفاعلت تشكيلاته بصورة تدريجـية من مختلف مصادر بريطانيا.

(3) حمـاية ظهر القـوات البريطانيـة فى مصر بالاستيـلاء على سوريا ولبنان بعد القضاء على ثورة العراق فى 1941 والتحول نحو سوريا ولبنان لطرد أتباع حكومة فيشى الفرنسية من ذينك البلدين[1].

وهكذا انتهت «عـملية البلطة» بفوز الألمان وقـد كانت من أكبر مـعارك المدرعات التى شهدتها الصحراء حتى ذلك التاريخ؛ ولم تتجاوز خسائر الألمان فيها 93 قتيلا و235 مفقوداً و350 جريحًا؛ ولم تتجاوز خسائرهم فى الدبابات 12 دبابة فقدت و50 دبابة تعطلت؛ بينما بلغت خـسائر البريطانيـين أكثر من مائتى دبابة دمرت وأصـيب عدد آخر من دباباتهم إصابات بالغة؛ كـما فقدوا 122 قتيلا و259 مفقوداً و599 جريحًا؛ ولكن هل يعطى رومل الوقت الكافى للبريطانيـين حتى يتعلموا الدرس اللازم من هزيمتـهم؟ ذلك هو السؤال الذى كان يرتاد الأذهان خلال الصيف 1941 ولم يكن رومل وحده صاحب الكلمة فى تقرير الجواب.

(1) اللواء فاروق الحريرى - المرجع السابق جـ1 ص227.

ثم عاد روميل فكتب لزوجته يوم 23 يونية 1941 :

مضت أيـام ثلاثة وأنا أسير عـلى الطريق فى أفق ميـدان المعركـة ولقد غمرت الفرحة الكبرى أفراد الفيلق الأفريقى

لقد كـان البريطانيون يفكرون بـتدمير دبابـاتنا الأربعمائة ولكن تجـمعنا والمقاومة الضاربة للوحدات الألمانية والإيطالية التى بقيت مطوقة طوال يومين؛ قد ضمنتا لنا فرصة توجيه ضربتنا الحاسمة بكافة القوى المتحركة المتوافرة لدينا وقد يعاود العدو محاولته وعندها سيتلقى ضربة أكثر قوة وأشد صلابة.

وكتب إلى زوجته يوم 28 يونية 1941 :

لم تعد بك حاجة للقـلق على صحتى؛ فأنا بأتم صحة وعافـية وتتوافر الشروط الصحـية بدرجة أكبـر فى المنطقة التى وصلنا إليها حـاليًا وهى ترتفع 180 مترًا عن سطح البـحر والأكثر من ذلك لقد وجـدت نفسى داخل بناء له أربعة جدران كان رئيس هيئة أركـانى «الدنجر» - مريضًا لأيام خلت وقد تماثل للشفاء لدينا عمل ضخم.

ثم عاد يكتب رسالة أخرى يوم 3 يولية1941 :

الحرارة لاهبـة حقًا فى الليل. أتقلب على سـريرى؛ وأتقلب؛ وسواقى العرق تغرقنى. لقد سعدت وأنا أسمع أن أخبار انتصارنا قد ترددت فى روسيا بقوة ولكننى لا أخدع نفسى أبدًا - فعناد أصدقائنا - البريطانيين - سيحملهم على العودة للهجوم عاجلا أم أجلا. وقـد بدأت تردنى رسائل التهنئة بمناسبة ترفيعى لرتبة قائد المدرعات رغم أننى لم أتلق هذه الرتبة رسميًا وأعتقد أنه قد تم الإعلان عن ذلك بواسطة الإذاعة - الراديو.

وكتب روميل فى يوم 5 يولية1941 :

أقضى قسما كبيرًا من وقتى فى تفقد القوات والتردد على الوحدات وبقيت بالأمس ثمانية ساعات وأنا أسير على الطرقات. وباستطاعتك تصور مدى ما أصابنى من الظمأ؛ بعد مثل هذه الجولة. آمل أن أتمكن من التوجه بالطائرة خلال خمسة عشر يومًا للمثول أمام القيادة العليا للفوهرر. وقد يكون من غير المناسب القدوم قبل أن تنتهى المشكلة مع روسيا بشكل أو بآخر. لأنهم فى مثل هذه الحالة لن يعيدوا كثيرًا من الاهتمام لمتطلباتى ولن يوافقوا عليها. شعرت بالسعادة عندما علمت أن ما نفرد (ابن روميل) قد أظهر تفوقًا فى الرياضيات؛ ويتعلق ذلك بنهج التعليم وأشعر بالرضى أيضًا إذ هو تابع نجاحه فى دراسته.

إنى أناضل ضد البعوض حتى لا يجتاح مكتبى؛ وأبقى فى الظلام وأوقع بالبعوض خسائر كبيرة وأعمل وأنا أكتب على توجيه ضربة إلى هنا وإلى هناك ما بين فترة وأخرى.

دوى انتصار روميل دويا هائلا فى العالم وتردد صداه عميقًا فى وسط القيادة العليا للمحور؛ وجاء رئيس هيئة الأركان الإيطالى - الجنرال «روانا» - بعد هذا الانتصار بقليل إلى ليبيا وأعلم روميل أن القيادة الإيطالية العليا ترى أن لابد من دعم قوات المحور فى ليبيا وزيادة حجمها؛ بحيث يرتفع عدد الفرق الألمانية إلى أربع فرق آلية؛ وبحيث ترتفع القوات الإيطالية إلى مستوى الفيلق الذى يضم ثلاث فرق مدرعة وفرقتين أو ثلاث آلية محمولة - وافترض روميل - بالاستناد إلى هذه المعلومات أنه إذا ما تم وصول الدعم فى خريف عام 1942؛ وإذا ما أمكن ضمان الإمدادات؛ فإنه سيصبح لديه ما يكفى من القوات لإبادة القوات البريطانية فى مصر خلال فصل الشتاء من السنة التالية

1942 ثم لاجتياح بلاد الشام والوصول إلى البصرة والتقدم منها شمالا لقطع روسيا وتجزئتها وستكون ضربة مزدوجة لبريطانيا وروسيا فى وقت واحد[1].

إستراتيجية رومل فى المشرق العربى:

ولت البقية الباقية من الصيف فى هدوء وكان كل من الفريقين ينظم صفوفه ويستعد للقتال؛ ولم تكن الظروف فى ذلك الوقت مواتية لرومل؛ فالقيادة الألمانية العليا قد ركزت اهتمامها بالجبهة الروسية وحدها وتخلت عن سواها ولذلك فلم تكن تبدى أدنى اهتمام بالقتال فى ليبيا. ولم يكن مستبعدًا؛ أن يشن الألمان هجومًا على قناة السويس أو على إيران. ولكن هذا لم يكن لتفكر فيه القيادة الألمانية العليا على أية حالة إلا بعد أن تهزم روسيا لأن مثل هذا الهجوم لا يتيسر إلا عبر الأناضول والقوقاز؛ إذن فلم يكن الدور الذى يقوم به الجيش الألمانى فى ليبيا سوى دور ثانوى للتدعيم؛ ولم يكن متوقعًا لذلك تزويده بفرق جديدة أخرى ولا كان فى استطاعته تنظيم خطوط إمداداته إلا بمهاجمة جزيرة مالطة وإذن فليس على رومل إلا أن يقصر جهوده على وضع خطة يستولى بها على طبرق. فإذا سقطت فى يده كان ذلك حسبه؛ وكان عليه أن يقف عند السلوم دون التقدم إلى مصر؟ أما لو فشل فى الاستيلاء على طبرق فعليه أن يبنى خطتة على أساس الارتداد إلى الغزالة! وكان كل من الألمان والبريطانيين ينظرون إلى رومل على أنه - من الناحية العسكرية - ليس أكثر من شخص ماهر فى اقتناص الفرص على أنه قد يحسن التكتيك ولكنه ليس أهلا لأن تكون لديه أفكار عن الفن الإستراتيجى؛ والواقع أن القول بأن رومل كان أعرف بالتكتيكات الكبرى منه بالأعمال الإستراتيجية قد يكون صحيحًا. ولكن أليس من المدهش حقًا أن يعين رومل

---

(1) بسام العسيلى - المرجع السابق ص 137.

مدرسًا فى بوقدام إذ لم يكن قادرًا على استيعاب النظريات الإستراتيجية الكبيرة؟! وهل يكون أدعى للدهشة ألا يتعلم رومل شيئًا من هذه النظريات خلال تلك السنوات التى قضاها هناك؟! لقد أبدى رومل خلال تلك الفترة من الخبرة الفنية الإستراتيجية أكثر مما يبديه الإستراتيجيون المحترفون!!

يقول الضابط البريطانى اللواء «وزموند يونغ»: - ولقد ذكر لى «فون رافنشيتن» أن الخطة التى وضعها رومل رسميًا فى يولية عام 1941 للاستيلاء على قناة السويس؛ كانت خطة محكمة واسعة النطاق وأن ذلك الهجوم أو التقدم الذى أحرزه رومل حينذاك لم يكن سوى مقدمة لزحف آخر نحو البصرة؛ وكان الهدف الذى يرمى إليه من وراء ذلك هو وقف تدفق الإمدادات الأمريكية إلى روسيا عبر الخليج العربى عن طريق ميناء بوشهر فى إيران، وأنَّ إمدادات رومل الخاصة بعد هذه المرحلة الأولى؛ فكان مقدرًا لها أن تكون عبر سوريا إضافة إلى هذا فإن رومل كان يرى أن تركيا قد ترغم على الانضمام إلى جانب ألمانيا إذا سارت الأمور على ما يرام فى روسيا وليبيا لأن تركيا قد تهاجم وتستسلم فورًا؛ وقبل أن يحكم الفارس على هذا المشروع بأنه وهمى أو خرافى؛ كما فعلت القيادة الألمانية العليا؛ التى لم تر إلا المرحلة الأولى منه؛ يمكن أن يقرأ رسالة الجنرال أوكنلك رقم «38177» عن حوادث الشرق الأوسط من أول نوفمبر عام 1941 إلى 15 أغسطس 1942؛ وسيرى القارئ كم كان لدينا من الجنود لنحتفظ بسوريا بعد أن استسلمت قوات فيشى الفرنسية؟ وكم كان لدينا من الجنود فى العراق وإيران؟ وكيف كان من السهل على رومل أن يستولى على قبرص بجنود تنقلها الطائرات فى أى وقت قبل صيف عام 1942؛ وكيف كانت الجبهة الشمالية الشاغل الذى يشغله على الدوام. فقد كان رومل يخشى أن يشن هجوم من القوقاز. ولكن حينما كان

هذا الهجوم ومن أى ناحية أتى؛ فإن قـواتنا كانت من الضعف بحيث تستطيع الوقوف فى وجـهه؛ وخاصـة إذا كان الهجـوم قويًا؛ ومن المناسب أن نتـذكر أرقام هذه الإمدادات التى بلغت روسيا عبر الخليج العربى[1].

أما رأى رومل فى غزو«مالطة» فكثيرًا ما ذكر لهيئة أركان حرب كما ذكر لزوجته فيـما بعد؛ أن لا يستطيع أن يفهم الأسباب التى جـعلت القيادة العليا الألمانية تحجم عـن الاستيلاء على «مالطة» فى حـين كان الاستيـلاء عليها فى رأيه من الممكن أن يتم فى أى وقت خلال صيف عام 1941 باستخدام الدخان الصناعى والجنود الذين تحـملهم الطائرات. ولعـل من أسبـاب اهتمـام رومل بالاستيلاء على مالطة أن 53٪ من إمداداته كانت قد أغرقت فى أغسطس وأن 63٪ منها أغرقت فى أكتوبر ولـم تصح القيادة الألمانية العليا عن غفوتها فتدرك أهميـة مالطة إلا عندما ارتفع مـجموع ما أغـرق من إمدادات رومل إلى 75٪ وحينئذ أدركت أن جزيرة مالطة تتحكـم فى البحر المتوسط فأرسلت عددًا من زوارن الطوربين وعززت سلاح طيـرانها فى صقلية وكانت النتـيجة أن الألمان فى أوائل عام 1942؛ أى حينما وضع رومل خطة هجومه تمكنوا من الإشراف على المنطقة الوسطى للبحر المتوسط.

ويرجع جـانب من هذا النشاط الألمانـى إلى مسـاهمة أفـراد الشبـيبـة الإيطاليـة الذين شقـوا طريقـهم إلى ميـناء الإسكندرية وأغرقـوا السـفينتـين الحربيـتين البـريطانيتـين والوحدتين «كـوين اليزابيـث» «وفاليانت» وهـما فى مراسيهما. ولم تشـأ القيادة العليـا الألمانية أن تعزز قوات رومل بفـرق ألمانية أخرى. كما يبدو أنها لم تفكر حتى فى تعزيز قوات رومل؛ ويرى «كسيلرنغ» أن القيـادة الألمانية رغم تمكنهـا من عزل مالطة وتعطيل اسـتخدامـها كقـاعدة

(1) بول كارل - المرجع السابق ص106.

بحرية؛ لم تحاول قط الاستيلاء عليها وظلت كذلك إلى نهاية إبريل 1942؛ حين أذن هتلر بتأثير الأميرال «رايدر» وبعد مباحثة مع موسولينى فى أن يقوم جنود المظلات الألمان والإيطاليون بهجوم مفاجئ على مالطة فى أوائل شهر يونية ولقد كتب المندوب البحرى الألمانى فى ذلك الاجتماع يقول:

«بالرغم من أن تأجيل غزو مالطة والاستيلاء عليها ليس مما يرحب به إلا أننى كنت مغتبطًا أشد الاغتباط حين رأيت هتلر مهتمًا أشد الاهتمام بهذه المنطقة الخطيرة. فالأمور الحربية جميعًا قد صبحت موضع الاهتمام الشديد؛ بعد أن ظلت حتى ذلك الحين مسألة ثانوية والانتصارات فيها تعد هبة سماوية دون القيام بأى شىء جدى من أجل مسرح الحرب الإيطالى على أن فكرة الهجوم قد أرجئ تنفيذها مرتين. ففى أول يولية وفى آخر لحظة أرجأ هتلر غزو مالطة إلى أن يتم غزو مصر. ولم يستشر فى ذلك حلفاءه الإيطاليين بل لم يستشر حتى القيادة البحرية الألمانية وربما كان قد استشار «كيتل» «وبودل».

شعر كبار ضباط الفيلق الإفريقى الألمانى فى أوائل صيف عام 1941 بعد انتصارهم الأول بأن القيادة الألمانية العليا تنظر إلى مسرح الحرب فى صحراء ليبيا. على أساس أنة ميدان جانبى أو أنة ليس أكثر من «التقاط - الكستناء - من النار وإعطائها للإيطاليين». لقد كانت التعزيزات الجوية ممكنة ولا شك؛ فلماذا لم ترسل إلى رومل أسراب أخرى من الطائرات المقاتلة؟ لقد تحدث الجنرال «فون ايزبك» فى ذلك فقال:

«أذكر أن الفيلد مارشال «ميلخ» من سلاح الطيران الألمانى جاء فى رحلة تفتيشية فى مايو عام 1941 ورحنا نتضرع إلى الله جميعا أن يبعث إلينا سلاح الطيران البريطانى فيغير علينا غارة جوية عنيفة ليرى المارشال «ميلخ»

يرتدى بزة بيضاء جميلة. ولم أر نفسى مسرورا كما رأيتنى حين نزل "ميلح" فى خندق؛ فلما خرج من الخندق كان سرورى أشد؛ لأن ذلك الخندق كان من الخنادق التى يلقى الخدم فيها فضلات المطبخ!![1].

كتب روميل عدة رسائل فى هذه الفترة فيما يلى هذه الرسائل:

21 أغسطس 1941:

لا يوجد ما يستحق الذكر. لقد زارنى بالأمس القائد العام الإيطالى مرة أخرى ولكن بصفة صديق. وأننى غير موافق فى المجال الرسمى على بعض الأمور التى وقعت وقلت رأيى فيها بصراحة، ولذلك اعتبرت هذه الزيارة على أنها لإثبات حسن النية. سيزورنى اليوم عدد من الزوار. وسيكون من ضمن قائمة الطعام دجاج ولن أترك نصيبى بالرغم من النظام الصارم الذى أتبعه فى الأكل. وهذه الأساليب المستمرة تفقد بعد فترة من الزمن حيويتها. وأنا مسرور جدا بالرتبة الجديدة «كان روميل قد عين قائداً لمجموعة البانزر الأفريقى» لأن كل الذين يتولون هذا المنصب فى رتبة المشير «كان الجيش الألمانى به الرتبتين: المشير والغازى». ولو استمر الحال هنا على ما أرجو فسأرقى أنا الآخر إلى هذه الرتبة بعد انتهاء الحرب.

26 أغسطس 1941:

لم أكتب لك بالأمس لأننى كنت أتحرك طوال اليوم. وقد عدت بعدها إلى مقر قيادتى الجديدة. وفى المساء تحركت إلى قواتى. وهناك أسراب لا تنتهى من الذباب وسينفعنى جدا الشريط اللاصق المضاد لها.

---

(1) اللواء إدموندر يونغ - المرجع السابق ص 108.

27 أغسطس 1941:

لا جديد. والحرارة مخيفة ليلا ونهارا. وقد قضيت على أربع بقات. وقد نصبوا سريرى فى أربع صفائح مملوءة بالماء وأرجو أن تصبح الليالى القادمة أكثر راحة مما كانت عليه حتى الآن.

وتقضى قواتى وقتًا مرهقا مع الحشرات التى تركتنى وحالى حتى الآن.

28 أغسطس 1941:

إن صحتى جيدة وحالتى رائعة. وكل شىء على ما يرام. وأنا مرتاح للغاية مع رئيس عملياتى الجديد «جاوزى» وهو ذات أهمية عظيمة لى. ولسوء الحظ أن البق لم يزل يهاجمنى فقد قتلت أربعة فى الأربعة وعشرين ساعة الأخيرة . ولكنى أرجو أن أنتصر فى هذه الحملة هى الأخرى.

29 أغسطس 1941:

الحرارة مميتة وسنضطر للذهاب إلى البحر بعض الوقت. وفيما عدا ذلك فلا جديد وهناك إشاعات قوية بقرب الهجوم الإنجليزى ولكن لن يزيد هذا على أنه إشاعات. فهم يقومون الآن بحشد القوات لإيران لأن مواصلاتهم مع روسيا عبر سيبيريا مهتزة للغاية بسبب موقف اليابان، ولذا لن يتبقى أمامهم سوى الطريق عبر الخليج العربى. وهذا الأمر يبدو مقامرة خطيرة غير مأمونة العواقب. وأغلب الأمر أنهم سيصلون هناك بعد فوات الأوان. لقد أمضيت هذه الليلة بدون بق! أو ربما أكون قتلتها كلها، علاوة على أننى قد سيطرت على الذباب فى غرفتى.

30 أغسطس:

توافرت لنا الإقامة الجيدة فى مركزنا الجديد. تخلصت من البق. بعد أن أغرقت سريرى بالبترول، وأوقدت فيه النار. ويظهر أن البق كان يختبئ فى هيكل السرير - لقد استحمينا بالأمس فى مياه البحر التى كانت حارة جدًا فلم تساعد على إنعاشنا وتبريدنا. وهناك قطار من العربات فى طريقه إلينا - نظريًا - ولكن يحتمل أنه غرق في مياه البحر. ونحن هنا لا نستطيع أن نفعل شيئًا.

7 - القيادة الإيطالية تحاول تغيير رومل:

3 أغسطس 1941:

الحرارة شديدة مرة أخرى وقد وصلت لدرجة أننا نتصبب عرقا فى الصباح المبكر، وفيما عدا ذلك لا يوجد ما يستحق الذكر سوى أن القيادة العليا الإيطالية غير راضية لأننى لا أضعها فى الاعتبار، وهم يحاولون إثارة أى زوابع على التفاصيل الصغيرة العديمة الأهمية، ولكننا لا نقبل هذه التصرفات بسهولة وهم يحاولون الوصول إلى التخلص منى أو حتى من القوة الألمانية بكاملها. ومن جانبى فلن آسف على تغيير مسرح العمليات.

10 سبتمبر 1941:

ومساء الأمس ذهبت للصيد مع الرائد فون ملنثين والملازم شميدت. وكانت رحلة مثيرة للغاية. وأثناء تحركنا بالسيارة أصبت غزالا كان يعدو. وفى العشاء أكلنا الكبد وكان رائعا. وننتظر اليوم زائرًا مهمًا وهو الرائد ملشبورى أحد الخاصة المقربين للدوتشى. وأرجو الكثير من وراء هذه الزيارة لأن شعورهم نحونا هذه الأيام غير ودىّ. فالأحوال قد تغيرت؟ ولكننا بخير ولن نفرط فى أى شىء. مضطر للتوقف لأن وصول الزائر قد قرب.

29 سبتمبر 1941 :

كانت الأيام القليلة الأخيـرة مثيرة. فقـد وصلت إلى بنى غازى شحنة كبـيرة واسـتمـرت عمليـة التفـريغ 50 ساعـة، وتم كل شيء على ما يرام، وتستطيـعى أن تتخيلى مدى ابتـهاجي بهذه الشحنة، فنظرًا للحـالة السائد فى البـحر المتـوسط فليس من السهل الحـصول على أى مـدد عبـره. ونحن فى الوقت الحـالى نمثل الدرجة التـالية فى الأهمـية لمسـرح العمليـات الروسى، ويجب أن نرضى بالفائض بعد أن يستكمل احتياجات المسرح الروسى.

ولكن على أى حال فقواتنا فى روسـيا تتقدم بطريقة مرضية وسـتصيبنا القرعة فى المرة التالية.

والريح تصفـر فى الخارج بالرغم من عـدم وجود «جيـبلى». وفى هذا المساء سيقوم جونثر بتقديم البطاطس المحمرة وأنا متلهف لتناولها بعد امتناعى عن طعامى المعتاد عدة أيام.

6 أكتوبر 1941 :

بالأمس لم أتمكن من الكتابة فقد أتعبتنى معدتى مرة أخرى. فقد أكلت حمـامة فى الليـلة السابقـة والظاهر أنها جـاءت من مخـازن رمسيس الـثانى مباشرة، وبالرغم من استمرار طهـيها لمدة ست ساعات فكانت مثل الجلد ولـم تستطع معدتى تحملها.

7 أكتوبر 1941 :

معدتى بخيـر والحمد لله وأنا أتحرك باستمـرار وحالى رائع. وما رأيك فى موضوع الأجازة؟ فأظن أننى أستطيـع فى أوائل نوفمبر الهروب إلى روما لمدة أسبوع لإنهاء بعض الأمور هناك. وبالطبع سـأضطر للعودة لقيادة المعركة

ولذا أرجو أن يتم وصول الإمداد فى هذا الحين حتى أتمكن من دخول المعركة بنجاح. وبذلك أستطيع القيام بأجـازتى فى أواخر نوفمبر. وأنا أعرف أن هذا الوقت غـير مناسـب للإجازة ولكننى سـأتعـود على البـرد بسهـولة. ولكن للظروف السائدة فهذا الوقت يعتبر أحسن الأوقات لى.. وتستطيع الإمدادات قلب خطتى رأسًا على عقب وتجبرنى على التأجيل لا داعى له.

9 أكتوبر 1941:

وبالأمس تلقيت أنباء سـارة من فوجنرايتر[1]. وقال لى أن نصـيبى من الطبعة الأخيرة المباعة من كتابى لا يقل عن خمسة وعشرين ألفا من الماركات. وفى نفس الوقت أخطرتنى شركة ميـتلر أن رصيدى ألف مارك[2] والحقيقة أن كل هذا الكلام جميل كبداية. وبعد كل هذا الكلام سـمعت البلاغات الخاصة بالجبهة الشرقية. وأظن أن بريطانيا سـتبدأ فى الإحساس بالقلق. أمامى عمل كثير هنا. وسيصل جامبارا ولكنى أشك فى أن أنبائه ستكون سارة.

10 أكتوبر 1941:

لقد عقـد بالأمس مؤتمر عنيف وسننهيه اليـوم. وليس هناك ما يبرر كل هذه الضجة، لأنها بخصوص الأشياء المعتادة، وأنا بحالة جيدة والحمد لله من الصباح إلى المساء.

12 أكتوبر 1941:

أخبار رائعة من روسيا! فبعد الانتهاء من المعارك الكبرى سيستمر التقدم بسرعة نحو الشرق وبذلك يصـعب على العدو تشكيل قوات جديدة ويبدو أن

---

(1) ناشر رومل.

(2) يشير رومل هنا إلى كتـابه «المشاة فى الهجوم» الذى بيع منه 40.000 نسخة فى ألمانيا قبل وأثناء الحرب.

العمال الإنجليز قد بدأوا فى التمرد. وبالطبع ترغب انجلترا فى الهجوم، ولكن ليس لديها القوات ولا العتاد اللازمين لعملية كبيرة فى المسرح الأوروبى. وإذا أتبعوا الطريق الوحيد الباقى لهم عبر الهند فسيتأخر وصولهم لنجدة روسيا، وأما عن الهجوم فى ليبيا فهو أمر تحفه المخاطر كما أنه لن يكون له تأثير مباشر على الموقف فى روسيا. وبمجرد استيلائنا على طبرق فإن أملهم هنا سيتضاءل للغاية.

13 أكتوبر 1941:

أرجو أن نتقابل فى أول نوفمبر. وعليك أن تسألى عن مواعيد القطارات وأن تخطرينى بموعد وصولك بالضبط لروما. وسأدبر أمورى بحيث أكون هناك فى هذا الوقت. وأرجو أن يسمح لى الموقف هنا بالبقاء حتى 15 أكتوبر. كما أرجو أن تحضرى معك ملابسى المدنية (البدلة البنى).

24 أكتوبر 1941:

عزيزى مانفريد

ستتلقى منى مزيدا من الرسائل بعد أن أصبحت وحيدًا فى المنزل. وكل شىء على ما يرام هنا وأنا أزور القوات اليوم وأغلبها على شاطئ البحر. ونحن نستحم أحيانًا. والماء لا يزال دافئا للغاية. والجو أثناء النهار حارٌ جدًا ولكن الليالى تميل للبرودة بحيث أحتاج لغطاء مزدوج. ومقر إقامتى الجديد مؤثث جيدا. والجدران مغطاه بخرائط مختلفة وخاصة خرائط روسيا ويقوم أركان حربى يوميًا بتخطيط كل تقدم لنا هناك وعلى الفور.

28 أكتوبر 1941:

عزيزى مانفريد

لقد تعرضنا بالأمس «لجيبلى» مرة أخرى. وبلغت شدة العاصفة أن الغبار حجب الرؤية وأصبحت الرؤية لا تزيد عن ياردتين أو ثلاث ياردات ولكن الجو تحسن اليوم. ولم يبق أمامى سوى أيام قليلة قبل أن أسافر بالطائرة عبر البحر. وأنا سعيد جدا لأننى سأرى والدتك مرة أخرى فى روما ولكن آسف لعدم وجودك معنا أيها الرجل الصغير. ولكن لا أستطيع عمل أى شىء بهذا الخصوص. وأنا متأكد أننى سأستطيع الحصول على أجازة فى هذا الشتاء وحيئنذ سنمضيها سويا أينما شئت. ولا يوجد فى المكان الذى أستقر فيه حاليا مجالا للصيد. ولكن بعض الضباط استطاعوا صيد بعض الفهود التى تسكن الوديان الصخرية. وأحيانا نعثر على ثعلب أو ضبع أو غزال. وقد بدأت النباتات الصحراوية فى الاخضرار وفى الأزهار وضربنا الأسطول البريطانى من البحر فى الليلة الماضية ولكن قاذفاتنا المنقضة وحاملات الطوربيد أغرقت لهم طرادا أو اثنين، ومنذ هذا الحين ننعم بالهدوء والسلام - تحياتى.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

«وخلال عام 1941 لم ترسل أى تشكيلات ألمانية إلى الفرقتين الأصليتين ولكن تم تشكيل فرقة إضافية فى الصحراء العربية من بعض الوحدات المستقلة التى كانت موجودة هناك بالفعل. وهذه الفرقة سميت بالفرقة 90 خفيفة ولم يكن من ضمن قوتها أى وحدات مدرعة وتكونت من أربع كتائب من المشاة فقط ولكنها كانت قوية نسبيا من حيث قوة نيرانها، فكان معها ثلاث كتائب مدفعية ميدان وكتيبة مدفعية مضادة للدبابات وكتيبة مدافع 88مم (والكتيبة الأخيرة تستخدم كمضادة للطائرات والدبابات).

أما الفرقة الخامسة الخفيفة فأعيد تسميتها بالفرقة 21 بانزر ولكن بدون أى تغيير فى تنظيمها وتسليحها وكانت فرق البانزر هذه تتكون من كتيبتين دبابات وثلاث كتائب مشاة.

وفى أغسطس رفعت قيادة رومل إلى مستوى مجموعة جيش البانزر فعين الفريق كروويل قائدا لفيلق أفريقيا والعقيد بايرلاين كرئيس للعمليات. وكان فيلق أفريقيا يتكون من فرقتى البانزر فقط وفرقة البانزر تتكون من آلاى مدرع + آلاى مشاه ميكانيكى (والآلاى يتكون من ثلاث كتائب كل من أربع سرايا) + آلاى مدفعية يتكون من ثلاث كتائب وكل كتيبة من 3 بطاريات وكل بطارية من أربعة مدافع. (وإحدى الكتائب كانت مسلحة بمدافع ثقيلة (هاوتزر 150مم)+ كتيبة مضادة للدبابات (تتكون من ثلاث سرايا كل من 12 مدفع مضاد للدبابات+ كتيبة استطلاع مدرعة (تتكون من 30 سيارة مدرعة) وأخيراً وحدات المهندسين والإشارة وما إلى ذلك وكانت قوة فرقة البانزر من الأفراد حوالى 12500، ومن المدافع المضادة للدبابات 120 مدفعا. ونجد أن آلاى البانزر المدرع يتكون من كتيبتين كل منهما يتكون من أربع سرايا وكانت السرايا قوتها 21 دبابة وبهذا يصبح مجموع الآلاى بما فيه دبابات القيادة والإشارة 194 دبابة. ولكن عندما بدأ الهجوم البريطانى فى (معركة الكروسيدر) فى نوفمبر 1941، كانت توجد سرية من كل كتيبة فى ألمانيا. وفى ربيع 1942 وصلت السرايا المذكورة إلى الصحراء العربية فزادت نسبة الدبابات المتوسطة على وجه العموم، ولكن فى أغسطس 1942 خفضت قوة الآلاى البانزر إلى 180 دبابة كان يوجد تحت قيادة رومل (بالإضافة إلى فيلق أفريقيا والفرقة 90 خفيفة) عدد 6 فرق إيطالية وهى فرق آريتى المدرعة وتريستا «المشاة المحملة» (وتكون الفيلق 20 الإيطالى الميكانيكى) وفرق بافيا وبولونيا وبريسكيا (وتكون الفيلق 21 الإيطالى المشاة) وكان الفيلق 21 يحاصر طبرق. وأخيراً فرقة سافونا وكانت تحتل البردية».

لم ترسل ألمانيا إلى رومل أية قوة إضـافية لدعم الفرقتـين اللتين أرسلتا منذ البـداية؛ وذلك طـوال سنة 1941 والربع الأول مـن سنة 1942. ولكن رومل دمج الوحدات المستقلة وشكل منها فرقة أطلق عليهـا اسم (الفرقة 90 الخفيفة) وكانت هذه الفرقة محرومة من الدبابات وقد ضمت أربعة أفواج فقط من المشاة؛ إلا أنها كـانت تمتلك قدرة نارية كبيرة؛ إذا كـان لديها ثلاث سرايا مدفعـية ميدان، وفـوج مدفعيـة مضاد للدبابات، وفـوج مدفعيـة عيار 88مم للاستخدام المزدوج - ضد الطائرات وضد الدبابات - وقد أعيد تنظيم (الفرقة الخامسة الخفيفة)؛ فحملت اسم (فرقة البانزر21) ولكن فيما عدا التسمية؛ فإنه لم يتـغير شيء لا في تـنظيم هذه الفرقـة ولا في تسليحـها. وكـذلك الأمر بالنسبة لفـرقة البانزر15؛ والتي كانت تضم فوجين من الدبابات وثلاثة أفواج من المشاة وكانت كل فرقة من فرقتي البانزر تضم:

- لواء دبابات من فوجين (وكل فوج من أربع سرايا).

كانت السرية تتكون نظريًا من 21 دبابة: فكان مجموع دبابات اللواء هو 200دبابة؛ بما في ذلك دبابات القيـادة والاتصالات. وقـد بقيت خـلال هذه الفتـرة سرية دبابات من كل فـوج في ألمانيا؛ وذلك عـندما شن البريـطانيون هجومهم في عملية (البلطة) خلال شهر نوفمبر 1941؛ ولم تصل هذه السرايا إلى مسرح العـمليات في الصحراء العـربية إلا في ربيع سنة 1942، فأصبح عدد السرايا في كل فوج بانزر هو أربع سـرايا؛ وتزايدت بذلك نسبة الدبابات المتوسطة؛ ولكن السرايا بقيت أقل من قـوتها النظرية. وتناقص عدد الدبابات في كل لواء - خلال شهر أغسطس - 1942 إلى 180 دبابة.

- لواء مشاة محول من 3 كتائب (والكتيبة من 4سرايا).

- لواء مدفعية من 3 أفواج (الفوج يضم 3 بطاريات والبطارية 4مدافع) وكان أحد الأفواج ثقيلا لتسلحه بمدافع قذافة - هاوتزر - من عيار 150مم - ومن 4 مدافع.

- فوج مدفعية مضاد للدبابات.

- فوج استطلاع مدرع (ضم 30عربة استطلاع مدرعة).

- وحدات مهندسين. ووحدات أخرى - إدارية -.

- وكانت فرقـة البانزر تضم - نظريًا - حوالى 12 ألف رجل (وحوالى 120مدفعًا مضادًا للدبابات).

وقد ضمت الفرقتان فى تشكيل (الفيلق الأفريقى) الذى أصبح قسمًا من (جيش البانزر الإفريـقى) اعتبارًا من 22 كانون الثانى - يناير - 1942؛ وهو الجيش الذى ضم إلـيه كافـة الوحدات الإيطاليـة فى الجبهـة (الفيلق العـاشر والفيلق العشرين والفيلق الواحد والعشرين).

لقد تقدم رومل بسرعـة أذهلت العالم فى ربيع عام 1941؛ فوصل إلى أبواب مصر على نحو ما سبق عرضه؛ غـير أن هذا التقدم ابتعد به عن قواعد تموينه وإمداده؛ فأصـبحت طرابلس تبعد عنه مـسافة 1600 كيلومتـرًا تقريبًا؛ وبنغازى تبعد عنه مسافة 500كيلو مترًا. وكان أمله أن يدفع قاعدة إمداده إلى الأمام بـاستـيلائه على طبـرق، غيـر أن هذه المدينة استـعصت عليـه؛ ووقع البريطانيون يدافـعون عنها بعناد لحرمان رومل من حـرية الحركة. وهكذا بقى رومل فى موقع الضعف بسـبب قصور الإمكانيات؛ فتمركـز دفاعيًا على خط السلوم - البردية؛ وتحولت حرب الحركة إلى حرب مواقع.

الفصل الأول
معركة كروسيدر

- ما قبل معركة كردسيدر - عمليات التجسس والاستخبارات البريطانية نوفمبر 1941.
- الهجوم البريطاني - أكتوبر 1941.
- محاولة اغتيال رومل 1941/11/15.
- معركة كروسيد - الصليب 1941/11/18.

ما قبل معركة كروسيدر:

عمليات التجسس والاستخبارات البريطانية:

لم تكن الحرب فى الصحراء لتختلف عن أية حرب أخرى فى التاريخ من حيث أنها ما خلت من عنصر الخيانة. وفى جميع العصور كان هذا العنصر يلعب دوره المهم فى التأثير على مجرى الحرب؛ وإن كانت أعمال الخيانة بحد ذاتها كثيراً ما تقترن بالفشل إذ تبقى بدون نتيجة. ذلك أن الحروب إذا خلت من الخيانة ومن الخونة تصبح نوعًا من المعادلات الحسابية التى يتسم حاصلها بالوضوح التام إذ يكون النصر محققًا لتفوق الأسلحة والإستراتيجية وشجاعة الجند. ولكن الواقع كان دائمًا غير ذلك فكم من معارك تقرر مصيرها بفعل الخيانة؛ ولعل عدد هذه المعارك يضاهى عدد المعارك التى تحقق فيها النصر بفضل الشجاعة. ذلك أن الخيانة من شأنها أن تفسد خطط العباقرة وتنسف كل الجهود التى تبذل فى وضع هذه الخطط؛ كما تعطل مفعول التفوق فى السلاح ومفعول شجاعة الجند فى مواجهة أخطار الموت وتجعل البطولات غير ذات أثر فعال فى النتيجة.

إن أعمال الخيانة كثيراً ما تقترن بالفشل أو تبقى بدون نتيجة؛ والسبب الرئيسى الذى يؤدى إلى إحباطها هو أنها لا تصدق فى أغلب الأحيان. وقد وقع الألمان فى مثل هذا الخطأ كما وقع الحلفاء. فمن أبرز الأمثلة على ذلك ما حصل بالبرقيات السرية للغاية الواردة من لندن إلى السفير البريطانى فى تركيا عن خطط الحلفاء الحربية. فقد حصل شيشرون الخادم الأرمنى الأصل فى السفارة البريطانية على هذه البرقيات وأرسلها إلى هتلر؛ ولكن هتلر والقيادة الألمانية العليا اعتبرا هذه البرقيات خدعة من خدع المخابرات البريطانية فلم يقيما لها وزنًا؛ ولم يدركا خطأهما الجسيم إلا بعد فوات الأوان. أما الحلفاء

فقـد وقعوا هم الآخـرون فى مثل هذا الخطأ؛ وذلك عندمـا أهملوا الأخذ بما تتضمنه خطط الهجـوم على فرنسا؛ وهى الخطط التى وقعت فى أيديهم على أثر اضطرار طائرة من طائرات الاتصـال الألمانية إلى الهـبوط فى بلجـيكا عام 1940 ولم يتسـن لملاحيهـا الوقت الضرورى لإحـراق هذه الوثائق. ولما اطلع عليها القادة المقيمون فـى مقر الحلفاء ذهب بهم الظن إلى أن هتلر يريد دفعهم عن طريق هذه الخدعـة إلى اتخاذ قرارات خـاطئة؛ فهـزؤا بما وقع فى أيديهم ولم يقيـموا له أى وزن ولم يعـمدوا إلى اتخاذ الاحـتياطات الـضرورية على ضوء هذه الخطط التى ظنوها مـدسوسة. ولكن الهجـوم الذى شنه هتلر بعد ذلك جاء وفقًا لهذه الخطط بالذات؛ ولم يـعد يجدى الحلفاء الندم على فوات الفـرصة التى تسنت لهم بينـما تمكن هتلر من تحـقيق انتـصاره الخـاطف فى الغرب.

وخلال المعارك الطاحنة دارت بين الألمان والبريطانيين فى سبيل السيطرة على طبـرق؛ حدث شئ مـن هذا النوع وإن كانت أسـراره لم تكشف كلهـا بعد. فـبينما كـان رومل يستعـد للهجـوم على طبرق فى نوفمـبر 1941 كى يستولى عليها ويتمكن من الوصول إلى النيل وبلوغ الإسكندرية والقاهرة وقناة السويس؛ سبقه البريطـانيون إلى الهجوم فبدأوه فى 18 نوفمبر؛ أى قبل قيام رومل بهجومه بخمـسة أيام. وكثيرون اعتبروا الأمـر مجرد ضربة من ضربات الحظ التى وفق إليـها السـر كلود أوكنلك القـائد البـريطانى العام فى الشـرق الأوسط؛ ولكن هذه الضربة الـتى حققت النصـر للبريطانيين لم تكن مـجرد ضربة حظ؛ وإنما لعبت فيها المخابرات البريطانية الدور الأكبر.

فبين أيدى الجنرال كلود أوكنلك وقـعت خطة الهجوم الألمانى المرتقب؛ فى خريطة كـاملة مفـصلة مرسـومة بخط رومل نفسـه. وكان هذا الذى غـير مجرى الأحداث وحول تاريخ الحرب.

وكان تشرشل كما سبق أن ذكرنا قد أصدر أوامره بالدفاع عن طبرق حتى آخر رجل. لأنه يعلم أن سقوط هذه القلعة الرئيسية بيد الألمان سيفتح لهم الطريق إلى النيل؛ وربما يكون نقطة البداية فى التقدم الألمانى نحو سوريا ثم إلى الخليج العربى لمهاجمة موارد البترول وقطع طريق الهند على ما كان يحلم رومل نفسه. بينما صمود طبرق يوقف كل هذا التقدم ويعطل الزحف. وقد تمكن «جرذان طبرق» الأستراليون من الصمود فيها بينما قرر رومل وجوب الاستيلاء عليها وأصدر أوامره إلى ضابطه وجنوده بذلك؛ فقاموا بهجمات متكررة منيت كلها بالفشل. وفى بداية شهر نوفمبر 1941 كانت الإمدادات قد وصلت إلى رومل وإن كان الأسطول البريطانى أنزل فيها خسائر فادحة وهى فى طريها إلى أفريقيا عبر المتوسط. وامتطى رومل عربة قيادته -المرسيدس- للتفتيش على الجبهة؛ وكان قد وضع بنفسه ورسم بيده خطته التى كان غرضها المباشر الاستيلاء على طبرق ولكنها كانت فى الحقيقة نقطة الوثوب للاستيلاء على الشرق الأدنى كله. وعلى الخريطة السرية كان أركان حرب رومل قد سجلوا كل تفاصيل الخطة؛ فأوضحوا عليها أسماء الوحدات المشتركة فى الهجوم وميعاد الهجوم لكل وحدة فى كل مرحلة من المراحل. وكانت هذه الخريطة سرية للغاية. ولذلك لم يعط رومل قادة هذه الوحدات أوامر الهجوم إلا شفهيًا؛ مع تدريبهم على كل تفصيل من تفاصيلها[1].

وكان من المحتمل أن تصدر الأوامر بالهجوم فى أية لحظة. ولم يكن أحد يعرف ميعاد الهجوم؛ فلم يحدد هذا الميعاد على أية ورقة من أوراق القيادة ولا على أى مستند ولا حتى على خريطة الخطة التى رسمها رومل بيده فلقد احتفظ رومل لنفسه بمعرفة ساعة الصفر؛ وقد عمد إلى تأجيلها مرات متكررة حتى قرر أخيرًا أن يبدأ الهجوم فى يوم 23 نوفمبر.

(1) بول كارل - المرجع السابق ص86.

أما الهجوم البريطانى الذى شنه أوكنلك قبل خمسة أيام من هذا الموعد بعد أن وقعت بين يديه خريطة الهجوم الألمانى بخط روميل نفسه؛ فقد كان معروفًا أن البريطانيين يتخذون العدة لشنه؛ ولذلك أطلق الألمان على هذا الهجوم البريطانى المرتقب الاسم الرمزى «الطوفان» بينما أطلقوا اسم «المد» على هجمات البريطانيين المحلية.

وقد كلف روميل الجنرال نيومان سيلكو قائد الفرقة المدرعة الخامسة عشرة بتشكيل مجموعة خاصة مهمتها القيام بالخدمات المتنقلة للقوات التى تهاجم طبرق؛ وتوجيه التشكيلات المختلفة إلى القطاعات المعينة لها وأماكن عبور خنادق الدبابات المحيطة بطبرق حتى تستطيع شق طريقها فى عمق التحصينات الملتفة حول الميناء. وقد قام الجنرال سيلكو بتشكيل هذه المجموعة التى يعرف أفرادها كل استحكام وكل خندق وكل بطارية من بطاريات مدفعية البريطانيين. وقامت هذه المجموعة بعملها بعناية ودقة لم تقترن بمثلهما أية خطة نفذت من قبل . وبات كل شىء جاهزًا ولم يبق هناك إلا صدور الأمر بالهجوم الكبير.

ذكرت أن خطة الهجوم الألمانى المرتقب وقعت بين يدى الجنرال كلود أوكنلك فى خريطة كاملة مفصلة مرسومة بخط روميل نفسه؛ وكان هذا الذى غير مجرى الأحداث وحول تاريخ الحرب. أضف إلى ذلك ما كانت تتلقاه القيادة البريطانية من أنباء ومعلومات، وإن كانت غير منتظمة؛ بواسطة مجموعة الصحراء البعيدة المدى يعمل رجالها متنكرين فى زى الأعراب وراء الخطوط الألمانية بقيادة المقدم هاسلدن الذى سبقت الإشارة إليه وإلى بعض أدواره النشيطة فى الغارة التى قام بها الفدائيون البريطانيون من أجل اغتيال روميل أو أسره. كما أن عشرات الأعراب والحمالين كانوا يأتون للقيادة البريطانية بمعلومات كثيرة مؤكدة عن قيام الألمان والإيطاليين بإجراء تجمعات

للجنود فى نقاط معينة. وعلاوة على هذا فـقد استطاعت المخابرات البريطانية والأمريكية أن تستـغل بحذق وذكاء المقاومة السياسـية من بعض العناصر ضد هتلر وموسولينى فتـستفيد من الصراع الهائل داخل ألمانيا وإيطاليـا نفسها ضد النازية والفاشستية. فكان للمخابرات الإنكليزية والأمريكية إذن مصادر عديدة وممتـازة للمـعلومـات فى كل من رومـا وبرلين بالذات. وإعـمـال تسـريب المعلومات هذه تشكل فصلاً من أدق فصول تاريخ الحـرب وأشدها حساسية؛ ولئن لم تنشـر البـيانات الـكاملة بخـيانات الإيطاليـين والألمان فـلا شك أن البريطانيـين تلقوا من عمـلائهم الألمان والطليان ثروة من المعلومـات ساهمت أكبر المساهمة فى إنزال هزائم كثيرة بالمحور فى الميدان الأفريقى.

ولقد كان متداولاً فى بعض الأوساط الإيطالية مثلاً أن الأميرال الإيطالى «موجيرى» كان عميلاً للبريطانيين؛ وكان هؤلاء بواسطته يحيطون علمًا بثلاثة أرباع الإمدادات والمؤن التـى تشحن إلى رومل من الموانئ الإيطاليـة. وكانت إيطاليا بشكل خـاص أخصب أرضًا للجاسـوسية البريطانية التـى عرفت كيف تستغل نقمة كبار الضبـاط الإيطاليين على قيادة رومل فى أفريقيا؛ لأن هؤلاء كان قد سبق لهم أن أكدوا أن الحرب لا يمكن أن تربح؛ ثم جاءت انتصارات رومل تكذب قولهم وتفـضح حقيقـة هزائمهم فتجـرح كرامتهم وكـبرياءهم. أضف إلى ذلك مـا كان يكنه عـدد من الضـباط الإيطاليـين الموالين للملكيـة وللملك من مقـت شديد لنظام موسـولينى الفاشـستى فى إيطاليـا؛ وشمل هذا المقت الشديد «اروين رومل» القائد الذى بعث بـه هتلر حليف موسولينى إلى أفريقـيا. وهذا الجو كله أفسح المجـال للعملاء البـريطانيين كى يستفـيدوا من الانقسـام القائم داخل القـيادة الإيطالية؛ فـتركوا أصـدقاءهم فى هذه القـيادة يقومـون بنشاطاتهم مـستغـلين فى الوقت نفسه شـعور النقـمة للتـأثير على الإدارات الموالية للملكية فى إيطاليا.

أما الضباط الإيطاليون فى ميدان الصحـراء العربية نفسه فلا يصح القول أن الخيانة كانت ترتع بينهم ؛ وإن كانوا - رغم شجـاعتهم وبأسهم وتهذيبهم - لم يولوا اقتراحات روميل أقل اهتمام؛ بينمـا كانوا ينفذون أوامر موسولينى بكل دقة وعناية. على أن مأساة الجنود الإيطـاليين الذين بذلوا أقصى طاقاتهم أن كثيراً من ضباطهم كانوا ضـعافًا وأن أسلحتهم كانت أيضًا هزيلة ودباباتهم توابيت سيارة. أما ذخيرتهم ففـاسدة؛ ولا يعود فسادها إلى تخلف الإيطاليين من الناحية الفنيـة فحسب بل يعود فى جـانب كبير منه إلى أعمـال التخريب التى كانت تلعب دوراً هدامًـا لم يعرف مثله من قبل فى تـاريخ الحروب. أما أعمال الخيانة فلم تجد سبيلها إلى مـركز القيادة الإيطالية فى ليبيا؛ ولو أن هذا ما حدث لما كان فى استطاعة روميل أن يسجل انتصاراته الرائعة.

كـانت الخريطة التى وقـعت بيد المخـابرات البـريطانية وبسطهـا الجنرال أوكنلك على مكتـبه لدرسـهـا مع ضبـاط المخابرات؛ تظهـر أن روميل ينوى مهاجمـة طبرق من الجنوب ومن الشرق؛ دون تعيين يوم محـدد لهذا الهجوم وإن كان من المحـتمل أن يقـع فى خلال 24ساعـة أو 48. وكانت الخـريطة المرسومة بيد روميل نفسه معلمة بيـوم (ى)؛ دون أن يفيد هذا شيئًا لجهة تحديد يوم الهـجوم. ولـم يكن ينقص الخريـطة شىء؛ مما جعل أوكـنلك وضبـاط مخـابراته يعكفون على دراسـتها بكثـير من الاهتـمام والإعجـاب؛ ففى هذه الخـريطة خطة العـدو؛ والوقـوف على خطـة العـدو هو حلم كل قـائد فى الحرب. وعلى الخريطة ظهرت القطاعات المحـددة للهجوم وأشير فى كل منها إلى الوحدات التى سـتستـخدم فى العمـليات؛ كمـا يشير إلى أمـاكن تجمع الاحتيـاطى وإلى ساعة الصـفر لكل هجوم فرعى ولكل وحـدة من الوحدات وإلى نقط الضعف فى خطة الهجوم.

ولم يبق أمام أوكنلك وضباط مخابراته إلا أن يقرروا ما إذا كان يمكن اعتماد هذه الخريطة وتصديقها والتسليم بصحتها. وحول هذا الموضوع الخطير دارت المناقشات الطويلة فى مقر قيادة أوكنلك خشية أن تكون هذه الخريطة خدعة من خدع ثعلب الصحراء العجوز. فهل يمكن الجزم بأن هذا الأستاذ فى رسم الخطط الذى طالما خدع أبرع الإستراتيجيين البريطانيين فى الجبهة المصرية - الليبية لم يتعمد هذه الخدعة؟ أوليس هو القائد الذى يستخدم وحدات الصيانة المتنقلة ومحركات الطائرات المركبة على السيارات لإثارة الغبار وإيهام العدو بأنها دبابات تهاجم بينما هو يقوم بهجومه الحقيقى فى موضع آخر؟ وما الذى يحول دون الاعتقاد بأن روميل قد تعمد من أجل خداع القيادة البريطانية أن يجعل هذه الورقة التى رسم فيها بخط يده خريطة زائفة للهجوم المرتقب تسقط فى يد مخابرات العدو!.

على أن أوكنلك لاحظ أن طابع عبقرية روميل ظاهر فى تفاصيل الخطة وأسماء الوحدات وجوهر الفكرة؛ كما أن ضباط مخابراته أكدوا بعد مقارنة الصورة الفوتوغرافية للخطة بمخطوطات لروميل فى مستندات سبق الاستيلاء عليها؛ إن هذه الخريطة هى بالفعل مرسومة بخط روميل نفسه. ولذلك انتهى الجميع من مناقشاتهم الطويلة إلى تقرير أن ليس هناك أدنى شك فى مصدر الوثيقة وصحة مضمونها. وقرر أوكنلك أنها وثيقة مقبولة يجب اعتمادها كل الاعتماد وبناء الموقف على أساسها. وكان وضعه بعد هذا القرار كوضع لاعب «البريدج» الذى تتاح له فرصة ليحقق الفوز المطلوب. وكان السؤال الذى يفرض نفسه هو: كيف يمكن الاستفادة من الحصول على هذه الخريطة وتاريخ الهجوم فيها غير محدد؟!.

ويتضح الجواب الذى انتهى إليه أوكنلك ردًا على هذا السؤال من

حديث أدلى بـه بعد الحرب إلى مـجلة «بكتشـر بوست» فى 26 أبريل 1953 وكشف فيـه النقاب عما جرى فى طبرق فـقال: «فى كل خطة للحرب يجب أن يكون هناك احـتمـال لكل شىء، ولم نكن نعـرف - بالنسـبة لطبـرق - التاريخ الذى حدده روملِ لهجـومه العتيد ؛ إلا أن الاحتمـال كان أن الهجوم وشـيك الوقوع؛ وأن المسـألة مـسألة أيام وإن كنا لم نـتمكن من تحـديد هذه الأيام».

وكانـت الطريقة الوحـيدة الممكنة فى رأى أوكنلك لـلاستفـادة من هذه الفرصـة التاريخية التـى يتوقف عليها لا أمـر الدفاع عن طبرق فـحسب؛ بل مصيـر الحرب النهائى فى أفريقيـا؛ هى المسارعة إلى اتخاذ كل الاسـتعدادات والقيام بهجـوم مضاد. وكان يمكن إحباط هجوم روملِ بتغـيير خطوط الدفاع المنشأة فى طبرق على ضوء خطة القائد الألمانى؛ ولكن لم تعد المسألة كما قلنا مسـألة طبرق وحدها؛ ولم يعد لخطوط الدفـاع عنها تلك الأهميـة الفاصلة؛ ولذلك قرر أوكنلك وجوب القـيام بهجوم بريطانى عـام لمواجهة خطة روملِ؛ على أن يفـسح المجال لروملِ حـتى يشن هجـومه؛ حـتى إذا انشغل به قـام أوكنلك بمهاجمة جناحه الأيمن المكشـوف كما هو مبين فى الخريطة؛ ثم أطبق عليه وأكمل تطويقه ودمر مجموعة البانزر الأفريقية كلها. وبذلك يتم اقتناص الثعلب داخل مصيدته![1].

وكان من الضـرورى أن لا تثار شبهـات روملِ فى كل الإجراءات التى يجب أن تتخـذ؛ فالتحـركات البريطانيـة التى يجب الإسراع فى تنفـيذها من مصر إلـى الجبهة يجب أن لا يكشـفها الاستطلاع الألمانى؛ مع العلم بأهـمية عامل السرعة فى التنفيذ. ومن أجل ذلك قام رجال هيئة أركان حرب أوكنلك

(1) بول كارل - نفس المرجع ص93.

خطة الهجوم التى رسمها رومل بخط يده ووقعت بأيدى البريطانيين

الخريطة التى غيرت مجرى الحرب

بمجهود جبار يفوق طاقة البشر من أجل إيصال المعدات والجنود إلى نقاط الانطلاق؛ وتمويه التحركات التى يقتضيها ذلك على أنها قوافل من الخدم، كما أخفيت المراكز ببراعة؛ فلم تتمكن الطائرات الألمانية والإيطالية من اكتشاف شيء يثير الشبهة. وعندما تمت كل هذه الاستعدادات قال أوكنلك لجنوده: «الآن دعوا رومل يبدأ هجومه»!

وكان ذلك يوم 14 نوفمبر 1941. ولكن البريطانيين انتظروا عبثًا؛ فرومل لم يشن هجومه. وساد الانتظار المحموم أجواء القاهرة ولندن يومى 14؛ 15 تشرين الثانى دون أن يحدث شيء. واستمر الانتظار يومًا ثالثًا؛ دون أن يحدث شئ. وفى اليوم الرابع - 17 نوفمبر - وجه المستر تشرشل إلى أوكنلك باسم صاحب الجلالة ملك بريطانيا رسالة قال فيها: «لأول مرة تواجه جيوش الإمبراطورية والقوات البريطانية قوات العدو بتفوق فى السلاح والمعدات من جميع الأنواع. إن سير الحرب كلها سيتأثر بنتيجة هذه المعركة. فلا بد من إلحاق ضربة كبرى بالعدو توصلاً إلى النصر النهائى من أجل الحرية والوطن. إن صفحة جديدة من التاريخ تضارع الصفحات التى سجلتها بلنهايم وواترلو سيكتبها جيش الصحراء. إن أنظار العالم تتجه إليكم؛ وإن قلوبنا معكم ونسأل الله أن ينصر الحق».

وفى هذه الرسالة أبلغ تشرشل القائد البريطانى أنه قرر تحديد الموعد النهائى للهجوم البريطانى فى اليوم التالى؛ أى فى الثامن عشر من شهر نوفمبر. وكان أوكنلك يميل إلى الانتظار فترة أخرى؛ ولكن تشرشل كان يعتقد بما لديه من المعلومات عن أماكن الحشد الألمانى وعن قوة الجيش الثامن «أن النصر سوف يكون من نصيب البريطانيين إذا هم استغلوا عامل المفاجأة وقاموا بالهجوم دون انتظار هجوم رومل». وكان من رأى تشرشل أن التأجيل

سيؤدى إلى إفساد كل شىء؛ فها قد انقضت ثلاثة أيام على وصول الفيالق إلى نطاق انطلاقها وبعضها يربض فى أرض الصحراء المكشوفة؛ والخوف يتعاظم مع كل يوم من إمكانية اكتشافها. وليس غريبًا أن يستمر تبادل الرسائل بسرعة بين القاهرة ولندن حول الموضوع بعد أن تعاظمت الشكوك وفقدت لندن أعصابها خوفًا من أن يكون البريطانيون قد قامروا بكل شىء استنادًا إلى ورقة واحدة هى خريطة الهجوم الألمانى المرتقب وتكون المسألة كلها عبارة عن خدعة حقيقية بارعة يفاجئ بعدها رومل أعداءه بما لا يتوقعونه فتنتهى استعداداتهم الكبيرة المتخذة إلى كارثة محققة.

جاء تحديد تشرشل لميعاد الهجوم البريطانى فى 18 نوفمبر دون انتظار قيام روميل بهجومٍ يحرج القائد البريطانى ولا يترك له مجالاً للاختيار. أما معركة بلنهايم التى أشار إليها تشرشل فى رسالته التاريخية فهى المعركة التى قادها أحد أجداده الدوق مارلبور بالاشتراك مع الأمير يوجين عام 1704 ويطلق عليها الإنكليز أيضاً معركة (هوتشستدت)؛ وفيها سجل جد تشرشل انتصارًا حاسمًا على الفرنسيين والبافاريين خلال الحرب الأسبانية السكسونية. أما معركة واترلو فهى التى جرى فيها تحطيم جيش نابوليون على يد الدوق ولنجتن بالاشتراك مع المارشال البروسى بلوخر. وكان تشرشل يقصد أن من الواجب تحطيم جيش روميل كما جرى تحطيم جيش نابوليون وخصوم الإنكليز فى المعركتين التاريخيتين المذكورتين.

وهكذا بدأ الفيلد مارشال أوكنلك الهجوم فى الساعات الأولى من يوم 18 نوفمبر فى ممر حلفايا وجامبوت؛ وأطلق البريطانيون على هجومهم هذا الاسم الرمزى (الكروسيدر) أو القاتل الصليبى؛ وما أن بدأ الهجوم حتى أرسل الرمزى (الكروسيدر) أو المقاتل الصليبى؛ وما أن بدأ حتى أرسل الألمان

إشارات الإنذار على طول الجبهة المصرية - الليبية إشعارًا لجميع القوات ببدء (الطوفان) فى الوقت الذى كانت الطبيعة فيه تغرق جميع الخطوط بالفيضان الهائل. ولم تكن هذه العاصفة مأساة للألمان والإيطاليين وحدهم؛ بل شملت أيضًا البريطانيين لأنها منعت سلاح الجو الملكى من القيام بأى غارات فى يومى 17؛ 18تشرين الثانى وحالت بين أوكنلك وبين استخدام قاذفات القنابل التى كان عليها أن تدمر القواعد الإدارية ومركز قيادات العدو وتقطع خطوط قيادات مواصلاته بغارات مفاجئة فى مراحل الهجوم الأولى.

وفى هذا الوضع بدأت المعركة وقد سيطر عليها سوء الأحوال الجوية وما أدى إليه من عراقيل بالنسبة للفريقين المتحاربين؛ فالألمان كانوا يقاومون المياه والوحول فى حلفاية وجامبوت؛ بينما كانت المياه تغمر حقول الألغام وتجرف فى طريقها المعدات الثقيلة من مراكزها. وكان الفدائيون البريطانيون الذين اشتركوا فى الغارة الفاشلة على مقر قيادة الإمداد والتموين الألمانية ينقلون إلى الخيام لإسعافهم بينما انطلقت رأس الحربة البريطانية من الحفر التى تغمرها الوحول والمياه، واضطرت الدبابات إلى الزحف فى دروب الصحراء التى أغرقتها سيول الفيضان.

أما رومل فلم يكن فى هذه الأثناء حاضراً فى ميدان الصحراء العربية؛ بل فاجأه الهجوم البريطانى وهو يقوم بزيارة لروما. وبقى الآن سؤال تاريخى قبل الحديث عن معركة الكروسيدر بحد ذاتها. وهذا السؤال هو الآتى: كيف تسربت خطة رومل إلى أيدى البريطانيين؟ ومن هو الخائن الكبير الذى سلم هؤلاء صورة الخريطة التى رسمها رومل بخط يده لهجومه العتيد؟[1].

يقول بول كارل: لقد اتصلت من أجل الحصول على جواب واضح على السؤال بأربع شخصيات عسكرية كبرى شغلت مناصب حساسة فى تلك

(1) بول كارل - نفس المرجع ص97.

الفتـرة وبإمكان كل منها أن تكون على اطلاع ما يـجرى. وهذه الشخصـيات العـسكرية هى «ألبرت بوتشـر» سكرتير روميل الذى عـمل معـه فتـرة طويلة امتدت من صـيف عام 1941 إلى أكتـوبر عام 1944 وكان اخـتصاصـه حفظ الملفات والاطلاع على المسـتندات السرية الخاصة بالمخـابرات وشؤون الأفراد. والشخصية الثانية هى الجنرال بايرلاين الذى كان رئيسًا لأركان حرب مجموعة البانزر الأفريقية وأحد مساعـدى روميل المقربين، والشخصية الثالثة هى الجنرال «سيغفـريد وستفال» الذى كان أركان حـرب الإدارة والأفراد فى رئاسة أركان حرب مـجمـوعة البانزر الأفـريقيـة. والشخـصية الرابعـة هى مارشـال الجو (كـسلرنغ) القـائد العـام فى الجنوب والذى تسلم فـى نهايـة نوفمـبـر 1941 بالإضـافة إلى هذا المنصب قـيادة القـوات الجوية الألمانيـة فى البحـر الأبيض المتوسط. وقد حصلت مـن كل منهم على جواب خطى على سؤالى؛ وها أنا أورد هنا هذه الأجوبة كما وردتنى لعلَّ فـيها ما يميط اللثام عن طبيـعة الخيانة التى قلبت الموقف رأسًا على عقب.

فقـد كتب لى ألبرت بـوتشر سكرتير روميل يقـول: «إن تصمـيم الفيلد مارشـال روميل الدائم على وجوب اتخـاذ أشد إجراءات الأمن كـان يبلغ حد الهـوس. وكانت الوثائق مـصنفـة إلى ثلاثة أصناف: الأول «سرى للغـاية»؛ والثانى «سرى لشؤون القيادة» والثالث «سرى جدًا» وكل وثيقة مرقمة ومعلمة حسب أهميـتها. فالصف الأول من الوثائق «السرى للغـاية» لم يكن يتداولها إلا روميل وضـباط هيـئة أركـان حـربه؛ وكان يكلف بنـقلها ضـباط اتصـال خـاصون. أمـا الصنفـان الآخـران من الوثائق فكانت إدارتهـمـا توزع على الوحدات بواسطة مراسلات راكبين ومراسـلات مترجلين يختارون بعناية فائقة ويطلب منهم أن يقـسموا يمـينًا خاصة يتـعهدون فـيها بالمحـافظة على سرية عملهم. وكانت الوثائق من صنف «سرى للغاية» تحفظ فى خزائن مقفلة تحت القفل والمفتاح. وأما وثائق «شؤون القيـادة» فكان يعهد بها إلى قادة الوحدات

ولا يسمح لأحد بالاطلاع عليها إلا إذا كان مشتركًا وله دور فيها. على أن الأوامر كانت تقضى بضرورة اطلاع القيادة الإيطالية العليا والوحدات الإيطالية على كل العمليات المهمة؛ فكانت هذه الوثائق ترسل إلى هذه القيادة وهذه الوحدات بواسطة ضباط اتصال إيطاليين.

ويضيف بوتشر «أن مكاتبات رومل وأوامره كانت كثيرة فكان إعداد الصور عنها يسبب لنا اضطرابًا كثيراً. وكان العمل الكتابى فى الميدان صعبًا؛ ولا سيما حين ينطفئ النور فى الليل أو يضطر الأفراد للعمل فى خيمة أو سيارة على ضوء الشموع. وكان يستخدم الشيفرة فى الأمور السرية التى ترسل بواسطة الهاتف أو بواسطة التلغراف؛ بينما جهاز الشيفرة لا يوجد فى مقر القيادة التكتيكية بل بعيداً وراء خطوط القتال؛ وهناك يجرى حمل الرسائل. وكانت الشيفرة تغير فى فترات منتظمة؛ ولكن تغييرها كان يجرى على الفور كلما قررت المخابرات الألمانية أن العدو تمكن من حلها أو استراق السمع إلى الرسائل التى نبعث بها.

وكان المسؤول عن كل ما يتعلق بقسم المعلومات هو رئيس المخابرات فى الجيش. أما المخابرات فى منطقة العمليات فكانت تحت إشراف المقدم «فون مللينشن» أركان حرب العمليات رقم 3 لمجموعة البانزر الأفريقية. وكان عليه أن يقوم باستجواب الأسرى وباستراق السمع إلى محطات إرسال العدو واستخدام مترجمين وإقامة نقاط للاستماع والتداخل على خطوط العدو السلكية واللاسلكية والقيام بعمليات خاصة فى أرض العدو كما أن عليه استقاء المعلومات من الجنود الألمان أنفسهم. وكل ذلك من أجل تحديد حشود قوات العدو وطبيعة تكوينها ومعرفة أنواع الأسلحة التى لديه وتعيين مواقع قواته. سواء فى الخطوط الأمامية أو فى المناطق الخلفية. وأما المخابرات وراء

خطوط الأعداء فكانت من اختصاص الإيطاليين باعتبار أن هيئة أركان حرب رومل كانت دائمًا فى الخطوط الأمامية، وبسبب ذلك وبنتيجة ميوعة الحرب كان رومل يخشى دائمًا من خطر سقوط الوثائق بيد العدو؛ وكثيرًا ما كنا نقف على استعداد لإحراق كل شيء بالبترول. أما الخريطة التى رسمها الفيلد مارشال رومل بخط يده فقد أعيدت إلى ملفها كالعادة ضمن أوراق رومل الخاصة فى أرشيف مكتب القيادة العام كى يمكنه الرجوع إليها عندما تدعو الحاجة».

هذا ما كتبه لى «ألبرت بوتشر» سكرتير رومل. أما الجنرال بايرلاين فقد كتب لى يقول «كنت لدى قيام العدو بهجومه في شتاء 1941 برتبة مقدم رئيسًا لأركان حرب مجموعة البانزر الأفريقية التى تتألف من فيلق ألمانى واحد (هو الفيلق الأفريقى) ومن ثلاثة فيالق إيطالية (هى الفيلق العاشر والفيلق العشرون الخفيف والفيلق الحادى والعشرون). وكان مقر قيادتى فى البردية عندما ابتدأت المعركة؛ ولكنه أصبح فى تحرك مستمر فيما بعد. وقد استطعنا خلال المعركة أن نتأكد من المعلومات التى جمعناها من الأسرى البريطانيين أن خطة رومل للهجوم على طبرق قد تسربت فعلاً إلى الأعداء. وفى رأيى أنه كان ممكنًا التأكد من اسم الخائن؛ وربما حصل هذا التأكد؛ ذلك أن كثيرًا من كبار الضباط البريطانيين كانوا قد حضروا مؤتمرات رومل قبل الهجوم وأثناء التدريبات التى جرت فى مكتبه. ولا يمكننى شخصيًا أن أبرئ الإيطاليين من تهمة الخيانة فى موضوع معركة طبرق؛ لأن سلوك الخيانة عرف عن حلفائنا الإيطاليين فى حالات كثيرة».

وأما أركان حرب الإدارة والأفراد فى رئاسة هيئة أركان حرب مجموعة البانزر الأفريقية؛ الجنرال سيغفريد وستفال؛ وكان يومئذ برتبة مقدم؛ فقد كتب لى يقول: «كان رومل قد قرر منذ نهاية سبتمبر 1941 أن يستولى على

طبرق بهجـوم واسع النطاق. وقد بنى قراره هذا على يقـينه بأن تعيين الجنرال أوكنلك بدلا من المارشال وايفل لا بد أن يـعقبه هجـوم بريطانى جديد؛ وأن هذا الهجوم وشيك الوقوع؛ فـعليه إذن إحباطه بأن يسبق هو أوكنلك إلى شن الهجوم. وكـان الأمر من وجهه نظر روميل نوعًا من السبـاق مع الزمن. فقد كان ينتظر الإمـدادات؛ ويجد نفسه مضطرًا لتـأجيل تنفيذ خططه ريـثما تصل هذه الإمدادات. ولـكنه لم يتردد فى الشـروع بما يقتـضيه الموقف مـن كشف نيات العدو؛ فـأصدر أمره فى يوم 14 نوفمبر 1941 - أى قبل أربعة أيام من بدء البريطانيين بهجومهم - إلى الفرقة الحادية والعشرين المدرعة بالقيام بهجوم استطلاعى إلى نقطة تدعى «بيـر حباطة». ولكن البريطانيين كانوا قـد شرعوا خلال الأيام الماضـية واستمـروا خلال الأيام التاليـة فى اتخاذ جميع التـدابير الضامنة لعدم إعطاء أى دليل على وجود أى استعداد لهجوم بريطانى وشيك؛ واستطاعـوا بما لجأوا إليـه من وسائل التـمويه والإخفـاء البارعـة ومن وسائل الدفاع ضد طائراتنا أن يـحولوا دون الطيران الألمانى ودون نجاحه فى مـهمات الاستطلاع. ولذلك لم نتلق من عملائنا ولا من قواتنا الاستطلاعية أى تقارير تنبئ بشىء غيـر عادى ينم عن قرب وقوع هجـوم بريطانى. ولذلك كان هذا الهجوم فى 18 نوفمبر 1941 مفاجـأة لروميل. ولكنها كانت مفاجـأة تكتيكية أكثر من إسـتراتيجية. ولم أكن أعلم فى ذلك الـوقت أن صورة الخريطة التى رسمها روميل بخط يده للهجوم الألمانـى على طبرق قد سرقت وأصبحت بين يدى القائد البريطانى».

ويضيف الجنرال وستفال فى رسالتـه أن توزيع القوات البريطانية المدافعة عن طبـرق لم يكن يوحى بأن البـريطانيين كـانوا مـدركين أن هجـوم روميل الرئيـسى سيـتم من جـهة الشـرق. وهذا الرأى هو أيضًـا رأى المقدم «فـون مللينثن» الذى كان يومئذ أركان العمليات رقم 3 لمجموعة البانزر الأفريقية.

تعتبر الشهادة التى حصلت عليها من الفليد مارشال كسلرنغ فى موضوع الخريطة المسروقة من أهم الشهادات؛ فقد كتب لى مجيبًا على سؤالى يقول: «كنت فى تلك الفترة فى روما وقد استلمت فى نهاية نوفمبر 1941 قيادة القوات الجوية الألمانية فى البحر الأبيض المتوسط بالإضافة إلى عملى كقائد عام فى الجنوب. ولم أسمع من رومل أو من هيئة أركان حربه أى شىء عن تسرب الخطة الألمانية للهجوم على طبرق إلى الأعداء. غير أن هذا لا يمكن أن يعنى أنه لم تكن هناك خيانة. وقد سبق أن جرت مثل هذه الأعمال؛ فاضطر رومل بسبب تجارب الماضى غير السارة إلى اتخاذ احتياطات أمن مشددة بالنسبة لهجومه المضاد من العقيلة للاستيلاء على برقة. فقد سبق لى مثلا أن أشرت شخصيًا إلى احتمال تسرب أنباء القوافل المبحرة من إيطاليا إلى ليبيا فى حديث لى مع رئيس هيئة أركان حرب القوات الإيطالية المارشال الكونت كافاليرو الذى كنت أعمل معه فى انسجام كامل. ولكننى أضفت إننى غير قادر أن أكشف النقاب عن المتسبب فى هذه الخيانة ذلك أن محطات استراق السمع نفسها - وقد كانت تدار بكفاءة ممتازة - لا تقدم لنا تفسيرًا وافيًا للموضوع. ومع هذا فهناك أدلة ثابتة لا مجال للشك فيها على أن الحلفاء كانوا على علم دقيق بخط سير قوافل المحور وزمانه ومكانه. وحين كانت هذه القوافل تؤمر بتغيير خط سيرها فكثير منها لم يكن يهاجم؛ وكذلك كان شأن السفن الألمانية السريعة عندما كانت تعبر البحر؛ فكيف كانت كل هذه المعلومات تتسرب إلى البريطانيين؟»!.

ويتابع المارشال كسلرنغ مناقشة هذا الموضوع فى رسالته إلى فيقول: ولم يكن عدد الذين يعرفون بما يقرر فى شأن تكوين القوافل وحمولتها وموانئ الشحن ومواعيد إقلاع السفن؛ ليزيد على أصابع اليد الواحدة من أعلى

الضبـاط رتبة فى القـيادة العامـة الإيطالية وفى سـلاح الجو الألمانى. لكن ألا يعلم هؤلاء جميعهم أن تسرب المعلومات إلى الأعداء إنما يعنى؛ بالإضافة إلى خسارة السـفن والمؤن؛ تعـريض العدد الوافـر من الجنود الإيطاليـين والألمان للموت غرقًا فى البحر البـيض المتوسط؟ وهل يمكن لرجل ذى ضمير أن يبرر أمام نفسه وأمام الله مثل هذه الجريمة بحق جنوده وأبناء وطنه؟

«ولم نكن نستطيع التـجنى باتهـام أحد من هـؤلاء الضبـاط الألمان أو الإيطاليين بالخيانة. ولكن الخسائر كـانت تزداد بشكل مخيف لدى عبور قوافل المحور البحـر الأبيض المتوسط حاملة الإمدادات والمؤن التى تحتاج إليـها قواتنا فى أفريقيـا أشد الحاجة. وكان عـلىَّ بوصفى قائدًا عامًا للمنـطقة الجنوبية أن أواجه مشكلة ذات ثغرات كثيرة. فاضطررت لإشراك عدد من البحرية الألمانية وسـلاح الطيران الألمانى فى عـمليات الـتمـوين والإمداد الإيطاليـة من أجل التفتيش واتخاذ الإجراءات السرية واحتـياطات الأمن ضد أعمال الخيانة؛ كما اضطررت لتهـيئة حـماية جوية كـافية تـتزايد باستـمرار لضمـان إيصال أهم الإمدادات والمعـدات والتمـوين اللازمة إلى أفريـقيا. وكـانت النتيـجة إرهاق الطيارين برحـلات كثيـرة ليلا ونهارًا فـوق البحر؛ ونادرًا ما كـانوا يتمتـعون بالتفوق الجوى فى المكان والزمان. وبذلك تضاعف أثر الخيانة مرتين أو ثلاث مرات على سير الحرب فى الصحراء العربية وإن كانت الخسائر أخذت تتضاءل بعد ذلك حـتى زالت كليًا حـين اضطر الحلفاء لاسـتخـدام قواتهم البـحرية والجوية فى جهات أخرى؛ واضطرتهم أيضا هجـمات قاذفات القنابل وحصار الغواصات لعدم التحرك».

ويضيف «كسلرنغ» قوله: «إن الأعوام التالية للحرب ساعدت على حل جزء من الـلغز. فقـد أصدر الأمـريكى «إيليا زاكـارياس» الذى كان ضـابطًا

ورئيسًا للمخابرات البحرية الأمريكية فى إيطاليا كتابًا بعنوان «مهمة سرية» ذكر فيـه أنه كان على علم بكل شىء يحدث فى القـيادة البحـرية الإيطالية. فكل المناقشات العسكرية السرية المهمـة التى كانت تدور فى هذه القيادة كانت تبلغه بكل تفاصيلها. وكان قسم البحرية الإيطالية يطلعه على الأرقام السرية لقوات المحور فى الصحـراء العربية. أما المصدر الرئيـسى الذى كان يزوده بالمعلومات فقد كـان الأميرال الإيطالى موجـيرى الذى كافأه الحلفاء عـلى الخدمات التى قدمها لهم أثناء الحرب».

هذه الشـهادات التى أدلى بهـا إلىَّ أربعة من كبـار الرجال العـسكريين خطيًا تلقى أضواء على هوية الخائن الذى سلم صورة عن خطة رومل للهجوم على طبرق إلى البـريطانيين. ولكن السؤال يبـقى بحاجة إلى جواب صـحيح محدد. والشخص الوحيد الذى بإمكانه أن يقدم هذا الجواب هو الفيلد مارشال أوكنلك؛ غير أن وزارة الحربية البـريطانية ما تزال ترى أن الوقت لم يحن بعد للكشف عن تفاصيل هذه القـصة المثيرة؛ وإن كان المثل الشهـير القائل: «كل الطرق تؤدى إلى روما» يمكن أن يجد تطبيقه الواضح فى موضوع هذه الخيانة إذ أن تقـارير المخـابرات من هيـئـة أركان حـرب رومل أوضـحت كلهـا أن مخابرات العدو السريـة كان لديها فرص كافية للوقوف على مـعلومات مهمة عن طريق روما[1].

يقول الفريق فريتز بايرلاين عن معركة كروسيدر:

1 - السباق مع الإنجليز بالنسبة للوقت:

لسوء الحظ لا توجد سلسلة متصلة من كتابات رومل عن مرحله الحرب فى الصحراء العربية خلال شتاء 1941/ 1942. وبدون الرجوع لهذه الفترة لا

(1) بول كارل - نفس المرجع ص 104.

يمكن تقدير المشاكل التكتيكية والإستراتيجية فى الصحراء العربية ومقدرة روميل فى القيادة؛ ولذلك وجدت أنه من الضرورى تلخيص العمليات (أثناء هذه الفترة) من المراجع المتوفرة عنها. وقد اعتبرت نفسى مؤهلا للقيام بهذه المهمة لأننى كنت فى مركز الأحداث فقد قدمت من بحيرات الوحل (للشتاء الروسى المبكر) إلى الصحراء؛ وكان ذلك أثناء الخريف بعد بدء الهجوم البريطانى بوقت قصير؛ وكان ورائى خبرة مستفيضة فى الحرب الخاطفة التى اكتسبتها فى مسرح العمليات الأوروبى تحت قيادة أستاذ هذا الفن الجنرال جوديريان وقد جمعت ما أكتبه الآن من خبرتى الفعلية وتجاربى الشخصية أثناء حملة ليبيا؛ علاوة على الوثائق المتوفرة عن هذه الحملة. الجنرال هاينز جود بريان؛ وهو القائد المسئول عن إنشاء وتكوين وتدريب الفرق المدرعة (البانزر) فى الجيش الألمانى وقد وضع نظريات استخدمها؛ بالرجوع للنظريات التى وضعت قبل ذلك بواسطة أساتذته فولتر وليدل هارت.

فى ربيع عام 1941 ذهل العالم كله من العمليات الألمانية الإيطالية فى الصحراء العربية والتى نتج عنها الاستيلاء السريع على برقة. وأمكننا الاحتفاظ بالأرض الإيطالية المستردة بالرغم من الهجمات الشديدة من جانب الإنجليز؛ ودعمنا الدفاع عنها بإنشاء خط دفاعى ممتد من السلوم إلى البردية.

ولكن فى الجانب الآخر من الصورة فشلنا فى الاستيلاء على طبرق بالرغم من كل المجهودات التى بذلت. وكان ذلك سيمكننا من الحصول على ميناء للإمداد والتموين بالقرب من الجبهة؛ لأن بنى غازى كانت تبعد عن طبرق حوالى 300 ميل وعن طرابلس حوالى ألف ميل أخرى. أما الإنجليز فقدروا طبرق بقيمتها الحقيقية ودافعوا عنها بعناد مستميت. وقد ارتبطت القوات الألمانية والإيطالية بعجلة هذا الحصار. ولكن أسوأ من كل هذا أن

العمليات القادمة سيحــدد مصيرها الموقف فى طبرق؛ لأن العدو لو هاجم من مصر وطبــرق فى وقت واحد لأصبح موقف رومل حرجـا للغاية؛ لأن قوات المحور الضعيفة لن تتوفر لها أى عمق يسمح لها بالعمل بحرية.

وكانت خطــوط مواصلاتهــا مهددة بــاستمــرار علاوة على أنهــا كانت محصــورة فى المنطقة المحددة بالبــحر وجبهــتنا فى السلوم وجبهة الحــصار فى طبرق لذلك كانت مهددة بخطر كبيــر قد يؤدى إلى سهولة حصارها والقضاء عليها بواسطة عدو قوى يتمتع بقيادة جيدة.

وكان رومل يعــلم أن العدو سيــستــغل هذه الفرصــة قرب نهــاية العام ولذلك قرر إرباكه بالاستيلاء على طبرق قبل أن تقع الكارثة. ولكن إذا هاجم رومل طبرق فيجب عليه أن يدخل فى حسابه احتمال قيام هجوم إنجليزى على مؤخرته لتخليص طبرق أو حتى لتخفــيف الضغط على حاميتها؛ ولمقابلة هذا الاحتمال كان يجب حشد كل قواته الميكانيكية بين كابتزو وبيرالجوبى.

وقــدر رومل الموقف ووجد أن الإنجليــز لن يقــوموا بهــجوم إلا عندمــا يتأكدوا أن المحور لن يقوم بهجــوم على الشرق الأوسط عبر القوقاز؛ وبذلك يستطيعوا سحب قوات كــبيرة لاستخدامها فى الجبهــة فى مصر؛ وبهذا يتأكد لهم نجاح خطــتهم؛ ونظراً لتعــثر عمــلياتنا فى روسيــا فأصبــح من المتوقع أن يستعد الإنجليز لهذا الهجوم فى حوالى شهر نوفمبر.

وقد تم خلال شهر ســبتمبر تقوية جبهة الحــصار حول طبرق مع تحديد نقط لبدء عمليــات الهجوم. واستلزم ذلك زيادة التحركات البــحرية الإيطالية عبر البحر المتوسط إلى الصحــراء العربية لنقل الإمدادات من أسلحة ومعدات لازمة للهجوم؛ وكما هــو الحال ظل الإيطاليون دون المستوى المطلوب بالرغم من وعود القيادة العليا باعتبار هذه الإمدادات حيوية لعملية الهجوم.

ونتج عن هذا أنه فى نهاية سبتمبر وصل فقط ثلث القوات وواحد إلى سبعة من الإمدادات التى كنا نحتاجها؛ وكانت هذه عقبة مخيفة فى سباقنا مع الإنجليز بالنسبة للوقت فاضطررنا لتأجيل هجومنا على طبرق إلى شهر نوفمبر؛ وبالرغم من ذلك كان علينا الاقتناع بقوات وعتاد غير كافيين فى ذلك الوقت.

وبما أن الوقت كان غير متوفر فاضطر رومل فى بداية نوفمبر أن يخطر القيادة العليا بأن لديه قوات كافية للهجوم (لأنه وجد أن من الضرورى بل من الحيوى بدأ هذا الهجوم فى النصف الثانى من نوفمبر حتى لو لم تصله الإمدادات اللازمة؛ لأنه فى هذا الحين ستكون كل استعداداتنا قد كملت)؛ ولكن القيادة العليا لم تدرك قيمة عامل الوقت ولم تفهم وجهة نظرنا؛ ولذا كانت غير مطمئنة لقرارنا. وفى ردها وجهت نظرنا إلى التفوق الجوى البريطانى واقترحت تأجيل الهجوم للعام التالى؛ ولم يوافق رومل على هذا الكلام ورد عليهم فى نفس اليوم بأن أى تأجيل سيؤدى إلى تغيير ميزان القوى بدرجة أكبر فى غير صالحنا؛ ولذا فإن الهجوم أصبح حيويا ويجب أن يتم فى أقرب فرصة ممكنة؛ وعليه وافقت القيادة العليا على القيام بالعملية فى التاريخ المحدد[1].

وكان الهجوم الرئيسى ستقوم به الفرقة 90 خفيفة والفرقة 15 بانزر وفرقتين مشاة إيطاليتين. وقد حرك رومل الفيلق الإيطالى الميكانيكى التابع للجنرال جامبارا (ويتكون من فرقه أريتى المدرعة وفرقة تريستا المحملة) ومعه الفرقة 21 بانزر إلى المنطقة الواقعة جنوب وجنوب شرق طبرق (بين بير حكيم وقصر العريض وجوت الحريقة) لتعمل هذه القوات كقوة ساترة وعليها القيام

---

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص116.

بالدفاع الخفيف الحركة ضد أى هجـوم يقوم به العدو على مؤخرة قواتنا (التى ستـقوم بالهجـوم) أو على جبهـتنا فى السلوم لتخليص طبـرق. وانتهت هذه التحـركات يوم 16 نوفمـبر واستـمر الحصار لـطبرق بواسطة فرقـتى بريسكيا وترينتو الإيطاليتين.

وفى هذا الحين كـانت قوة روملِ المدرعـة تشمل 260 دبابة ألمانية؛ 154 دبابة إيطالية؛ وكان موقف الدبابات الألمانيـة من حيث النوع كما يلى: 15دبابة بانزر ماركة 1، 40 دبابة بانزر2، 150 دبابة بانزر3 (وكان 50٪ ما يزال مسلحًا بمدفع عيار 37مم فقط[1] وأخيرًا 55 دبابة بانزر4.

وخلال ليلتى 17/ 18 نوفمـبر قام الكومـاندوز الإنجليزى بإغارة جـريئة للغاية مـحاولين القضـاء على ما كانوا يظنوه القيـادة العامة للجـيش فى بيدا ليتوريا (وتبعد 200 ميل خلف الجبهة) كتمهيد للهجوم المزمع.

ولكن المكان الذى هاجـموه كان مقـرًا لرئيس الشئـون الإدارية وكان به عدد 2 ضابط و2 من الرتب الأخرى؛ وقد قتلوا جميعًا فى هذه العملية.

ومن الغريب أن روملِ كـان يستخدم هذا المـبنى قبل ذلك مقرًا لقـيادته بالفعل. وكـان يشغل الدور الأول بينما يشـغل ياورانه الدور الأرضى؛ ويبدو أن الإنجليز قـد تلقوا هذه المعلومات من مـخابراتهم. وقد تخاطب الفـدائيون الإنجليز مع الحارس بالغة الألمانية. وبالرغم من عدم مـعرفتهم لكلمة سر الليل فلم يطلق الحـارس عليهم النيران لأنـه اعتقـد أنهم ألمان ضلوا الطريق (لأنهم كانوا يرتدون الملابس الألمانية ويحملون معـدات ألمانية). وفجأة صرع الحارس بمسدس أحد الفدائيين؛ ثم اندفعـوا بسرعة إلى داخل المنزل وأطلقوا دفعة من

(1) سلحت الدبابة بانزر مـاركة 3 فيـما بعد بمدفع عـيار 50مم. أما البانـزر ماركة 4 فكانت مسلحة بمدفع عيار 75مم.

النيران فى الغرفـة التى على يسار المدخل وقتلوا الألمانيـين؛ وحاولوا الاندفاع إلى الدور الأول؛ ولكنهم قوبلوا هناك بنيران شديدة؛ فانسحبت باقى القوة.

2 - الهجوم البريطانى:

لقد صدر منشور دورى فى منتصف أكـتوبر من مخابرات جيش البانزر لكل التشكيلات يتضمن الآتى:

«نظرًا للكميات الضخمة من العتـاد الحربى والقوات الكبيرة التى تتدفق على مصر فهناك خطر كبير من قيام الإنجليز فى القريب العاجل بهجوم عام».

وفى سبتمبر (قبل هذا الوقت) اكتشفت مخابراتنا تحرك فرقة من جنوب أفريقيـا وأخرى نيوزيلندية من دلتا النيل إلى مـرسى مطروح؛ وتأكد لنا ذلك فيما بعد من استجـوابنا للأسرى هذه الفترة؛ ومع هذا فإن الاستطلاع المسلح فى منتصف سبتمبر (والتى قامت به الفرقة 21 بانزر فى المنطقة جنوب سيدى برانى) لم يظهر أى دلائل على احـتمال وقوع هجوم قـريب. ولم نشاهد فى منطقة الحـدود المصرية أى مناطق للتشـوين لإمداد أى هجوم رئيـسى؛ علاوة على ذلك لم تكتـشف وحدات استطلاعنا الأرضى ولا الجـوى سير اقـتراب تشكيلات العدو وكان إخـفاء العدو لتحضيراته رائعًـا؛ والصمت الذى فرضه على أجهزة اللاسلكى ووحـدات الإشارة منعنا من اكتشـاف تحركه إلى مناطق الحشد؛ عـلاوة على أن استطلاعنا الجوى كان يعـمل بعدد قليل من الطائرات لذلك فشل فى اكتشاف تحركات قوات العدو علاوة على أن العدو كان يقتصر تحركاته على فترة الليل ويثبت بالنهار تحت حماية وستر إجراءات إخفاء وتمويه ممتـازة؛ ويضاف إلـى هذا أن القدر تدخل فـسـقطت أمطار غـزيرة على كل مطاراتنا فـأدى ذلك أننا لم نستطع استـخدامـها يوم 18 نوفمبـر ولم تخرج

طائرات استكشافنا فـى هذا اليوم. علاوة على أن هذا الهجوم حـقق المفاجأة التكتيكية التامة.

وفيما بعد (ومن الوثائق الـتى سقطت فى أيدينا) علمنا الغرض الرئيسى للجيش الثامن البريطانى فى هذه العملية. وكان الغرض تدمير القوات الألمانية والإيطالية وفك الحصار عن طبرق ثم استغـلال النجاح بالتقدم للاستيلاء على طرابلس. وكان الفيلق 30 فى الجناح الأيسر وعليه التـقدم من الحدود المصرية داخل الصحـراء إلى طبرق بأغلب القـوات المدرعة الإنجليزية. أمـا الفيلق 13 فيتقدم عـلى الساحل؛ وكان واجبه أولا تثبيت الحامـيات الألمانية الموجودة فى منطقة السلوم؛ بينما تقوم المدرعات بعمليات التفاف ثم تتقدم بعد ذلك شمالا لعزل هذه الحاميات ثم الاستمرار فى التقد غربا لمساندة عمليات الفيلق 30.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

«بدأت هذه العمليـة المسماة بـ(كروسـيدر) يوم18 نوفمبر بسـير اقتراب طويل بواسطة القوة الأساسية التى التفت فى دائرة واسعة حول الجناح الجنوبى للمواقع الألمانيـة الإيطالية القوية. وكانت القـوة المهاجمة تشمـل حوالى سبع فرق بما فيها حامية طبرق نفسها تواجهها ثلاث فرق ألمانية وسبع إيطالية ولكن هذه المقارنة العـددية قد تعطى انطبـاعا خاطئًا عن مـيزان القوى وخـاصة أن العنصر الحاسم في هذه المعركة (وغيـرها من عمليات الصحراء) هو المدرعات والقوة الجـوية. فقد كان لدى الإنجليـز خمس لواءات مدرعة وبينمـا كان فى حوزة رومل ما يوازى لواءين ألمانيين ولواء واحد إيطاليا. فمن الناحية العددية كان لدى الإنجليز 724 دبابة ومن ورائها حوالى 200 دبابة فى الاحتياط(وكانت ترسل للجبهة بمعدل 40 دبابة يوميا).

أما قوة رومل فكانت فى البداية 414 دبابة منها 154 إيطالية. وكان لديه حوالى 50 تحت الإصلاح؛ ولكن لم يكن لديه أى دبابات جديدة كاحتياطى عام. أما القوة الجوية فكان التفوق للإنجليز كبيرًا جدًا؛ لأن الطائرات الجاهزة للعمل كانت حوالى 1100 طائرة فى مواجهة 120 طائرة ألمانية وحوالى 200 إيطالية. وزاد من هذا التفوق المبدئى عامل المفاجأة التكتيكية الذى أمكن تحقيقه.

وفى بداية نوفمبر ذهب رومل إلى روما ليحصل على تصديق خطة الهجوم على طبرق وظل هناك ليحتفل فى يوم 5 نوفمبر بعيد ميلاده مع زوجته. وقبل بدء الهجوم البريطانى مباشرة عاد طائرا إلى الجبهة المصرية - الليبية».

ولم ير رومل شيئًا من مباهج روما أو متاحفها. ولكنة شهد؛ بدعوة من القيادة الإيطالية فى عيد ميلاده؛ فيلما «اسمه الزحف من بنغازى» وهذا الفيلم يصف التقدم الذى حدث فى نيسان الماضى. وقد أوضح هذا الفيلم بطولة الإيطاليين وهم يحاربون بالحرب؛ وبعض الضباط البريطانيين وهم يولون منهم الأدبار فى هلع وفزع؛ ولم يبين هذا الفيلم ألمانيا واحدا فى الميدان!.

ولقد علق رومل على هذا الفيلم لمضيفيه بقوله: «إنه فيلم ممتع حقًا؛ وأننى لأدهش حقًا ما حدث فى هذه المعركة!».

محاولة اغتيال رومل:

يقول اللواء دزموند عن محاولة اغتيال رومل ما يلى:

ولقد سرت على ألسنة الناس تلك القصة القائلة؛ بأن تغيب رومل عن مقر قيادته العليا فى (بيدا ليوتوريا) بالقرب من (اتشيرينى)؛ قد أنقذ حياته من الموت؛ أو من الوقوع فى الأسر، أو اختطاف البريطانيين إياه.

والذى حدث أن جماعة من الفدائيين البريطانيين، برياسة المقدم جيوفرى كيز (الذى منح وسام صليب فيكتوريا) كانت إحدى الواصات قد أنزلتهم على الساحل. فلقيهم هناك جون هازلدن الضابط البحرى، الذى قتل فيما بعد، ودلهم على الطريق. ولما كان هازلدن يتنكر فى ملابس الإعراب؛ فقد تمكن من البقاء وراء خطوط العدو!

ولعلك تسأل أين كان يقع مركز القيادة العليا لرومل. لقد كان هذا المركز فى مدخل إحدى القرى القريبة من أتشيرينى؛ حيث يطالعك إلى اليمين مخزن صغير للغلال؛ ثم بعد ذلك يأتى صف طويل من البيوت المنعزلة بعضها عن بعض؛ ثم ترى وسط أشجار السرو بعيداً عن الطريق العام؛ بيتًا كبيراً مظلمًا مؤلفًا من طابقين. فى هذا البيت كان رومل يعيش فى عام 1941. وفى منتصف الليل؛ جاء المقدم جيوفرى ومعه رجلان: كامبل؛ وتيرى؛ ووقفوا جميعًا أمام الباب الخارجى للبيت؛ ثم طلبوا الدخول فورًا؛ وكانوا يتحدثون بالألمانية. فـفتح لهم الحارس؛ ولكن عندما دخلوا البيت؛ أبدى الحارس ارتيابه فى أمرهم؛ وكاد يقتلهم لولا أنهم تغلبوا عليه. وفى أثناء ذلك ظهر ضابطان على الدرج؛ فأطلقت عليهما النيران. وكان البيت مطفأ الأضواء؛ كما كان الصمت يحتويه فى بردته. وأخذ كيز يفتش الطابق الأرضى دون جدوى؛ وكذلك كان الطابق الأول خاليا تماما؛ ثم انطلق عيار نارى من الطابق الثانى؛ أصاب كيز فهوى صريعًا. كما أصيب كامبل وأسر؛ غير أن تيرى أفلح فى الهرب. . . ولقد دفن المقدم كيز فى بيداليتوريا على أحد التلال جنوبى القرية.

وفى أثناء ذلك كان رومل فى روما. وحتى لو أنه لم يكن فى روما؛ كان من الصعب أن يختطفه الفدائيون؛ من ذلك البيت المظلم الذى أحاطت به

أشجار السرو. ذلك أن هذا البيت لم يكن مقـرًا لقيادته العليا؛ وإنما كان مقرا لهيـئة أركان حـربه برياسة العـقيد اوتو. أمـا مقر قـيادة رومل فقـد كان فى الصحراء غـربى درنة. وكان رومل فى بعض الأحيان يأتى إلى بيـدا ليتوريا؛ ولكنه لم يكن يبيت هناك.

إذن لقد كانت معلومات جون هازلدن خـاطئة؛ لأنه استقاها من بعض الأعراب؛ وهؤلاء إمَّـا أنهم لم يروا رومل قط؛ وإمًّا أن الأمر اخـتلط عليهم وظنوه من بعض الألمان الآخرين.

ولقد سقط جيوفرى كيز ميتًا متأثرًا بجراحه على ميسرة ميل من القرية. بعد أن تمكن من أن يزحف على يديه ورجليه فى الليل؛ عندمـا أصيبت قدمه إصابة خطيرة؛ وبعد أن جرحت الأخرى.

ولقد ذكر لى الدنجر هذه القصة وقال: «إن كيز حقًا لشجاع»[1].

كانت الاستـخبارات البريطانيـة قد جمعت المعلومـات عن مقر رومل؛ وعرفت أنه كان مقيمًا فى بناء قرب (الشاطئ الأبيض) على بعد 320 كيلومترًا إلى الخلف من الجبـهة. فـقررت تنظيم إغارة لاخـتطاف رومل؛ وتكون هذه العملية هى بداية الهجوم البريطانى. غير أن الاستخبارات البريطانية لم تعرف أن رومل قبل سفره إلى روما قد جعل من سكـنه مقرًا لقائد الإمداد والتموين وهيئة أركانه؛ كما أنها لم تعرف أن رومل قد تأخر فى روما لمدة يومين.

وفيما يلى خطة وطريقة محاولة اغتيال رومل:

يتضح من ذلك بأن رومل كان قد اعتزم القيام بهجوم؛ سواء أكان ذلك بتشـجيع القيـادة العليا أم بغيـر تشجيـعها؛ فكانت طبـرق أول هدف رئيسى لهجومه ذاك.

(1) اللواء دزموند - المرجع السابق ص111.

وقد كتب الجنرال أوكنلك يقول: «إن سلامتنا من ارتباك خطوطنا فى منطقة الحدود مدة أربعة أشهر ونصف شهر؛ مردها إلى حد كبير إلى حماة طبرق. فلقد كان حماة طبرق يدافعون بحماسة بالغة؛ وكانوا على استعداد دائم لأن يقوموا بهجوم على العدو الذى يكاد يبلغ ضعفهم فى قوته. وقد حرصت حامية طبرق على أن تقلق بال العدو؛ من شهر أبريل حتى شهر نوفمبر».

ولقد اتخذ الجنرال ويفل قراراً وسط جو من الاضطراب والعجلة؛ وفى غمرة معركة خاسرة. لقد كان قرار ويفل أنه من غير الممكن أن يكون ثمة تقدم للعدو على الحدود المصرية وطبرق ما تزال فى أيدى البريطانيين!.

ولم يستطع روميل أن يحصل حتى على الإذن فى مهاجمة طبرق إلا بشق النفس. ولقد أراد أن يجعل الهجوم على طبرق فى أكتوبر أو فى نوفمبر؛ غير أن هتلر وبودل وكتيل لم يوافقوه على ذلك؛ حتى يناير سنة 1942. ذلك لأنهم كانوا لا يريدون أن يقوموا بأية حركات عسكرية فى الصحراء العربية؛ فى الوقت الذى لم ينفضوا فيه أيديهم من روسيا. ولقد علم الإيطاليون عن طريق عيونهم ووكلائهم فى القاهرة والإسكندرية؛ أكثر مما يعلم الألمان؛ بالهجوم القادم الذى سيشنه الجنرال اوكنلك. كما أن الإيطاليين وثقوا فى أية حركة يقوم بها روميل بقيادتهم الاسمية. وأخذ سلاح الطيران الألمانى يلتقط صوراً فوتوغرافية للخط الحديدى الذى مدته القوات البريطانية غربى مرسى مطروح. وذكر الجنرال فون رافنشتين أنه كان حاضراً عندما ألقى روميل بهذه الصورة الفوتوغرافية إلى الأرض مغضبا وقال: لن أنظر إليها!» ثم جاء تقرير من الأميرال كناريس؛ وفيه أن جنديًا بريطانيًا فى مستشفى القدس؛ أخبر ممرضة ألمانية تعمل جاسوسة للألمان؛ بأن البريطانيين يتهيأون للقيام بهجوم قوى عاجل على روميل؛ ولقد أدت هذه المعلومات التى

بعثت بها هذه الجاسوسة الألمانية؛ إلى تزويد رومل بتعليمات من هتلر وبودل؛ بالتزام الهدوء والتخلى عن طبرق؛ والتهيؤ لملاقاة الهجوم الذى سيشنه أوكنلك. ويبدو أن هتلر وبودل لم يدركا ما يترتب على ذلك من صعوبة؛ فإن من الصعب صد هجوم أوكنلك إذ ما ظلت طبرق فى قبضة البريطانيين.

ولكن رومل أصر على الاستيلاء على طبرق بأى ثمن. ولم يذعن لأمر هتلر وبودل وطار إلى روما ومعه فون رافنشتين للمباحثة فى هذا الأمر[1].

عمل رومل خلال إقامته فى روما على أخذ الموافقة من القيادة العليا الإيطالية ومن القيادة العليا الألمانية للهجوم على طبرق فى النصف الثانى من نوفمبر - وعارضت القيادة العليا الألمانية - الإيطالية موعد الهجوم. وأظهر رومل حجته؛ فقد كان الوقت يضغط عليه بشدة؛ وهو إذا لم يبدأ بالهجوم فسيأخذ البريطانيون المبادأة؛ مما يزيد من تعقيدات[2] الموقف وخطورته وكان فون رافنشتين فى مكتب رينتلن ضابط الاتصال الألمانى بين الألمان والإيطاليين؛ حين أفرغ رومل كل ما فى جعبته؛ وراح يعلن رينتلن؛ ويتهمه «بأنه جبان وصديق للإيطاليين» ثم أمسك رومل بالتليفون واتصل ببودل نفسه ودار بينهما هذا الحور:

قال رومل: «بلغنى أنك تريدنى أن أقلع عن مهاجمة طبرق. إننى مستاء لذلك أشد الاستياء!».

فقال بودل: «إذن احتفظ بالفرقة الحادية والعشرين المدرعة لملاقاة الهجوم البريطانى؛ فى الوقت الذى يبدأ فيه الهجوم على طبرق».

---

(1) اللواء إدموندر يونغ - المرجع السابق ص 109.

(2) بسام العسيلى - المرجع السابق ص 149.

وأراد بودل أن يتحلل من المسئولية فقال لرومل: هل تضمن لى أنه لن يكون هنالك خطر؟» فصرح رومل قائلا: «إننى أؤكد لك ذلك على مسؤوليتى الشخصية!». ولما أصبح بودل غير مسئول عن هذا الهجوم الذى سيقوم به رومل؛ لم يسعه إلا الموافقة!.

وحصل رومل فى النهاية على موافقة القيادة للبدء بالهجوم على طبرق فى الوقت الذى يراه مناسبا.

وحدد اليوم الثالث والعشرون من نوفمبر للهجوم على طبرق. وقد أعد كل شىء لذلك. وسافرت زوجة فون رافنشتين وزوجة رومل إلى روما؛ وبقى رومل فى روما ليحتفل بعيد ميلاده فى الخامس عشر من ذلك الشهر ثم عاد إلى مسرح العمليات فى الصحراء العربية؛ يوم 18 نوفمبر، وفى هذا اليوم ذاته؛ كان البريطانيون قد انطلقوا بهجومهم.

وبغض النظر عما يمكن أن يكون رأى هتلر والقيادة الألمانية العليا؛ قرر رومل وجوب الاستيلاء على طبرق بسرعة لأن التفوق البريطانى أخذ يزداد كل يوم بعد أن طفق البريطانيون يحضرون بواسطة هذا الميناء كل ما يمكن لسفنهم أن تحمله من ذخيرة وعتاد. وكان على رومل أن يتحسب لعودة البريطانيين إلى الهجوم مرة أخرى. ووجد رومل ما يدعم قراره فى المعلومات التى توفرت لدى رئيس المخابرات الألمانية الأميرال «كاناريس» الذى كان يتنازعه عامل الوفاء لواجب وظيفته من جهة وعامل الوقوف فى وجه هتلر من جهة أخرى حتى أنه أدين بتهمة التخريب ضد ألمانيا رغم أنه أدى للقادة الألمان أجل الخدمات أثناء الحرب.

فلقد نشر «كاناريس» عملاءه فى كل مكان؛ وكانت له فى المستشفى البريطانى فى القدس ممرضة من هؤلاء العملاء ترهف السمع للجنود البريطانيين الجرحى وتتسقط أخبارهم ومعلوماتهم المهمة. ولقد تسنى لهذه

المرضة أن تكون شيئًا فى تحول مجرى الحرب فترة قصيرة. إذ تمكنت ذات يوم من أن تسمع أحدهم يتحدث عن هجوم جديد سيقوم به البريطانيون قريبًا فى الصحراء العربية؛ ووجدت لدى باقى الجنود ما يؤيد هذا الحديث فبعثت بتقرير مفصل إلى «كاناريس» أثار اهتمامه البالغ حتى أنه عمد إلى إرساله حرفيًا إلى هتلر وإلى الجنرال جودل؛ كما أعلم روميل بمضمونه؛ مرفقًا هذا التقرير بأنه يرى «أن الاستيلاء على طبرق بأقصى السرعة الممكنة بات ضرورة بالغة الأهمية». وكان فى هذا الرأى يبديه رئيس المخابرات دعم وتأييد لقرار روميل لم يكن يتوقعه القائد الألمانى الكبير؛ فنشط للعمل وسارع إلى إجراء محادثات هاتفية مع الجنرال جودل فى روما حيث استطاع تذليل المعارضة التى كانت تبديها القيادة الألمانية العليا لخططه؛ إذ انتهت هذه القيادة إلى الموافقة على قرار روميل؛ وأرسلت إليه إذنا ما كاد يتلقاه حتى بادر إلى اتخاذ كل العدة الضرورية لهجوم لا بد من شنه فى شهر نوفمبر 1941.

وفى هذه الأثناء كان الإنجليز من جانبهم يواصلون اتخاذ الاستعدادات الضرورية بسرعة عظيمة للعودة إلى الهجوم؛ وقد أيقنوا أن روميل هو الدماغ المسير للحرب فى الصحراء العربية؛ فلا بد إذن من القضاء عليه بشكل من الأشكال؛ كأن يُقتل مثلا أو يقع أسيرًا بيد القوات البريطانية.

نقرأ فى مذكرات تشرشل قوله: «لكى نشل العقل المدبر ومركز أعصاب جيش العدو فى اللحظة الدقيقة؛ أرسلنا خمسين رجلا من الفدائيين الاسكتلنديين بقيادة العقيد ليكوك فحملتهم غواصتان إلى نقطة على الساحل تبعد 200 ميل وراء خطوط العدو. وأمكن إنزال ثلاثين رجلا انقسموا إلى جماعتين؛ الأولى لقطع خطوط الهاتف والتلغراف، والثانية بقيادة المقدم جوزى كيز نجل الأميرال كيز مهمتها مهاجمة منزل روميل».

والحقيقة أن تشرشل يتحدث فى هذه الفقرة عن عملية من أكبر عمليات «العباءة والخنجر» التى قامت بها المخابرات الـبريطانية فى مسرح العمليات فى الصحراء العربية. وكان الهدف الرئيسى قتل روميل أو أسره؛ وذلك قبل اثنتى عشرة ساعة من قيام البريطانيين بهجومهم الجديد. وكانت المخابرات البريطانية قد أكدت أن روميل ينام فى منزل حـجرى كبير تحيط به الشـجيرات بين منازل المستعمرة الإيطاليـة الحديثة المسماة «بيداليتوريا»؛ وكـان هذا المنزل فيما مضى مقرًا لبلدية المدينة وقد اتخذه الرائد شليسنر رئـيس الإمداد والتموين لمجموعة المدرعات فى أفريقيا مقرًا لقيـادته خلال الهجوم الألمانى وراء الجبهة فى منطقة سيرين الأثرية التاريخـية الشهيرة - وقد كانت هذه المـنطقة فى الماضى مركزًا لمستعمرة أفريقيـة دمرها زلزال وقع فى شاطئ برقة فأتى على كل ما تزدحم به من معابد وأعمدة - وفيها عثر الإيطاليون إثر عاصفة من الرعد فى عام 1913 على تمثال لفينوس هو التمـثال الشهير باسم (تمثال سيرين) ويـعتبر واحدًا من أروع تحف العالم الفنية.

وكانـت معلومـات المخابرات البـريطانية قـد أكدها أيضـا المقـدم جون هاسلدن وهو أحد ضـباط مجمـوعة الصحراء البـعيدة المدى وقد لعب أكـبر الأدوار فى خدمـة المخابرات البريطانيـة وراء خطوط روميل؛ وعاش وراء هذه الخطوط مدة طويلة متخفيا فى زى الأعراب. أما مجموعة الصحراء البريطانية البعيدة المدى هذه فكانت مؤلفة من فدائيين متطوعين اتخذوا من كهوف واحة سيـوه مقرًا لقـيادتهم أولا ثم نقلوا هذا المقـر إلى واحة الكفـرة. وكانت هذه المجموعة مكلفة بأعمال التخريب والتجسس فى الصحراء وراء خطوط العدو؛ ويقابلهـا لدى الألمان القوة المعـروفة بقوة «براندبرغ». ومن مـقر القيـادة كان الفدائيون البـريطانيون يقومون بالغـارات الجريئة على بعد مئـات الأميال وراء

خطوط العدو. ومن أبرز أعمالهم مفاجأة المطارات الألمانية على بعد 350 ميلا خلف الجبهة؛ وتدمير كل المقاتلات والقاذفات الجاثمة فى كل مكان ونسف مستودعات البترول وأسر بعض جنود العدو فى طريق العودة إلى مقر القيادة فى كهوف واحة سيوه أو كهوف واحة الكفرة. وكانوا يستخدمون فى هذه الهجمات عدداً قليلا من العربات الخفيفة وتستمر غارتهم فترات تطول أحيانًا حتى تبلغ الأسابيع.

وكانت الفكرة فى الأساس تدور حول استخدام رجال هذه المجموعة فى محاولة ضد شخص رومل للخلاص منه بإطلاق الرصاص عليه فى مقر قيادته أو أسره واقتياده إلى الخطوط البريطانية. وتم رسم كل شىء يتعلق بالخطة استنادًا إلى معلومات المخابرات البريطانية فى مكتب الأميرال كيزاميرال الأسطول وهو الذى كان يرأس كل فرق الكومندوس الخاصة لدى البريطانيين؛ وكان قد قام فى الحرب العالمية الأولى بعمل باهر إذ قاد عام 1918 قوة بريطانية ضد قاعدة الغواصات الألمانية فى ميناء اوستند البلجيكى؛ وتمكن من إقفال مدخل الميناء عن طريق إغراق سفن محملة بالأسمنت فأنزل بذلك بالألمان كارثة كبرى. وكانت نفسه تواقة للقيام بعمل باهر مماثل فى الحرب العالمية الثانية؛ فسنحت له الفرصة فى هذه العملية الخطرة التى تمت الموافقة على القيام بها قبل استئناف الهجوم البريطانى تخلصًا من رومل[1].

عهد إلى المقدم جوفرى كيز النجل الأكبر للأميرال باختيار 53 فدائيًا من بين مائه فدائى اسكتلندى تدربوا فى لندن عدة أسابيع تدريبًا شاقًا على أعمال الكومندوس؛ فاختار أشدهم صلابة وقوة. وكان معاونه ضابط يتكلم العربية والألمانية بطلاقة؛ هو النقيب كامبل. وعهد بقيادة العملية كلها إلى العقيد

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 73.

ليكوك. وفى ليلة 15 نوفمبر أنزلتهم غواصتان بريطانيتان فى خليج مهجور على شاطئ برقة خلال عاصفة من أشد العواصف. أما الغواصة الأولى فهى الغواصة «توربای» وكان المقدم كيز والنقيب كامبل على رأس الجنود الذين تحملهم؛ وكانت الأمواج خلال العاصفة تتقاذف الغواصة وكأنها علبة من علب الكبريت. وتكررت محاولة النزول إلى البر أكثر من مرة قبل نجاحها إذ انقلبت زوارق المطاط مرة تلو الأخرى حتى أمر المقدم كيز الرجال بأن يمسكوا بحبال الزوارق جيداً ويرفعوا من الماء أكثر قدراً مستطاع؛ وبذلك تمكنوا من شق طريقهم فى البحر الهائج إلى الشاطئ؛ فنزل إلى البر المقدم كيز والنقيب كامبل ومعهم 22رجلا. أما الغواصة الثانية وهى الغواصة «تاليزمان»؛ فلم يصل إلى الشاطئ من رجالها - وعلى رأسهم العقيد ليكوك - إلا سبعة رجال لأن الأمور سارت معه سيراً سيئًا إذ غرق من رجاله اثنان واضطر الباقون إلى العودة إلى الغواصة من شدة الإرهاق إثر صراعهم مع الأمواج. وهكذا لم يصل إلى الشاطئ من مجموع القوة البالغ عددها 53 رجلا إلا 29 رجلا؛ 22منهم مع المقدم كيز وسبعة مع العقيد ليكوك. وقرر العقيد أن يبقى هو وثلاثة رجال حيث تم نزول القوة على الشاطئ لتغطية انسحاب الكومندوس بعد انتهائهم من أداء مهمتهم. أما باقى القوة وعددهم 25 رجلا مع ثلاثة ضباط بقيادة المقدم كيز فقد كانت مهمتها الزحف إلى ذلك المنزل الحجرى الكبير وسط الشجيرات فى «بيد اليتوريا» الذى أكدت المخابرات البريطانية أن رومل ينام فيه؛ ومحاولة قتله أو أسره.

على أن هؤلاء الرجال لم يكونوا يعلمون أن المخابرات البريطانية كانت على خطأ كبير؛ ذلك أن «بيد اليتوريا» كانت فى وقت من الأوقات مركزا لقيادة رومل؛ ولكنها ليست اليوم مركزاً لهذه القيادة وإن كانت لا تزال مقراً

لرئاسة الإمداد والتموين وعلى رأسها الرائد شليسنر. ففى نهـاية شهر يوليو 1941 تولى رومل قيادة مجموعة المدرعات فى الصحراء العربية واتخذ من بيد اليتوريا مقرًا لقيادته؛ وكان رئيس أركانه الماجور جنرال جوس؛ ورئيس أركان حـرب العمليـات رقم 1 الجنرال وسـتفـال؛ واحتلـت مكاتب القيـادة المنزل الحجـرى الأبيض الكبيـر ومنازل أخرى مـجاورة. وكـان من اليسيـر بواسطة اللوحات المثـبتة عـلى أبواب هذه المنازل تبين المكاتب الموجـودة فيهـا. فعلى أحدها لوحة أركان حـرب العمليات رقم 1 ورقم 2 ورقم 32 الخ. . . » وكان رجال المخابرات البريطانية يعرفـون هذه اللوحات وتمكنوا من تصوريها كلها. ولذلك كان الاعـتقاد السـائد فى لندن والقاهرة فى أشهـر سبتـمبر وأكـتوبر ونوفمبر إن مقر قيادة رومل العليا هو فعلا فى بيد اليتوريا وبنيت العملية كلها وجرى التـخطيط لها على هذا الأسـاس. وقد يكون عـملاء البريطـانيين من العرب هم الـذين خدعوا المخـابرات؛ وقد يكون الجـواسيس طمعـوا بالربح المضاعف؛ ومـهما يكن السـبب فقد بقـيت المخابرات البريطانيـة فى جهل مما حدث؛ إذ أن رومل ترك برقة فى نهاية شهـر أغسطس وتوجه مع هيئة أركان حربه إلى «الغزالة» التى تقع على بعد 41 ميلا غربى طبرق؛ ثم تركها وتوجه إلى (جمبوت» الواقعة بين طبرق والبردية. أما مركز قيادته فى بيد اليتوريا فقد احتلـه الرائد شليسنر رئيس الإمـداد والتمـوين لمجمـوعة البانزر الألمانـية فى الصحراء العربية. وهو مركز حسـاس مسؤول عن تموين الجيش الألمانى ويعتبر مركز العصب لمجموعة المدرعات الألمانية والإيطالية.

ولم يكن المقدم «كـيز» حـين غادر مع رجاله نقطة الـنزول على شاطئ برقة متجهًا! نحو البـيت الحجرى الأبيض فى «بيدا ليتوريا» يدرك هذا الخطأ؛ بل كان يظن هو ورجاله أنهم بالغون هدفهم ومحقـقون مهمتهم بالقضاء على

روملى فى مقر قيادته بالذات. وقد ظهر ذلك جليًا فى الرسالة الأخيرة التى بعث بها إلى والده وقال فيها: «إذا نجحت هذه الغارة فسيكون معنى هذا النجاح تقدم بريطانيا خطوة إلى الإمام؛ وهذه الخطوة تساوى الكثير ولو اقتضى إنجازها وقوعى أسيراً بين يدى العدو».

ومن الشاطئ سار «كيز» ورجاله مدة لا تزيد على ربع ساعة حتى وصلوا وهم يرتجفون من البرد القارس إلى نقطة كان ينتظرهم فيها رجل يرتدى زى الأعراب وهو ضابط المخابرات المقدم هاسلدن الذى بسط لرجال الغارة الموقف بكل دقة؛ فسجل «كيز» كل التفاصيل فى مفكرته؛ وزودهم بعد ذلك بثلاثة مرشدين من الأعراب. ثم توارى هذا الرجل الغامض وسط سكون الليل بعد أن أدى مهمته؛ وكانت المخابرات حريصة على أن لا يتعرض لأى خطر باشتراكه اشتراكًا فعليًا فى تنفيذ العملية. أما كيز ورجاله فقد استأنفوا سيرهم نحو هدفهم الرئيسى الأول.

وقف «كيز» ورجاله فى ليلة 17 نوفمبر على كثيب رملى يشرف على بلدة «بيدا ليتوريا» وأخذوا يسترقون السمع ويحددون موقع المنزل الحجرى الأبيض الكبير وهو يقع بين بعض الشجيرات وعلى مقربة منه تقع المنازل الأخرى. وكانت الريح تعصف بقوة لتتساقط بعدها الأمطار بغزارة وليلمع البرق ويقصف الرعد فكأن الموسيقى التصويرية ترافق هذه الغارة الرهيبة. أما الرائد شلسنر رئيس الإمداد والتموين فلم يكن فى مقر قيادته آنذاك لإصابته بالدوزنتاريا؛ وكذلك نائبه النقيب أوتو كان فى أحد المستشفيات ببلدة أبولونيا لإصابته باحتقان فى الرئة. وأما مساعده لينشوالد فكان هو أيضًا فى المستشفى لإصابته بالدوزنتاريا. أما عمل رئيس الإمداد والتموين فكان يقوم به النقيب ريتز ومعه حفنة من الضباط والمراسلات والعدائين والسائقين وسائر رجال

الخدمات وكانوا جميعهم موجودين فى ذلك المنزل الحجرى الموحش يستمعون إلى صوت هطول الأمطار وهو ينهمر مدراراً. وكانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة ليلا إلا دقيقة عندما أعطى «كيز» آخر تفاصيل العملية لرجاله بينما كان جماعة البيت الحجرى الآنفى الذكر قد توجهوا إلى النوم على أسرة الميدان فى غرفهم الموزعة على الطابقين الأرضى والأول. وكان على «كيز» وفقًا للخطة أن يزحف هو والنقيب «كامبل» والرقيب «ترى» وستة من الرجال إلى مدخل المنزل بينما يلتف حوله ثلاثة رجال آخرين للوصول إلى الباب الخلفى. وبينما كانت «بيدا ليتوريا» تغط فى نومها وكانت تتحرك على الكثبان وبين الشجيرات المحيطة بها أشباح وجوهها مموهة بالدهان الأسود وهم فى ملابس الميدان البريطانية. وكان يتحرك من حين إلى آخر شبح من هذه الأشباح فى ضوء القناديل المعلقة أمام المنزل؛ لكى يعود فيختفى بسرعة فائقة. ولم تكن هناك حراسة حقيقية للمنزل وإن كان هناك حارس من رجال الشرطة العسكرية يتولى أعمال المراقبة فى الممر السفلى ولا يحمل من السلاح إلا «سنكى» بينما يتولى جندى اسمه «ماكسهامر» أعمال الخدمة الليلية فى خيمة الحراسة ويسمح له بأن ينام بعد منتصف الليل؛ ذلك أن بعد هذا الموقع الشاسع عن الجبهة يجعل حراسته الفعلية أمرًا غير ضرورى.

وقد منيت هذه الغارة كلها بالفشل بفضل مقاومة الحارس الألمانى الذى كان يقف أمام الباب الأمامى المفتوح؛ وقتل فى المعركة المقدم كيز وأصيب النقيب كامبل بطلقة فى ساقه ووقع أسيراً. وبإمكان المرء أن يتصور كم كان يمكن أن يكون أثر هذه الغارة عظيمًا لو نجحت ولو تمكن الفدائيون البريطانيون من دخول مركز القيادة دون أن يشعر بهم أحد واستطاعوا تدمير

قيادة الإمدادات والتموين قبل بدء الهجوم البريطانى بخمس ساعات؛ أو تمكنوا من الاستيلاء على مركز القيادة وأخذوا يصدرون أوامر مزورة تنشر الفوضى فى مجموعة البانزر الأفريقى.

يقول اللواء إدموندز يونغ من محاولة اغتيال روميل ما يلى:

ولقد سرت على ألسنة الناس تلك القصة القائلة؛ بأن تغيب روميل عن مقر قيادته العليا فى (بيداليوتوريا) بالقرب من (اتشيرينى)؛ قد أنقذ حياته من الموت؛ أومن الوقوع فى الأسر؛ أو اختطاف البريطانيين إياه.

والذى حدث أن جماعة من الفدائيين البريطانيين؛ برياسة المقدم جيوفرى كيز (الذى منح وسام صليب فكتوريا) كانت إحدى الغواصات قد أنزلتهم على الساحل. فلقيهم هناك جون هازلدن الضابط البحرى؛ الذى قتل فيما بعد؛ ودلهم على الطريق. ولما كان هازلدن يتنكر فى ملابس الأعراب؛ فقد تمكن من البقاء وراء خطوط العدو!

ولعلك تسأل أين كان يقع مركز القيادة العليا لروميل. لقد كان هذا المركز فى مدخل إحدى القرى القريبة من اتشيرينى؛ حيث يطالعك إلى اليمين مخزن صغير للغلال؛ ثم بعد ذلك يأتى صف طويل من البيوت المنعزلة بعضها عن بعض؛ ثم ترى وسط أشجار السرو بعيدًا عن الطريق العام؛ بيتًا كبيرًا مظلمًا مؤلفًا من طابقين. فى هذا البيت كان روميل يعيش فى عام 1941. وفى منتصف الليل؛ جاء المقدم جيوفرى ومعه رجلان: كامبل؛ وتيرى؛ ووقفوا جميعًا أمام الباب الخارجى للبيت؛ ثم طلبوا الدخول فورًا؛ وكانوا يتحدثون بالألمانية. ففتح لهم الحارس؛ ولكن عندما دخلوا البيت؛ أبدى الحارس ارتيابه فى أمرهم؛ وكاد يقتلهم لولا أنهم تغلبوا عليه. وفى أثناء ذلك ظهر ضابطان على الدرج؛ فأطلقت عليهما النيران. وكان البيت

مطفأ الأضواء؛ كمـا كان الصمت يحتويه فى بردته. وأخذ كـيز يفتش الطابق الأرضى دون جدوى؛ وكذلك كان الطابق الأول خالـيًا تماما؛ ثم انطلق عيار نارى من الطابق الثانى؛ أصاب كيز فهوى صـريعًا. كما أصيب كامبل وأسر؛ غير أن تيرى أفلح في الهروب، ولقد دفن المقدم كيز فى بيدا ليتوريا على أحد التلال جنوبى القرية.

وفى أثناء ذلك كـان رومل فى روما. وحتى لو أنه لـم يكن فى روما؛ كان من الصعب أن يختطفه الفدائيون؛ من ذلك البيت المظلم الذى أحاطت به أشجار السرو. ذلك أن هذا البيت لم يكن مقـرًا لقيادته العليا؛ وإنما كان مقرًا لهيـئة أركان حـربه برياسة العـقيد اوتو. أمـا مقر قـيادة رومل فقـد كان فى الصحراء غـربى درنة. وكان رومل فى بعض الأحيان يأتى إلى بيـدا ليتوريا؛ ولكنه لم يكن يبيت هناك.

إذن لقد كانت معلومات جون هازلدن خـاطئة؛ لأنه استقاها من بعض الأعراب؛ وهؤلاء إمـَّا أنهم لم يروا رومل قط؛ وإمَّا أن الأمر اخـتلط عليهم وظنوه من بعض الألمان الآخرين.

ولقد سقط جيوفرى كيز ميتًا متأثرًا بجراحه على مسيرة ميل من القرية. بعد أن تمكن من أن يزحف على يديه ورجليه فى الليل؛ عندمـا أصيبت قدمه إصابة خطيـرة؛ وبعد أن جرحت الأخرى. ولـقد ذكر لى الدنجر هذه القـصة وقال: «أن كيز حقًا لشجاع»(1).

وقد بقـيت القصـة الحقـيقيـة لهذه الغـارة وتفاصـيلها ناقـصة يشـوبها الغموض. فالمستر تشرشل كتب عنـها بكثير من الإبهام فى مذكراته؛ ومؤرخ

(1) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السابق ص 111.

حياة رومل (دزموند يونغ) ضمن كتابه عن رومل وصفًا آخر لهذه الغارة. فقال أن الرقيب (ترى) كان عليه أن يهاجم الحارس الألمانى الواقف أمام الباب الأمامى ويقتله بخنجر؛ ولكن الحارس تحرك فجأة فأخطأ الخنجر هدفه. وما لبث العراك أن نشب فى الممر السفلى. وكانت العاصفة وأصوات الرعد تملأ الدنيا دويًا فلما صرخ الحارس بأعلى صوته طغى هذا الدوى عليه كما طغى على الصوت الناشئ عن تدمير محطة دراليب الكهرباء الصغيرة التى تبعد 30 ياردة عن المنزل وقد نسفها الفدائيون. ولم يتيسر لكومندوس أن يستخدموا رشيشاتهم فى العراك الذى نشب فى الممر فحاولوا أن يمسكوا بالحارس الألمانى ويسكتوه خنقًا؛ إلا أنه كان رجلا قويًا دافع عن نفسه حتى الرمق الأخير وسقط ميتًا أمام الباب الأول للممر.

يقول بول كارل عن قصة محاولة الاغتيال(1):

وقد قمت شخصيًا بتحقيق خاص لمعرفة القصة الدقيقة لهذه الغارة؛ فاتصلت بجميع الذين شهدوها من الألمان وخصوصًا الرائد بوشل الذى كان مساعدًا لرئيس الإمداد والتموين ويتذكر تمامًا كل ما جرى فى تلك الليلة. وحاولت أن أعرف اسم هذا الحارس الذى أدت مقاومته إلى فشل الغارة كما سيتبين فيما بعد؛ فلم أوفق إلى معرفة هذا الاسم. ذلك أن وحدات الشرطة العسكرية التى كان هذا الحارس ينتمى إلى إحداها لم تكن تحتفظ بسجلات تثبت فيها أسماء الرجال التابعين لها. فهو إذن (الجندى المجهول) بحق وقد انتهيت فى تحقيقى الخاص إلى التفاصيل الآتية:

«بعد أن سقط الحارس الألمانى القوى البنية على الأرض فى صراع عنيف مع الرقيب ترى؛ اصطدم الرقيب البريطانى بباب غرفة مكتب الذخيرة، حيث كان ينام المعاون لنترن والرقيب كوفاك. فأيقظهما صوت الصدمة من

(1) بول كارل - نفس المرجع ص 77.

نومهما وسـرعان ما تناولا مسدسيـهما وقفز لنتزن إلى البـاب باحثًا عن عدو يطلق عليه النار؛ ثـم رفع مسدسه وأطلق النار وفـى هذه اللحظة بالذات كان المقدم كـيز يقذف قنبلتـين يدويتين مرتا بجـوار رأس المعاون لنتزن وانفـجرتا داخل غرفة مكتب الذخيرة. وقد طرحت قوة الانفجار المعاون أرضًا ولكنه لم يصب بجراح؛ بينما كـان نصيب الرقيب كوفاك أن يتلقى قوة الانفـجار كلها فيسقط قتيلا. وكـان فى الفرقة صف ضابط آخر هو الرقيب (باتل) الذى كان على وشك القـفز من سـريره؛ ولكنه تمكن من العودة والاسـتلقاء عليـه فلم يصب بأى أذى.

وعندما دوت صرخـات الاستغاثة من الحـارس الألمانى لم يكن الضابط المناوب فى الطابق العلوى الملازم (كوفهـولز) قد نام بعد؛ فكان أول من سمع هذه الصرخات فى المنزل؛ فـقفز من سريره وتناول مسـدسه من أحد الأدراج ثم جـرى فى الممر العـلوى وهبط درجات السلـم. وفى هذه اللحظة بالذات كانـت القنابل اليدوية التى قـذف بها المقـدم (كيـز) تنفجـر فى غرفـة مكتب الذخيرة؛ فاستطاع أن يشاهد المغيـرين البريطانيين على ضوء صوت الانفجار؛ وبالرغم من أن النقـيب كامبل شـاهده هو أيضًا؛ فـقد كان المـلازم أسبق فى إطلاق النار على المقدم (كـيز) فأرداه قتيـلا. وفى اللحظة نفسهـا كان رشاش كامبل ينطلق على سور السلم الذى تناثرت شظاياه وأصابت الملازم (كوفهولز) إصابة مميتة. إلا أن هذا استطاع أن يطلق مسدسه وهو يتهاوى فيصيب النقيب كامبل فى ساقه إصابة أسقطته على الأرض.

أما الرقـيب ترى الذى خاض الصراع مع الحارس الألمانى فـقد بقى فى الممـر المظلم مع اثنين من جـنوده. ولما تعـالت الأصوات مـن الطابق العلوى وشاهد الضباط الألمان يخرجـون من غرفهم على أثر تبادل إطلاق النار ودوى انفجار القـذائف اليدوية أدرك الرقيب ترى أن عنصر المفـاجأة قد زال. ولكن

تساءل عن بقية أفراد القوة المغيرة الذين كان عليهم أن يهاجموا المنزل من الوراء. وحين سمع صوت إطلاق الرشاشات خارج المنزل خيل إليه أن الألمان يقومون بهجوم مضاد. مع العلم بأنه لم يكن هناك أى مجال لقيام الألمان بمثل هذا الهجوم. فكان هذا الظن خطأ كبيراً. ولكن الذى وقع كان يبعث فعلا على الذعر. ذلك أن الملازم (جنجر) - وهو أحد الضباط الألمان الذى كان نائمًا فى الغرفة المجاورة لمكتب الذخيرة -.طرحه انفجار القنابل التى قذف بها (كيز) من سريره أرضًا؛ وكان يفصل بينه وبين مكتب الذخيرة حائط خشبى تحطم هو الآخر كل التحطيم. فقفز (جنجر) من نافذة الغرفة التى حطمها الانفجار هى الأخرى وأخذ يعدو مرتديًا بيجامته تحت المطر المنهمر الذى كان يضيئه البرق بين آونة وأخرى؛ ثم ما كان منه إلا أن اصطدم بحارس بريطانى فسارع هذا إلى إطلاق النار عليه دون تردد من على بعد عشرة أقدام فسقط قتيلا وقد مُزق جسمه شر تمزيق.

وتعالت أصوات الطلقات من الجانبين فخيل للرقيب ترى أن الألمان يقومون بهجوم مضاد فقفز مع رجاله من المنزل إلى الطريق.

أما الفدائيون الموجودون وراء المنزل وكان يفترض فيهم أن يقتحموه من الخلف؛ فقد كان لطلقات الحارس البريطانى على الملازم جنجر نفس الأثر فى نفوسهم أيضًا وكانت صفيحة من الماء قد حالت بينهم وبين تنفيذ هذه المهمة؛ ذلك أن الباب الخلفى للمنزل يؤدى إلى سلم غرفة ملأى بالملفات والمكاتب، وكانت تستخدم كمطبخ وهناك باب صغير فى نهايتها يؤدى إلى حلزونى يوصل إلى جناح النوم فى المنزل. وكان المعاون (هيرتس) والعريف (باش) يسكنان هذه الغرفة؛ وهذا الأخير عجوز اعتاد أن لا يترك الأبواب مفتوحة حين ينام، ولذلك اعتاد أن يستعيض عن قفل الباب الخلفى المفقود بوضع صفيحة من الماء خلف الباب ووراء الصفيحة خزانة ملأى بالملفات. وبهذا

يستحيل فتح الباب؛ فلما حاول الكومنـدوس البريطانيون اقتحامه لم يتمكنوا فبقوا فى الخارج يتدارسون الوضع حتى سـمعوا صوت إطلاق النار فانسحبوا بسرعة خوفًا من الحصار.

وكان آخر صوت انطلق قبل أن يسـود الصمت هو صوت مدفع رشاش واحد عقب نداء الرائد (بـوشل) إلى الضباط المندفعين من غـرفهم فى الطابق العلوى بأن يخـفضـوا مصـابيحـهم. وبهـذا انتهى الكابوس؛ وأخـذ الألمان يتفقدون حصيلة المعركة فوجدوا على السلم الملازم (كوفهولز) قتيلا؛ ووجدوا فى الممر المقدم (كيز) قائد الغارة البريطانى قتيلا أيضًا برصاصة اخترقت صدره وأصابت قلبه ورئتيه كما أنه كان مصابًا فى ساقه؛ وكلها طلقات المعاون لنترن الذى أطلق النار من مسـدسه كما سـبق أن أشرنا فى اللحظة التى قذف فـيها (كيز) قنابله اليدوية على غرفة مكتب الذخيرة.

أما فى خارج المنزل فقد عثرت الدوريات الألمانية على جثة الملازم جنجر وعلى الجندى (ماكس بوكـسهامر) الذى كان يـتولى أعمال الخدمـة الليلية فى خيمة الحـراسة وكان قد سمع صرخة الحـارس الألمانى أمام الباب الأمامى فى أول الغـارة فقـفز من خـيمـته لنجـدته ولكن الرقـيب ترى ورجاله عـاجلوه بالرصاص وأشـار البلاغ الحـربى إلى مقتله بقـوله «أن نار العدو أصـابته وهو يحاول نجدة زميل له وقع فى شدة».

يتابع بول كارل قوله:

هذا ما انتهيت إليه فى تحقيقى الخاص عن سير هذه الغارة الفاشلة؛ وقد قمت فى هذا التحقيق بسؤال عدد كـبير من الرجال الذين شهدوا تلك الليلة. ولا بد لى من الإشـارة هنا إلى رواية نشرتـها مـجلة «للرجال فـقط»عن هذه الغارة فى عدها الصادر فى شهر كانون الثانى سنة1957. وهذه الرواية تقول إن

النقيب «كامبل» مساعد المقدم «كيز» وهو يعرف الألمانية؛ نادى بهذه اللغة من خارج المدخل على الحارس الواقف على الباب الألمانى. فلما خرج الحارس رشقه المقدم «كيز» برصاص مدفعه الرشاش؛ ثم قفز هو والنقيب «كامبل» والرقيب «ترى» فوق جثة الحارس واقتحموا أول غرفة واجهتهم ففاجأهم وجود ضباط ألمان فى داخلها وهى مضاءة بقوة؛ وأخذت الدهشة هؤلاء الضباط فتسمروا فى أماكنهم دون حراك؛ بينما أطلق عليهم «كيز» نيران مدفعه الرشاش من غير أن ينطق أحد بأية كلمة فأرداهم قتلى. وتضيف رواية المجلة أن «كيز» ورجاله اتجهوا بعد ذلك إلى الغرفة التالية؛ ولكن هذه الغرفة لم تكن مضاءة ففاجأهم من فيها بنيران مسدساتهم التى أصابت (كيز) بخمس طلقات؛ بينما قفز الرقيب كامبل فقد كان فى الخارج وأصيب هو الآخر فى ساقه؛ وبعد أن تحقق من موت «كيز» سلم القيادة إلى الملازم كوك الذى كان عليه أن يعود بمن تبقى من الرجال إلى الشاطىء. ولا تذكر التقارير البريطانية الرسمية شيئًا آخر عن غياب الجنود الكومندوس عن المعركة ولكن يعتقد أن أربعة من رجال هيئة أركان الحرب لقوا حتفهم فى الغارة التى انتهت دون أن يعثر على رومل. وقد قيل أنه لسوء حظ المغيرين كان قد غادر مقر القيادة فى الساعة العاشرة والنصف كى يحضر حفلة زواج أحد شيوخ القبائل؛ وعاد لحسن حظه حوالى الساعة الواحدة إلا ثلثًا؛ أى بعد انسحاب المغيرين بنصف ساعة تقريبًا.

هذا ما روته مجلة «للرجال فقط». ونعود إلى الكومندوس المنسحبين فنراهم لا يجرؤون بعد فشل الغارة على العودة إلى الغواصة بقيادة الملازم كوك؛ خشية أن تتبعهم الدوريات الألمانية؛ فاختبأوا فى خيام الأعراب؛ ولم تستطع الدوريات الألمانية والإيطالية التى قامت فى اليوم التالى بعملية تفتيش واسعة النطاق أن تعثر على أحد منهم. ولكنهم مع ذلك سقطوا كلهم أخيرًا أسرى فى أيدى الألمان باستثناء الرقيب «ترى» الذى تمكن من الهرب والوصول

إلى الخطوط البريطانية مع اثنين من جنوده. ذلك أن أحد رجال البوليس الإيطالى من ذوى الخبرة فى تلك المناطق لأنه عاش فيها مدة طويلة قبل الحرب؛ قال للألمان أنه سوف يريهم كيف يعملون بعد أن فشلت الدوريات فى العثور على الكومندوس المختفين؛ فأحضر فتاة عربية من القرية المجاورة ووعدها بإعطائها هى وعائلتها سبعين رطلا من الدقيق وعشرين رطلا من السكر مقابل كل بريطانى يسلمونه إلى الألمان. ولم يكن هذا بالشىء القليل فى ذلك الوقت بل كان كنزاً غاليًا بالنسبة للأعراب الذين كانوا يطمعون بهذا النوع من المكافآت أكثر مما يطمعون بالجنيهات الإنكليزية. وما كادت الفتاة تعود إلى أهلها فى قريتها حتى تجند هؤلاء لتسليم البريطانيين وسرعان ما جاؤوا بأول واحد من هؤلاء من قلب الأكواخ التى كانت الدوريات الألمانية الإيطالية قد فتشت كل ركن فيها دون أن تعثر على أحد من المطلوبين الذين كان الأعراب قد ألبسوهم ملابس عربية بادية القذارة حتى يظهروا وكأنهم جماعة منهم لا جنود بريطانيون.

وكان هتلر قد أصدر أوامره بأن يعامل الجنود الأسرى باعتبارهم جواسيس؛ ولكن رومل لم يتقيد بهذه الأوامر فأصدر تعليمات بمعاملتهم على أساس أنهم أسرى حرب. ولذلك أقيم احتفال عسكرى لائق فى «بيدا ليتوريا» لدفن المقدم كيز والألمان الأربعة الذين سقطوا قتلى فى الغارة. أما النقيب كامبل الذى أصيب برصاصة فى ساقه فقد ذكر لى الجراح الدكتور «جنج» أن الساق كان من الواجب بترها لسوء حالتها وكى لا تقضى على الجريح؛ ولكن الطبيب البريطانى الذى أشرف على معالجته بعد الأسر رفض أن يبترها وآثر أن يبقيها فى الجبس؛ وهكذا حصل وتم شفاء النقيب الألمانى بعد 14 عشر يومًا من وضع ساقه فى الجبس[1].

(1) بول كارل - نفس المرجع ص 83.

معركة كروسيدر « الصليب »:

تعرضت قوات المحور لتهديد متفاقم شره نتيجة لفعاليات القوات البحرية والجوية العاملة من القاعدة البريطانية فى جزيرة مالطا.

وكانت حصيلة هذه الفعاليات أن فقد الألمان خلال شهر أغسطس 1941 مثلاً 35٪ من مواد التموين والإدامة والتقويات المرسلة إلى الفيلق الإفريقى كما خسروا 65٪ من حمولات السفن التى أرسلت خلال شهر أكتوبر 1941 لذلك خشيت دولتا المحور على قواتهما من هذا الخطر الجديد.

وقد حفز نجاح الإنكليز فى تدمير هذه النسب العالية من السفن الألمانية على الاستعداد لشن تعرض جديد بقصد احتلال القطر الليبى كله واستغلال النصر لاستمالة القوات الفرنسية المرابطة فى الجزائر بقيادة الفريق الأول ويغان إلى صفوفهم . وقد أراد الإنكليز تعزيز قواتهم فى الصحراء العربية بثلاث فرق مشاة وفرقة مدرعة واحدة كانت جاهزة لديهم بالاحتياط فى الجزر البريطانية. وفى هذه الفترة تم تعيين الفريق الأول أوكنلك قائداً عامًا للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط وزود بوصايا مشددة بوجوب الاستعجال بإنجاز الاستحضارات الضرورية لانتزاع المبادأة من الألمان. لاسيما وأن الفرصة أصبحت مواتية للإنكليز لتسديد ضربتهم الحاسمة بعد أن أعاقوا وصول الإمدادات التى أرسلت للفيلق الإفريقى الألمانى وبعد أن لاحت فى الأفق أولى بوادر الوهن على الجيش الألمانى عندما تعثر فى تقدمه نحو موسكو[1].

وما لبث القائد البريطانى الجديد أن تلقى رسالة شخصية من الملك جورج السادس يؤكد فيها الأهمية الكبيرة التى يعلقها على المعركة الحاسمة

(1) اللواء فاروق الحريرى - المرجع السابق ج2 ص131.

المتوقعة فى ميدان ليبيا ويشير له بالمجد الذى ينتظر قواته عندما تحقق الانتصار بمعركة فاصلة تشبه معركة واترلو.

وقد تم تعزيز الجيش 8 البريطانى بقوات هندية ونيوزيلندية ومن جنوب أفريقيا. فأصبح الجيش المذكور مـؤلفًا (بالإضافة لفرقة المشاة 70 واللواء المدرع المحصورين فى طبرق) من ثلاثة طرق مشاة آلية وفرقة مدرعة ولوائين مدرعين مستقلين وهو منظم بفيلقين هما الفليق 13 والفيلق 30.

تألف الفيلق 13 من التشكيلات الآتية:

الفرقة 4 الهندية.

الفرقة النيوزيلندية.

الفيلق 30 فقد تألف من التشكيلات الآتية:

الفرقة 1 جنوب أفريقيا.

اللواء الدرع 4.

اللواء المدرع 7.

اللواء المدرع 22.

جحفل الإسناد 7.

أما القـوات المحورية فكانت الفليـق الإفريقى الألمانى المؤلف من فـرقة مشاة خفيفة وفرقتين مدرعتين والقوات الإيطالية المؤلفة من 6 فرق مشاة وفرقة مدرعة واحدة.

وكانت قوات المحـور كلها بقيادة الفريق الأول باسـتيكو الإيطالى الذى يتلقى أوامره من روما لكنه لم يكن يمارس القيادة بصورة فعلية. حيث كانت

بإمرته ثلاثة فيالق هى الفليق الإفريقى الألمانى وفيلقان إيطاليان كان أحدهما سريعًا أما الآخر فكان مرابطًا فى طرابلس الغرب التى تبعد عن الجبهة بمسافة 1500 كيلو مترًا. وقد أثبت الفريق روومل وجوده بالجبهة لأنه كان يتخذ القرارات الحاسمة وينفذها فورًا.

وفى 4 نوفمبر 1941 زار الفريق روومل المقر الإيطالى العام بروما بعد أن استقر الموقف فى منطقة السلوم وممر حلفاية. ولما عاد إلى مقره قرر القضاء على القوات البريطانية المحصورة فى طبرق لكى يحرر قواته كلها للتصدى نحو التعرض الإنكليزى المحتمل. ولكنه لم يكد ينجز استحضاراته النهائية لمهاجمة طبرق إلا وشنّ الإنكليز تعرضهم المتوقع. وحاولوا الالتفاف على جناح قوات المحور الجنوبى ثم الاندفاع بالوقت نفسه نحو القوات التى تحاصر طبرق لإبادتها ثم التعاون مع حامية المدينة التى تقوم بعملية خروج بالوقت المناسب للالتقاء بالقسم الأكبر من القوات البريطانية الهاجمة.

تألف الفيلق البريطانى 30 من تشكيلات مدرعة قوية وفرقة آلية وكان واجبه الاندفاع من موقع مجدالينا باتجاه سيدى زرق ومنها إلى طبرق والالتفاف برتل آخر نحو الجناح الجنوبى لموضع قوات المحور. بينما تألف الفيلق 13 من فرقتى مشاة وكلف بمهمة القيام بهجوم جبهوى لغرض تثبيت أكبر قوة ممكنة من تشكيلات المحور.

أما ترتيبات المحور الدفاعية فكانت كما يلى:

تقوم فرقة مشاة ألمانية وأربع فرق مشاة إيطالية بمحاصرة طبرق. وتشغل القاطع الشرقى من الجبهة قرب موقع السلوم فرقة مشاة إيطالية يسندها تشكيل ألمانى ضعيف وقد اشتغل الإيطاليون قاطع الجبهة الغربى الكائن بين بير حكيم

وبير الغوبى بفرقتهم المدرعة بينما احتفظ رومل بفرقتيه المدرعتين مجتمعتين جنوب شرق طبرق وجاهزتين للتدخل بالوقت المناسب لحسم المعركة[1].

ذكرنا أن الألمان أطلقوا الاسم الرمزى «الطوفان» على الهجوم البريطانى الشامل المرتقب؛ ولكن أحدًا منهم لم يكن يعلم أن طوفانًا آخر سيحصل؛ هو طوفان حقيقى هذه المرة؛ إذ أخذ المطر ينهمر فى ليل 17 نوفمبر انهمارًا مخيفًا.

وكانت هذه ظاهرة طبيعية لم يقع مثلها فى منطقة ممر حلفاية منذ ستين سنة؛ وكان رد الفعل الأول لدى الجنود سرورهم بأن السماء تمطر فى الصحراء؛ وغمرت قلوبهم بالبهجة حين أخذوا يمدون أيديهم إلى خارج الخيام ويغسلون وجوههم بمياه المطر المنهمر. وبقيت المجموعة الخاصة بالفرقة المدرعة الخامسة عشرة فى خيامها على حافة المرتفع الواقع شرقى جامبون؛ وظل رجالها يستمعون بصوت تدفق المطر أنهم أغرقوا فى الضحك حين دخلت مياه الأمطار إلى الخيام وبلغت منهم حد الركب. وأخذوا يرددون: «يا إلهى. إنها لبدعة جديدة أن يغرق المرء فى وسط الصحراء» ولكن هذه الملهاة ما لبث أن انقلبت إلى مأساة حقيقية وما لبث المطر المنهمر أن انقلب باعثًا على فوضى محزنة وسط ظلام الليل الحالك إذ أصبح طوفانًا حقيقيًا يتدفق من أعلى المرتفعات إلى مواقع الجنود ويصحب تدفق مياهه زئير هائل؛ ويقتلع قطع الرمال والصخور التى تعترض طريقه. ولم تمض لحظات حتى اجتاح الطوفان جميع الخيام كما اجتاح العربات والمعدات وغرق الكثيرون بينما ضاعت صيحات النجدة فى طيات أصوات الرعد الجبارة. وكثيرون فقدوا وعيهم لإصابة رؤوسهم بالصخور المنحدرة بقوة عظيمة؛ وكثيرون اختنقوا بالرمال التى انهارت عليهم فدفنوا وسط الصحراء أحياء!

---

(1) فاروق الحريرى - نفس المرجع ص 132.

وفى ممر حلفاية أصبح موقع السرية الأولى خرابًا يبابا بعد أن اكتسحته مياه الفيضان التى انهمرت وسط أضواء البرق الساطعة بشكل مسرحى مروع وتمكن عامل لاسلكى اسمه «جنج» وزميله «ريحن» من النجاة ولكن بصعوبة فائقة ذلك أن الفيضان لم يبق شيئًا من الخيام والسيارات الخفيفة والمدافع؛ وفقد هذان الجنديان كل شيء حتى تموينهما من الطعام وأدوات الكانتين الخاصة والذى ساعدهما على النجاة أنهما استطاعا تسلق مرتفع صخرى؛ وفى طريقهما إليه تمكنا من إنقاذ جندى إيطالى جعلته المياه يدور حول نفسه فى دوامة وهو يستنجد بالسيدة العذراء بصوت مرتفع. وكانا يسمعان فى طريقهما أيضًا أصواتًا متقطعة صادرة عن الجنود الذين يكافحون فى حفرهم لإنقاذ أنفسهم؛ ثم سقطا فى حفرة ملأى بالوحل واعترضت سبيلهما جداول قوية التدفق وخنادق غمرتها المياه حتى حافتها. وفى أثناء ذلك كانت تضم أذانها أصوات انفجارات حادة هى الناشئة عن تفجر رؤوس الألغام المزروعة فى حقولها بفعل ضغط الرمال التى قذفت بها المياه. ولم يتمالك عامل اللاسلكى حين أخذت أصوات الانفجارات تختلط بدوى الرعد ولهيب ضوئها يختلط بنور البرق الخاطف؛ من أن يقول لزميله: «ياله من منظر رائع من مناظر الأوبرا. إن هذا لا يمكن أن يكون إلا مشهدًا مسرحيًا!(1).

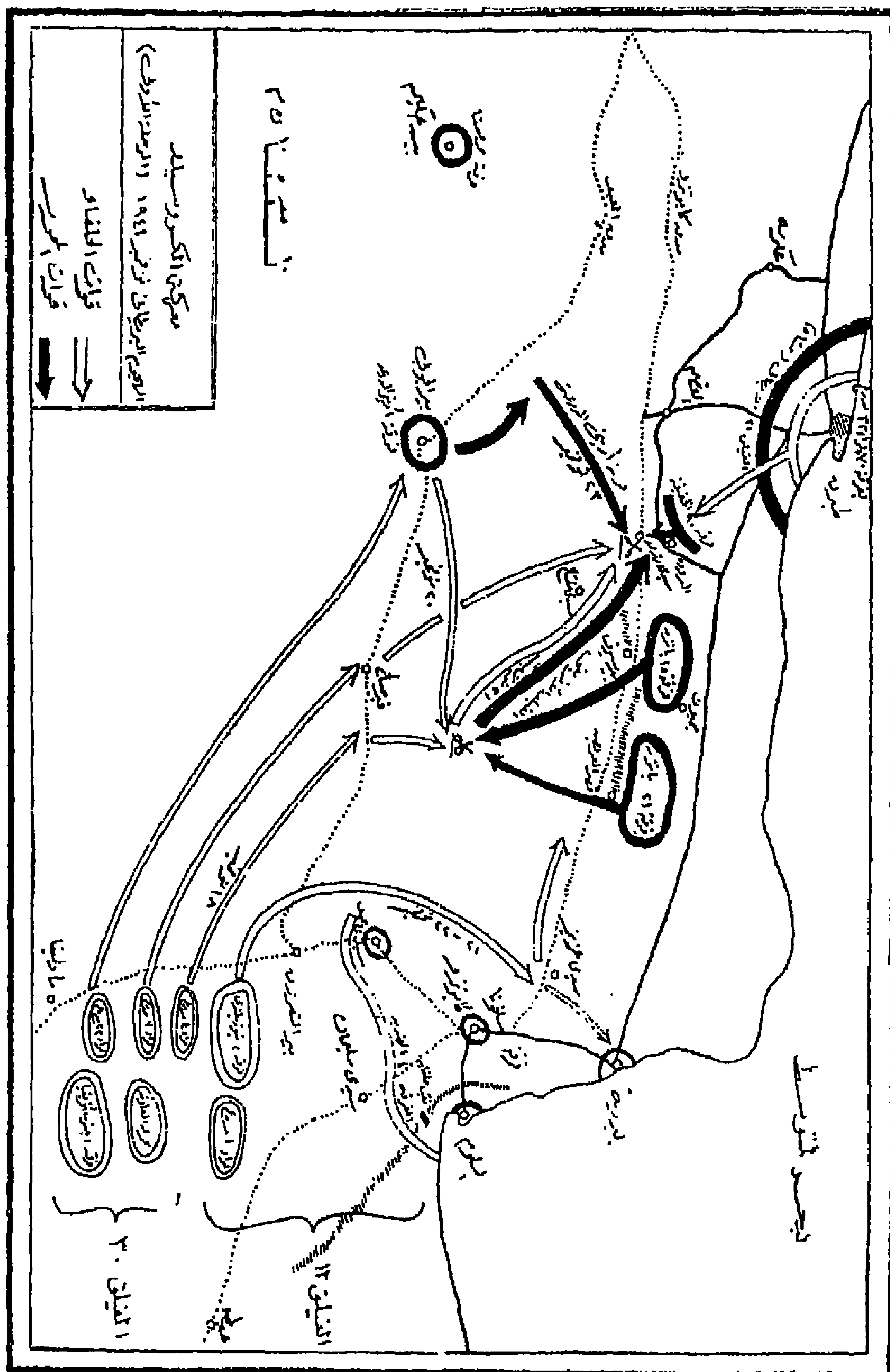
وحين بلغ الجنديان مقر قيادة الكتيبة فى أعلى ممر حلفاية نظر إليهما الضابط فى شيء من التشاؤم ورأى فيهما رسولين يحملان نبأ الكارثة؛ وسرعان ما سألوهما ما الخبر؛ وهل هاجم البريطانيون السرية الأولى واكتسحوا موقعها. فما كان من عامل اللاسلكى إلا أن أجاب الضابط: «إنه الفيضان؛ إنه الفيضان؛ لا البريطانيون» ولدى سماعهم هذا إيذان بالهجوم

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 89.

البريطانى أو تحـذير من كارثة طبيعـية. ولم يتوصلوا إلى حل اللغـز إلا حين تلقـوا إشارة بالاسم الرمـزى «الطوفان» فـتضاعـفت عندهم الآسى لاقـتران الفيضان الطبيعى بالهجوم البريطانى الشامل المرتقب خصوصًا بعد أن اجتاحت المياه مواقع كثيرة ودمرت كثيرًا من الأسلحة.

وكان هذا حـافزًا للقـوات الألمانية على الاندفـاع مرة أخـرى بكل عزم وبأعداد كـبيرة؛ باتجـاه ممر حلفاية واستئـناف العمل لتنظيم الصفـوف وترميم المواقع. فـأخـذوا يعملون لإنـقاذ العـربات فى مـوقع «جـامبـوت» وكـأنهم مخلوقات برمائية. ولم يعد همهم الآن الاسـتيلاء على طبرق لأن البريطانيين سبقـوا إلى الهجوم؛ وهنا قام السؤال: هل انكشـفت خطة الهجوم الألمانى أم فـشل الاستطلاع الألمانى حـتى سـبق البريطانيـون فـشنوا هجومـهم فى 18 نوفمبر؛ قبل خمسة أيام من موعد قيام رومل بهجومه؟

***



معركة الكروسيدر

تمكن البريطانيون من أن يقوموا بجميع الاستعدادات الضرورية الكبيرة لشن الهجوم دون أن يلاحظ الألمان شيئًا من هذه الاستعدادات التى فشل الاستطلاع الجوى الألمانى فى الكشف عنها، كما بقيت مخازن التموين البريطانية على الجناح الأيسر للقوات البريطانية فى الصحراء الجنوبية مستترة بفعل براعة التمويه. ولم يتلق الألمان من عملائهم أية تقارير ولم تلتقط أجهزتهم أية رسالة لاسلكية بريطانية عن هذه الاستعدادات، لأن أوكلنك فرض على اللاسلكى الصمت الكامل. وفى هذا الجو من السرية الكاملة بدأ الطابور المدرع الضخم يزحف باتجاه طبرق، وهدفه الرئيسى رفع الحصار عنها وتدمير تشكيلات الجيش الألمانى كل على حدة بموجب ما هو ظاهر فى الخريطة التى رسمها رومل بخط يده وغدت مبسوطة على مكتب أوكلنك فى القاهرة طوال الوقت .

وفى ليلة 18 نوفمبر استمع العالم من إذاعة لندن إلى كلمات تشرشل تعلن: (أن جيش الصحراء سيكتب صفحة جديدة فى التاريخ يمكن مقارنتها بمعارك بلنهايم وواترلو». وفى تلك الليلة كان جرذان طبرق - وهم الأستراليون المحاصرون فى هذه المدينة كما يسمون أنفسهم بكل فخر - يسهرون الليل كله مستلقين وسط خرائب البلدة يستمعون لصوت المطر المنهمر الذى بلغ من الغزارة حدًا عجزت معه الصحراء عن امتصاصه. وقد استطاع هؤلاء أن يصمدوا طيلة سبعة أشهر لهجمات رومل على المدينة، ومنذ الصيف باتوا محاصرين من كل جانب إلا جانب البحر. وكان تشرشل قد أصدر أمره بوجوب القتال حتى آخر رجل فى طبرق والصمود فى هذه القلعة المنيعة حتى الموت، وكان البريطانيون سادة البحار فتمكن أسطولهم رغم خسائره الكبيرة من أن تتسلل بعض وحداته خلال الليل إلى الميناء وتزود (الجرذان) المحاصرين

بالإمدادات الضرورية وبالتعزيزات من الجنود بحيث آمكن هؤلاء الاستمرار في الصمود حتى بدأ الهجوم البريطانى العتيد.

ولم يتمكن المحاصرون فى طبرق بالطبع من سماع أصوات الحشد البريطانى آو تحرك القوات البريطانية المقبلة من الشرق، ولكنهم كانوا يعلمون أن هناك ألف دبابة وعربة مدرعة بريطانية هى فى طريقها نحو الخطوط الألمانية لتشتبك مع نحو 500 دبابة ألمانية وإيطالية. فالفيلق الثلاثون تحرك من مراكز تجمعه في(مادلينا) زاحفا باتجاه شبرق، وهو يتألف من الفرقة السابعة المدرعة والفرقة الأولى من فرق جنوب أفريقيا واللواء الثانى والعشرين. وكذلك أخذ الفيلق الثالث عشر يتقدم آتيا من السلوم وهو يتألف من الفرقة الهندية الرابعة والفرقة النيوزيلندية الثانية ولواء الدبابات الأول، يضاف إلى ذلك وحدات ميكانيكية سريعة تؤلف اللواء المحمل الهندى التاسع والعشرين، تتقدم من واحة جغبوب مخترقة خطوط رومل الخلفية فى عمق بغية قطع خطوط مواصلاته[1].

وتعتبر الأيام الخمسة الممتدة من يوم بدء الهجوم البريطانى فى 18 نوفمبر إلى يوم الأحد فى 23 نوفمبر من أيام الحرب التاريخية التى ظهرت فيها مقدرة رومل الرائعة فى القيادة وإن لم تقدر هذه المقدرة حق قدرها شأن الأعمال التى قامت بها أيضًا القوات الألمانية بين يوم الطوفان ويوم الأحد خامس أيام المعركة.

وكان الجنود قد تدربوا عدة أسابيع على عمليات الهجوم على طبرق، وكانت لديهم جميع التعليمات، فلما وثب الرقيب (هابوخ) من السرية الثامنة من الفوج المدرع الثامن إلى دبابة قيادة الملازم (دوث) معطيًا الإنذار بالاستعداد

(1) بول كارل - نفس المرجع ص106.

للمعركـة تساءل الجنود هل هم على وشك الهجوم علـى طبرق، إذ انكشفت أمامــه صورة الكارثة لدى وصــول القوات البـريطانية وأصــيب الملازم(دوث) والملازم (كيستمان) والراميان (باكينسين) و (لود اوهر) وغيرهم كثيرون واشتد الضغط على طبيب الوحدة الدكتور (استــور) إذ افتقر كثير من المصابين الذين كانوا فى حالة خطرة إلى الرعاية الطبية الدقيقة.

أما فى ممر حلفاية فكانت القوات الألمانية صباح يوم 18 نوفمبر ما تزال تحاول إصــلاح الخسـائر الكبرى التى سببتــها العاصـفة بعـد أن أنقذ الملازم (جيرنج) قائد السرية الأولى من الفوج 104 من الغرق بأعجوبة، وقام المعاون (زيحلر) بإحاطة رجال السرية ومعداتها كما تحيط الدجاجة بصغارها.

وكــما أن خطة الهــجوم الألمانى الــتى وضعــها روميل وقــعت فى أيدى الحلفاء، كذلك وقعت خطة أوكنلك للهجوم فى أيدى الألمان، لكن مع فارق مهم هو أن الحلفاء عرفوا خطة روميل قبل قيامه بالهجوم بينما روميل لم يعرف خطة الحلفاء إلا بعد أن بدأ هجوم أوكلنك. وقــد جرى الحصول على الخريطة التى تتضمن خطة أوكلـنك فى منتصف نهار 18 نوفمــبر حين فاجـأت سيارة استطلاع ألمانــية سيــارة من سيارات قــيادة الفــرقة الهندية الرابعــة بالقرب من سيدى سليــمان ضلت طريقها فـأسر الألمان ركاب السيــارة وبينهم رقيب تابع للقيادة. وعندمـا أرسل الرقيب إلى البردية لاستجوابه ظهــر أنه يحمل خريطة صرح للمــحققين أنهـا تتضمن خطة هجــوم أوكلنك الحالى، كمـا صرح بأن القــيادة البــريطانية العـامة تملك صــورة عن الخــريطة التى توضح خطة روميل لمهاجمة طبــرق. ولا شك أن هذه خدمة كبرى قدمها الرقــيب الأسير لمصلحة الدفاع الألمانى فــى المعركة التى كـانت قد بدأت، فـأخذ رجال أركـان حرب روميل يدرسون الخريطة بتدقيق[1].

(1) بول كارل - نفس المرجع ص108.

بقى روومل معلقا بأمل ما وعدته به القيادة العليا من دعم، غير أن القيادة كانت قد قررت ألا ترسل إلا الحد الأدنى، وهكذا فإنه لم يصله حتى شهر سبتمبر إلا ثلث الوحدات، وإلا سبع (واحد من سبعة) من الإمدادات والمواد التموينية التى كان من المقرر وصولها حتى هذا التاريخ. وبالرغم من ذلك، فقد قرر روومل تنفيذ الهجوم على طبرق، وأخذ فى الإعداد له منذ شهر أكتوبر، وذلك على أساس تنفيذه بعد عودته من زيارته لروما.

وكان البريطانيون يعملون فى الوقت ذاته للقيام بهجوم هدفه تدمير القوات الألمانية - الإيطالية، ورفع الحصار عن طبرق، واستثمار النصر بالتقدم نحو طرابلس. وقد أطلق على هذه العملية اسم (كروزادير - أو الحملة الصليبية).

انطلق هذا الهجوم يوم 18 نوفمبر 1941 بمسيرة طويلة للتقرب بكتلة القوات الرئيسية، والتى قامت باستدارة واسعة حول المواقع الألمانية - الإيطالية المحصنة القريبة من السلوم على الطريق الساحلى. وشملت قوة الهجوم سبع فرق - بما فيها الحامية المدافعة عن طبرق - وكان أمام قوة الهجوم ثلاث فرق ألمانية، وسبع فرق إيطالية. ولكن هذه الأرقام تعطى انطباعًا خاطئًا عن حجم القوى. ويمكن إبراز ذلك من خلال أعداد الدبابات والطائرات لدى الطرفين المتصارعين. فقد زج البريطانيون خمسة ألوية مدرعة، فى حين لم يكن لدى روومل سوى لواءين مدرعين ألمانيين ولواء مدرع إيطالى واحد. فكان عدد الدبابات البريطانية 724 دبابة بالإضافة إلى 200 دبابة تركت فى الاحتياط (زجت بعد ذلك فى المعركة بمعدل 40 دبابة فى كل يوم). وكان لدى روومل فى البداية 414 دبابة (منها 154 دبابة إيطالية) ومنها 50 دبابة كانت فى الصيانة

والإصلاح، ولم يكن لدى روميل أى دبابات احتياطية. وكان تفوق البريطانيين تفوقًا واضحًا فى القوات الجوية إذ كان لديهم 1100 طائرة مقابل 120 طائرة ألمانية و 200 طائرة إيطالية. وقد تضاعفت القدرة الجوية البريطانية بفضل ما حققته من مباغتة فى هجومها المفاجئ[1].

وهكذا تم فى ليل 17 - 18 نوفمبر 1941 إنزال قوة من المغاوير البريطانيين - كوماندو - على أرض الشاطئ الأبيض. وتقدمت القوة بجرأة إلى مقر روميل السابق ونجحت فى اقتحامه، غير أن القوات الألمانية اكتشفت العملية وقاومتها بسرعة، فانسحبت قوة الإغارة، وأسفرت عن قتل ضابط ألمانى وثلاثة من الجنود، وقتل ضابط بريطانى واحد.

وانطلق البريطانيون بهجومهم بعد ظهر يوم 18 نوفمبر 1941، وتوجهوا نحو طبرق بثلاثة أرتال مدرعة، وأمكن لهم فى اليوم التالى دحر الستارة الدفاعية بعد قتال عنيف. ووصل الرتل الأيسر إلى (بير القبة) وتوقف الرتل لأيام أمام مقاومة فرقة البانزر 21 وتراجع إلى (قبر صالح) فى حين استطاع رتل الوسط اختراق المواقع الدفاعية والوصول إلى مطار سيدى رزق (على بعد 15 كم من طبرق).

ولما كان روميل يقدر بشكل صحيح ضعف قوته العددى، فقد وضع مخططه للهجوم المضاد على حشد كل قواته المتحركة لتشكيل قوة صدمة يمكن لها تدمير تشكيلات العدو باشتباكات متتالية، حتى يتم له تدمير كافة قوات العدو، وساعده البريطانيون على تنفيذ مخططه فزجوا بشكل منفصل ألويتهم المدرعة. وأمكن بذلك لقوات روميل تحقيق انتصارات جزئية متلاحقة،

(1) بسام العسيلى - المرجع السابق ص149.

أدت فى النهاية إلى تحقيق نصر كبير فى أكبر اشتباك للدبابات فى معركة أدت إلى تدمير الدبابات البريطانية[1].

شن الجيش 8 البريطانى هجومه مع الضياء الأول يوم 18 نوفمبر 1941 منطلقًا عبر موقع مجدلينا فوصلت تشكيلات الفيلق 30 إلى قبر صالح محققة مباغتة تامة ووصل جناحه الأيسر إلى بير الغوبى وهناك استطاعت فرقة اريتى الإيطالية المدرعة إجبار الجناح الأيسر للفيلق 30 البريطانى على التوقف أمام الجناح الأيمن للفيلق المذكور فقد استطاع الاستمرار على التقدم حتى وصل إلى سيدى رزق وهناك تصدت له الفرقة المدرعة 21 الألمانية يوم 19 نوفمبر 1941 فألحقت به خسائر كبيرة بالدروع وأجبرته على التراجع باتجاه الجنوب الغربى. وفى اليومين التاليين أدار الفريق رومل معركة سيارة بالتشكيلات الآلية والمدرعة الألمانية والإيطالية وكبد الفيلق 30 البريطانى خسائر فادحة.

فى هذه الأثناء حاولت حامية طبرق القيام بعملية خروج ولكن القوات الألمانية والإيطالية شنت عليها هجمات مقابلة أجبرتها على الرجوع إلى مواقعها.

أما الفيلق 13 البريطانى فقد تمكن من مشاغلة دفاعات المحور بهجمات جبهوية فى قاطع الحلفاية - السلوم وهددها بالالتفاف من الجنوب وعزلها وفى هذا الموقف اتخذ الفريق رومل قرارًا يتميز بالجرأة عندما حول قواته التى فتكت بالفيلق 30 للتصدى لمقاتلة الفيلق 13 تاركًا مصدًا ضعيفًا بمواجهة الفيلق 30 جنوب طبرق واندفع بالقسم الأكبر من قواته الآلية والمدرعة نحو مناطق إدامة القوات الإنكليزية فى مجدلينا وحباطة. فكان هجومه المقابل الجرئ

(1) بسام العسيلى - المرجع السابق ص150.

مباغتًا للإنكليز فأحدث موجة من الرعب فى صفوفهم وأدى إلى استسلام أعداد كبيرة منهم للألمان.

دأب الفريق رومل على تحشيد كل دروعه فى النقطة الحرجة لكى يستفيد من قوة زخم أكبر حشد من الدروع المسندة بقوته النارية للمدفعية والقوة الجوية فكان هذا الإجراء من أسرار انتصاراته الرائعة[1].

ويتابع فريتز باير لاين مذكراته فيقول:

ولم تدرك القيادة العامة لمجموعة جيوش البانزر أن الإنجليز قد شنوا هجومهم بالفعل إلا فى عصر يوم 18 نوفمبر (بعد أن بدأت العمليات فعلا) وأمام ضغط قوات العدو المتفوقة انسحبت قواتنا الساترة من خط يمتد بين بير الجوبى وسيدى عمر. وقد توفرت لنا فكرة دقيقة عن قوات العدو ونيته من استجواب جندى بريطانى سقط فى الأسر فى سيدى سليمان يوم 17 نوفمبر وبلغ من دقة المعلومات أننا شككنا فى أول الأمر فى صحتها، ولكن التطورات فيما بعد أكدت لنا صحة هذه المعلومات فى كل تفاصيلها.

وفيما بعد وتحت هذه الظروف قرر رومل إلغاء الهجوم على طبرق. فقد سبقه العدو فى انتزاع المبادأة وعلى الفور أمر فيلق أفريقيا بشن هجوم على الحشود البريطانية التى كانت تتحرك شمالا عبر قبر صالح.

ومنذ هذا الحين دار جدال عنيف؛ هل كان رومل على حق فى إلغاء هجومه على طبرق ليتعامل مع هجوم العدو قبل أن يقضى على هذا الحصن؟ وقيل: أن قواتنا الساترة كان يمكنها صد هجوم العدو لحين سقوط طبرق ثم بعد ذلك تتم العمليات والتفوق فى جانبنا لأننا سنصبح أحرارًا فى اختيار

(1) قارون الحريرى – المرجع السابق ج2، ص 132.

الخط الملائم للعمليات فى برقة بدون أن نعمل حسابًا لحامية طبرق القوية الموجودة وراء ظهورنا. ولكن هل كان الإنجليز سيتركوا لنا الفرصة الزمنية للاستيلاء على طبرق بدون أن يفعلوا كل ما بوسعهم لمنع هذا؟

فهذا لم يكن مجرد عملية تستدعى الجرأة والإقدام بل كانت مقامرة، لذلك رفض رومل القيام بها[1].

يقول اللواء (زموند يونغ) البريطانى عن معركة (كروسيدر) الصليبية ما يلى:

إذا كنا لم نفلح فى مفاجأة رومل وهو فى مقر قيادته العليا، فإن بداية الهجوم الذى شنه الجنرال أوكلنك قد فاجأ رومل وجنوده جميعًا مفاجأة تامة. ذلك أن ألويتنا المدرعة مضت فى فجر يوم 18 نوفمبر، يتقدمها ستار من السيارات المصفحة لتخترق الأسلاك الشائكة على الحدود، وتأخذ طريقها إلى مراكزها فى المعركة عند (طريق العبد) وقد انطلقت إلى غايتها هذه فى الصحراء الخالية.

ويعد هذا العمل الحربى الواسع النطاق أول الأعمال التى قام بها الجيش الثامن، وحينما بدأت المعركة كان البريطانيون يعلقون عليها آمالا كبيرة، بل أن المستر تشرشل نفسه كان أكثرنا آمالا فيها، وكان يتوقع أن تؤدى إلى انتصار مبين كذلك الانتصار الذى أحرزه البريطانيون فى بلنهايم أو واترلو!

ولكن الحظ السيئ أبى أن تتحقق آمال المستر تشرشل على ذلك النحو، بل إن هذه الآمال لم تتحقق تمامًا، وسرعان ما تلاشت فى تضاعيف الضباب الذى أعقبها.

---

(1) مذكرات رومل، المرجع السابق ص120.

وقليلون من غير رجال الجيش الثامن هم الذين يعرفون كيف كان الجيش الثامن قاب قوسين أو أدنى من النصر المبين. وذلك لأن الناس دائمًا لا يعنيهم إلا النتيجة، أما إحصاء خسائر الفريقين قبل ذلك فلا يكاد يعنى به القليلون!

وما يقال مثله عن معركة، فلا يصح أن يقال مثله عن معركة العلمين!

وأمامنا الأرقام خير شاهد على صحة ما نقول، فمن مجموع مائة ألف جندى يؤلفون قوات المحور فى الصحراء العربية، بلغت خسائر المحور فى الأرواح ستين ألفًا، من بينهم 21 ألفًا من الألمان - قتلى وجرحى وأسرى - أما الجيش الثامن الذى كان قوامه 118 ألف مقاتل فلم تزد خسائره على 18 ألف ضابط وجندى، أما فى معركة العلمين فكان الجيش الثامن مؤلفًا من مائة وخمسين ألفًا، خسر منهم 13.500، بينما كان جيش المحور يعد 96 ألفًا، خسر منهم 59 ألفًا منهم 34 ألف ألمانى.

وفى نوفمبر1941 كان عدد الدبابات البريطانية التى اشتركت فى المعركة 455، يقابلها 412 من الدبابات لدى رومل، أما فى العلمين فكانت لدى الجنرال (مونتغمرى) 1.114 دبابة، يقابلها 500 أو 600 من دبابات المحور، وأكثر من نصفها دبابات إيطالية.

ولكن الأرقام لا تروى القصة بتمامها، فمن مجموع الألف والمائة والأربع عشرة دبابة التى كانت لدى الجنرال مونتغمرى كانت 128 دبابة من طراز(غرانت)، و 267 دبابة من طراز (شيرمان) نصبت عليها مدافع من عيار 75 مليمترًا. ففى نوفمبر 1941 لم تكن لدينا دبابات تستطيع أن تقف فى وجه الدبابات الألمانية من طراز (مارك 3) و(مارك 4). ولقد كانت دباباتنا لا تستطيع أن تهاجم دبابات العدو بصورة قوية، إلا إذا كانت على مدى 800

باردة، وحينئذ تطلق مدافعها الواهنة التى تزن قذيفتها رطلين، وفى أثناء ذلك كانت مدافع دبابات العدو تصليها نيرانًا حامية من مدافع ذات عيار 50 مليمترًا (زنة أربعة أرطال)، ومدافع من عيار 75 مليمترًا، ولا تملك الدبابات البريطانية بإزائها دفاعًا ولا مفرًا.

نستطيع أن نقول أيضًا: أنه لم تكن لدينا أية مدافع قوية مضادة للدبابات. ولنا أن نتساءل الآن لماذا شن الجنرال أوكلنك هجومه مستعينًا بفرقة مدرعة ونصف فرقة، بدلا من الاستعانة بالفرق الثلاث التى كان يعتقد هو نفسه بأنها لازمة لمثل هذا الهجوم الواسع النطاق؟

قد يعود ذلك إلى أن المحور كانت له قوات كبيرة فى برقة، فهناك إذن ولا شك خطر مستمر يهدد مصر. كما أن أوكلنك لم يكن يستطيع أن يطمئن إلى سلامة جناحيه الشمالى من خطر أى غزو قد يقوم به الألمان من القوقاز!

وربما كان ذلك لأن الحكومة البريطانية كانت ترى من الضرورى أن يقوم أوكلنك بهذا الهجوم فى أقرب لحظة ممكنة. وكلمة(ممكنة) مطاطة للغاية وخاصة فى لندن! . وأيًا كان الأمر فقد لقى قرار أوكلنك قبولا عامًا، ولم يكن ثمة غبار على خطته العامة. ولقد كانت فكرة صائبة حقًا، تلك التى تقول بأن تركز القوة الرئيسية على جغبوب، وأن تضرب ضربتها عبر الصحراء عن طريق(جيالو) لقطع خطوط مواصلات رومل، فيتعرض بذلك جناح الجيش الثامن - أثناء تقدمه - لغارات لا تنقطع من المطارات الألمانية على الساحل فى الشمال. كما تستطيع هذه الطائرات أن تشن تلك الغارات إذا اشترك معها فى هذه الأعمال سلاح الطيران الألمانى الذى يهب لنجدة رومل من مطارات اليونان وكريت.

وكان من الضرورى آيضًـا أن يقوم سلاح الطيران البريطانى بالاسـتعداد لكل هذه الاحتمالات من أجل سـلامة الحدود، وإلا قلب رومل خططنا رأسًا عى عقب وذلك بأن يهبط الهـضبة التى تفصل الجيشين، ويتـخذ طريقه فورًا إلى الإسكندرية، وهذا بالضبط ما كان رومل يهدف إليه، لو أننا هاجمناه من الجنوب. ولذلك فإن الهـجوم الذى قمنا به ببعض الجنود فى اتجـاه جيالو لم يكن سوى خدعة، ولقد كان لهذه الخـدعة أثرها الفعال. فقد ذكر لى الجنرال (باير لاين) أن الألمان كانوا يتوقعون أن يكون هجومنا الرئيسى فى الجنوب.

وكانت خطة البـريطانيين هى التقدم نحـو طبرق، ومخـادعة رومل فى الوسط والجنوب، وكـانوا يهـدفون من وراء ذلك إلى تحطـيم قواته المدرعـة، فلقد كانت الفـرقتان المدرعتان الخامـسة عشر والحادية والعشرون هـما العمود الفقرى لجيش رومل!.

فما هى إذن الوسيلة التى يمكن بها اسـتدراج هاتين الفرقتين إلى المكان الذى يناسب البريطانيـين؟ لقد رأى الجنرال أوكلنك أن الوسيلة الوحـيدة هى محـاولة رفع الحصـار عن طبرق تمهـيدًا لإخراج رومل مـن برقة أولا، ومن طرابلس ثانيًا، وبذلك تساهم حامية طبرق نفسها فى القتال. ولما كانت دباباتنا أقل من دبابات رومل، فلم يكن بد مـن أن نهاجم بدبابات تفـوق دباباته فى العـدد. وكانت الخطة أيضًـا ألا تقع فرقـتنا المدرعـة بين فكى فرقـتى رومل المدرعتين.

وكـان من الجوهـرى فى هذه اللحظة أن يفـاجأ رومل بوقـت الهجـوم وباتجاهه أيضًا!

وباختصار كانت الخطة تقتضى أن يبـدأ الهجوم الرئيسى الفيلق الثلاثون بقيادة اللفتنانت جنرال (ولوباى نورى)، مستخدمًا فى ذلك القسم الأعظم من

مدرعاته (الفرقة السابعة المدرعة للواء المدرع الرابع)، يضاف إليهما لواءان من فرقة المشاة الأولى الخاصة بجنوبى أفريقيا، واللواء الحرس المدرع الثانى والعشرون، الذى كان عليه أن يتمركز حول(قبر صالح) فيهجم فى اتجاه الجنوب الشرقى أو الجنوب الغربى. وحين يتيسر لهذا الفيلق أن يهزم جيش رومل، ينفك الحصار عن طبرق. وحينئذ تقوم حامية طبرق(المؤلفة من فرقة المشاة السبعين، ولواء الذبابات واللواء البولونى) بالهجوم على الألمان فى الوقت المناسب الذى سبق أن قرره الجنرال (ولوباى نورى)(1).

وفى الوقت ذاته كان على الفيلق الثالث عشر الذى يقوده اللفتنانت جنرال (غودوين لوستن)، والمؤلف من الفرقة النيوزيلندية والفرقة الهندية الرابعة واللواء الأول للدبابات أن ينحدر إلى الأسفل فيهاجم تحصينات القوات المعادية عن الحدود، ومن ثم يتقدم غربًا نحو طبرق لمعاونة الفيلق الثلاثين.

أما اللواء المدرع الرابع للفيلق الثلاثين فكان عليه أن يحمى جناحه الأيسر، وأما لواء المشاة الهندى الحادى عشر المرابط فى أسفل السلوم ولواء المشاه الهندى الخامس المتمركز فوقهما فكان عليهما أن يقابلا العدو وجهًا لوجه فيحميان قاعدتنا وخط مواصلاتنا الرئيسى.

وكان ثلث قوات رومل فى الصحراء العربية من الألمان، والثلثان الباقيان من الإيطاليين. وكانت هذه القوات مؤلفة من ثلاث فرق مدرعة، وفرقتين آليتين، وخمس فرق مشاه، وكانت فرقتا الدبابات الألمانية الخامسة عشرة والحادية والعشرون وفرقة المشاة الخفيفة التسعون كانت هذه كلها تؤلف جحفل الدبابات الإفريقى. أما الفرقة المدرعة الحادية والعشرون فكانت على بعد 12 ميلا جنوبى جغبوب على طريق كابوتزو. وكانت الفرقة المدرعة الخامسة

(1) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السابق ص116.

عشرة وفرقة الآليات الخفيفة التسعون ترابطان حول العضم، والدودة، وسيدى رزق. أما القوات التى كانت تحاصر طبرق فكانت مؤلفة من الفيلق الواحد والعشرين. به أربع فرق إيطالية من المشاة، تشد أزرها ثلاثة أفواج ألمانية من المشاة، فالفرقة الإيطالية المدرعة كانت ترابط عند غوبى، وقد أنشأت فيها مواضع للمدفعية. أما فرقة الآليات فكانت عند (بئر حكيم) أما تحصينات الحدود فى حلفايا، والسلوم، وكابوتزو فقد عهد بحمايتها إلى أفواج من المشاة الألمان. وكان سيدى عمر فى حراسة فرقة سافويا، ومعها بعض المدافع الألمانية، وكانت حامية البردية تتألف من الألمان والإيطاليين.

وكان الاستعداد لهذا الهجوم واضحًا تمام الوضوح. فقد مد الخط الحديدى مسافة 75 ميلا غربى مرسى مطروح. كما مدت الأنابيب من الإسكندرية، واختزنت مؤن زنتها ثلاثون ألف طن تقريبًا من الوقود ومواد الطعام فى مناطق أمامية قبل بداية المعركة. (وكانت هذه الكمية من المؤن تكفى لإزالة الفرق بين الكميات المخصصة للاستهلاك والكميات التى تعطى فعلا لمدة أسبوع). وكان الأسطول وسلاح الطيران يواصلان من البر والبحر، ضرب خطوط إمدادات العدو. وقد تجمعت لدى البريطانيين معلومات دقيقة عن استعدادات العدو عند مراكزه بفضل سلاح الطيران، ولكن الألمان لم يكونوا يدرون بشيء عن حركات الإخفاء والتمويه التى يقوم بها البريطانيون، ومن هنا كانت المفاجأة تامة وموفقة.

ولقد كانت المعركة التالية حامية الوطيس. وكان الفريقان يحاربان فى بسالة، وفى استماتة اليأس. كان جنودنا يحاربون بروح عالية، تجرفهم الرغبة العارمة فى النصر، ولا أذكر أننى رأيت مثل هذه الروح القوية منذ المعارك النهائية للحرب العظمى الأولى.

وأننى لا زلت أذكر تلك الكلمة التى فاه بها عريف اسكتلندى جريح، وقد ثنى ساقه وراح يشير إلى بندقيته وهو يلوح بها وكأنها عصا. لقد كانت كلمته تلك: (أعطنى دبابة لقد أنجزنا ذلك تمامًا يا سيدى، إننا نقذف بهم إلى الجحيم).

لقد كان ذلك الجريح على بعد مائة ياردة فحسب من السيارة التى كان الجنرال نورى يمتطيها والذى تخلى عن مقر قيادته فى نفس الوقت الذى استولى فيه جنود نيوزيلندا على مقر قيادة الفيلق الإفريقى (الألمانى).

لقد كانت معركة عنيفة سريعة الحركات تطايرت فيها الرمال، وانعقدت فى سمائها سحب الدخان، صاعدة من القنابل المتفجرة هنا وهناك، ومن الدبابات التى تحطمت، وكانت الرؤية متعذرة، وحتى أن المرء لم يكن يدرى ماذا يجرى أمامه على مسيرة ميل واحد!.

وكان من الصعب أيضًا أن يلم المرء بالوضع من الخرائط التى كانت تنشر ساعة فساعة. وقد أتاحت الصدف هنا ظهور بعض الأبطال ومنهم(كامبل) الذى قاد رتلا من الدبابات عند سيدى رزق وكان يركب سيارة مكشوفة وقد ظفر بوسام صليب فكتوريا تقديرًا لشجاعته، بينما كان هناك المئات ممن ساهموا فى الظفر لم يذكر لهم شأن.

فمن منا مثلا قد سمع عن مغامرة الفريق (دنس ريد) قائد اللواء الهندى الذى تقدم من (جغبوب) فاحتل (جيالو) بمفرده، وأسر ستين ضابطًا وهم على مائدة الغذاء بينما لم يكن يحمل سوى مسدس؟[1].

(1) اللواء إدموندز يونغ - نفس المرجع ص117.

يقول (فريتز باير لاين) فى مذكراته ما يلى:

تقدمت المدرعـات الإنجليزية فى ثلاث مـجموعـات نحو منطقـة طبرق واشتبكت قواتنا يوم 19 نوفمبر، ووصل القول الأيسـر إلى بير الجوبى وبعد قتال عنيف تمكن من طرد فرقة آريتى المدرعة.

لم يحدد الجنرال (باير لاين) أسماء التشكيـلات البريطانية واكتفى بذكر أنهـا تحركت فى ثلاث مـجـموعـات ولكن المعروف أنـها كـانت عبـارة عن اللواءات(4، 7، 22) المدرع.

أمـا القـول الأيمن فقـد أوقـفـه جزء من الـفرقـة 21 بانزر ثم اضطر للانسحاب إلى قبر صالح. وفى نفس الوقت وصل القول الأوسط إلى سيدى رزق ومطارها واحتل مواقع على الهضبة وكانت لا تبعد أكثر من عشرة أميال عن محيط دفاعات طبرق.

وفى يوم 20 نوفمبـر استمر فيلق أفريقـيا فى ضغطه على الجناح الأيمن للعدو ودمـر عدداً كبـيراً من دباباته فى القـتال الذى دار فى هذا اليـوم. وقد نجحت الفـرقة (15، 21 بانزر) فى شق طريقـها إلى المنطقة المـتدة بين قـبر صالح وسـيدى عمـر (وهى قاعدة ممتـازة للهجـوم على مؤخرة قـول العدو الأوسط).

وكانت خطة رومل (بعد أن ندخل فى حـسابنا قوتنا الصغيرة نـسبيًا من المدرعات والقيمة المحدودة للإيطاليين) تقضى بحشد كل التشكيلات الميكانيكية فى قوة واحـدة ومهاجـمة العـدو لتدميـر تشكيلاته الواحـد تلو الآخر. وفى النهاية يتم القضاء على القوة الإنجليزية بأكملها.

وقد وقع الإنجليز فى المصيدة فاندفـعوا بلواءاتهم المدرعة إلى المعركة فى وحدات منفصلة فـأمكننا الحصول على سلسلة من الانتصـارات الجزئية، وفى

النهاية حصلنا على انتصار ساحق فى أكبر معارك المدرعات فى الصحراء العربية، أمكن تدمير أغلب قوة العدو المدرعة. وهذه العمليات تعتبر من أهم العمليات التى دارت فى الصحراء العربية من الناحية التاريخية، وقد أمكننا من خلالها ابتكار العقائد التكتيكية التى أدت فيما بعد إلى الانتصارات الباهرة. وهى بطبيعة الحال تلقى ضوءًا ساطعًا على عظمة رومل كقائد وعلى مرؤوسيه من قادة التشكيلات الألمانية كمنفذين.

عاد رومل إلى ليبيا يوم 18 نوفمبر، وبعدها بيومين كتب لزوجته

20 نوفمبر 1941

عزيزتى لو

بعد وصولى مباشرة بدأ هجوم العدو، وقد وصلت المعركة إلى مرحلتها الحاسمة، وأرجو أن نخرج منها بنجاح، وأظن أنها ستحسم فى الوقت الذى سيصلك فيه هذا الخطاب. وموقفنا بالتأكيد ليس سهلا.

وأنا بخير فاطمئنى.

يقول بول كارل:

وقد أوضح لى الجنرال فريتز باير لاين الذى كان رئيسًا لهيئة أركان حرب رومل كيف تطورت المعركة؟ فقال أن الفرقة السابعة المدرعة ولا سيما فوج الهوسار الحادى عشر، تمكنت من اختراق المواقع الألمانية والإيطالية فى 20 نوفمبر ووصلت إلى سيدى رزق الواقعة على مشارف الهضبة المطلة على طبرق. ومع أن القوات الألمانية قامت بعمل ناجح ضد القوات المهاجمة فحطمت عدة دبابات واكتسبت مواقع ملائمة لمهاجمة العدو من الخلف، فقد اضطر رومل نظرًا لتفوق العدو لمهاجمة تجمعاته الواحدة تلو الأخرى كى

يتسنى له تدمير كل القوات البريطانية الزاحفة إلى طبرق من الجنوب، وقد حدث فى الواقع أن الجنرال كنغهام قائد الجيش الثامن البريطانى لم يحاول حشد قواته المدرعة بكاملها للقيام بالهجوم دفعة واحدة وإنما دفع بقواته إلى المعركة على مراحل.

ذكر الجنرال (فريتز باير لاين):

فى صباح يوم 21 نوفمبر تحرك فيلق أفريقيا للهجوم على مؤخرة المدرعات الإنجليزية، وبعد قتال عنيف استولى على المرتفع القريب من بير السيوف جنوب مدق كابتزو واحتل موقعًا هناك للدفاع الخفيف الحركة لمواجهة تجدد هجوم العدو.

وفى الليلة السابقة قامت قوة للعدو من حامية طبرق بهجوم محدود فى القطاع الجنوبى الشرقى، ثم أعقبه هجوم عنيف تسانده 50 دبابة ثقيلة. واستطاع العدو اختراق حلقة الحصار واجتياح مواقع المدفعية التابعة لفرقة بولونا، وبعدها مباشرة أمكننا استعادة السيطرة على الموقف إلا أن هذا القطاع من الجبهة ظل أحد مصادر القلق لنا.

وهكذا قام الفيلق الإفريقى فى صباح 21 نوفمبر بمهاجمة اللواء السابع المدرع من الخلف من المنطقة الواقعة غربى سيدى عمر، وكان البريطانيون فى هذا الاصطدام الأول متفوقين فى المدفعية كما كان لديهم 200 دبابة وعدد كبير من المدافع المضادة للدبابات، ولكنهم مع ذلك أجبروا على التراجع فتمركزوا فى المرتفعات المطلة على طريق كابوتزو ونظموا أنفسهم للقيام بالدفاع المتحرك. وكذلك قامت وحدات من الفرقة البريطانية السبعين التى تتألف من جميع القوات الإنكليزية الموجودة داخل الحصار فى طبرق بهجوم تمكن الألمان من صده ولكنها عادت إلى الهجوم بخمسين دبابة فأصابت هذه المرة توفيقا

أكبر إذ هاجمت مواقع فرقة بولونيا الإيطالية فاخترقت دفاعاتها واكتسحت مدفعيتها ودمرت كتيبتين و 35 مدفعًا. ورغم أن كتيبة الاستطلاع الألمانية الثالثة استطاعت قفل الثغرة التى أحدثت فى هذا القطاع من الجبهة فقد ظل التهديد فيه قائمًا.

تميزت ليلة 22 نوفمبر بمعركة متحركة أمر روميل قواته بخوضها، فإذا الفرقة الحادية والعشرين المدرعة تهاجم مطار سيدى رزق وتضطر العدو إلى التراجع باتجاه الجنوب، بينما تمكن الجنرال (كرووبل) من تجميع الفرقة المدرعة الخامسة عشرة خلال الليل على جانب العدو. ثم قام الجنرال (نيومان سيلكو) بمهاجمة العدو من الجنب ومن المؤخرة وبمحاصرته. وفى هذه العملية حصلت مفاجأة كبرى أظهر فيها الألمان مقدارًا فائقًا من الشجاعة والمقدرة وتقرر خلالها مصير المعركة - كما يقول التاريخ الحربى البريطانى الرسمى نفسه - وذلك بتدمير لواء مدرع يعتبر من أفضل الألوية البريطانية المشتركة فى المعركة وهو اللواء المدرع الرابع الذى مزق وأسر الألمان جميع رجاله على يد الفوج الثامن المدرع الألمانى. وقد جرى هذا الحدث التاريخى المهم وسط مفاجأة من أعجب المفاجآت جعلت هذه المعركة إحدى أغرب معارك الدبابات فى تاريخ الحرب، ففى أثناء الليل كان المقدم (كرامر) قائد الفوج الثامن الألمانى المدرع يطارد قوات العدو المنسحبة بسرعة، وسرعان ما فقد اتصاله بها، إلا أن الرائد (فينسكى) قائد الكتيبة الأولى من هذا الفوج وجد نفسه فجأة فى ظلام الليل وسط تجمع للدبابات لم يتبين أنها دبابات بريطانية إلا بعد أن أصبح على بعد عشر ياردات منها. ولشدة المفاجأة التى أذهلت الفريقين لم تطلق طلقة واحدة. غير أن (فينسكى) أخذ المبادأة بأسرع من لمح البصر فاستمر يقود دبابته بسرعة فائقة وسط الدبابات البريطانية كما أصدر أوامره بالاسلكى إلى

السرية الأولى بالالتفاف حول مدرعات العـدو من الميمنة. وانكشفت تجمعات العدو المدرعـة فى الأضواء الساطعة بفـعل الإشارات المنيرة التى أخذ يطلـقها الملازم (بيك) مسـاعد الرائد(فينسكى) لإضـاءة المنطقة، فأصيب البـريطانيون بذهول جعلهم دون حراك بينما أخذ المراسلات الراكبون يشقون طريقهم وسط صفـوفهم بقيـادة الرقيب (سوتر) ويهـددونهم بالمدافع الرشاشة صـائحين فى وجوههم: (ارفعـوا أيديكم). ولما حاول جندى أحد الدبابات أن يتحـرك قفز الرقيب (سوتر) إلى الدبابة وفتح فتحة البرج وأطلق مدفعه الرشاش. وبعد أن أصبحت حلقـة الحصار كاملة أصدر القـائد الألمانى الأوامر بإطلاق النار على الدبابات القليلة التى حـاولت الهرب، كمـا أصدر الأوامـر إلى قادة الدبابات الألمانية بالتـرجل من دباباتهم مع أسلحتـهم لأسر جنود العـدو على أن يبقى الرمـاة والمعـمـرون فى أمـاكنهم بالـدبابات. وأخـذ الألمان يجـردون الجنود البريطانيين من السلاح فى الضوء السـاطع الذى تنشره مصابيح الدبابات على المكان. ولم تحدث سوى مقاومة ضئيلة قـتل خلالها ثلاثة رقباء جمع «رقيب» ألمان وتمكن نقـيب إنكليزى من إشـعال النار فى ثلاث دبابات قـبل أن يأسره الرائد (فينسكى). ومن بين الأسرى الذين وقعـوا فى أيدى الألمان ضابط كبير برتبة بريـغادير جنرال و17 ضابطًا و150 ضابطًا من ضـباط الصف كـما غنم الألمان 35 دبابة وعددًا كبيـرًا من المركبات، وبذلك انتهى اللواء الرابع المدرع. غير أن الرائد (فينسكى) لم يتمتـع طويلا بحلاوة هذا الفوز إذ لاقى حتفه فى اليوم التالى بالذات![1].

ومـقابل هذه المـفاجـأة التى سـجل فيـهـا الألمان انتصـارًا رائعًـا تمكن النيوزيـلنديون من أن يسجلوا عليـهم انتصـارًا لا يقل عنه روعة بفـعل عامل

(1) بول كارل - المرجع السابق، ص 111.

المفاجأة أيضًا. ففى ذلك الوقت لم يحاول جرذان طبرق الخروج منها، غير أن البريطانيين أحضروا فيلقهم الثالث عشر وهاجموا به مؤخرة القوات الألمانية فى السلوم وممر حلفاية على جبهة واسعة، وتمكنت المواقع الألمانية جميعها من الصمود باستثناء حصن كابوتزو الذى سقط بأيدى النيوزيلنديين. وعلى أثر ذلك قرر روميل وجوب تحطيم قوات العدو الرئيسية العاملة حول طبرق، ولكنه لم يتمكن من إبلاغ قادة التشكيلات أوامره شفهيًا بنفسه كما جرت العادة، بل لجأ إلى إجراء استثنائى فبعث برسالة لاسلكية مطولة بالشفرة تقع فى ست صفحات كاملة. وكان الجنرال (كروويل) هو الذى يقود الفيلق الإفريقى فى غياب روميل، فرأى أن حل رموز هذه البرقية سيستغرق النهار بطوله، وأنه لا يستطيع بانتظار إنجاز ذلك أن يفقد كل هذه الساعات الحاسمة بينما المعركة دائرة على أشدها، وقد سألت الجنرال باير لاين عن حقيقة الأمر فقال لى: (صحيح أننا لم ننتظر حل رموز البرقية إذ قد كانت لدينا صورة كاملة عن موقف العدو، ولذلك غادرنا رئاسة الفيلق الإفريقى فى الساعة الخامسة والنصف أنا والجنرال كروويل لنلتحق بالفرقة الخامسة عشرة المدرعة، ولسوء الحظ أننا تركنا وراءنا كل ما تبقى . ولم نصطحب معنا سوى المصفحة (موريتز) الضخمة وعربتى القيادة. ذلك أن النيوزيلنديين قاموا بعد نصف ساعة فقط من مغادرتنا مركز القيادة بهجوم مفاجئ من الخلف، وكانت الفرقة المهاجمة هى الفرقة النيوزيلندية الثانية بقيادة الجنرال (فريبورغ) الذى استطاع أن يقود الهجوم بكل حذر دون أن يشعر به أحد فينقض على مركز القيادة ويأسر جميع أفراده بما فيهم الكونت بوديسين أركان حرب العمليات رقم 3، وهكذا كتبت لنا النجاة - كروويل وأنا - بأعجوبة!)[1].

(1) بول كارل - نفس المرجع، ص 112.

يقول بول كارل:

قد سألت أحد أفراد هيئة القيادة الذين وقعوا فى الأسر فى هذا الهجوم النيوزيلندى المفاجئ عن حقيقة ما حدث فأجابنى بقوله: إن ما حدث لم يكن أمرًا غير طبيعى فى حرب الصحراء، فكثيرًا ما يجد الجنرالات أنفسهم في هذه الحرب بدون هيئة قيادة. وكانت الشمس قد انقشعت، وكانت هيئة القيادة قد اتخذت عدتها للتقدم إلى كابوتزو من الهضبة التى اختارها روميل عند جامبوت ليحشد الفيلق الأفريقى بينها وبين البحر كى يستطيع تهديد جناح أية قوة معادية تتجه إلى طبرق، وكى يستطيع معاونة قواته الموجودة فى منطقة طبرق ومنطقة الحدود المصرية إذا هى هوجمت. وعلى ضوء أشعة الشروق رأينا إلى اليمين مدافع ميدان كما رأينا سيارات تقترب منا من جميع الاتجاهات وبينما كنا نتساءل ونتناقش فيما إذا كانت الوحدات الخلفية للفرقتين الخامسة عشرة والحادية والعشرين ما زالت موجودة فى ذلك المكان دوى صفير أولى قنابل العدو فانتشرت قواتنا على الفور وسارعت سيارات الاستطلاع والمدافع المضادة للطائرات إلى إطلاق النيران بكل قوة. وحاولنا أن ننتهز الفرصة حين توقف الضرب لنقفز إلى عرباتنا ونسير بها بمنتهى السرعة وفى كل اتجاه، ولكننا لم نتمكن من الابتعاد مسافة كبيرة إذ وقعنا تحت نيران الدبابات البريطانية والمدافع المضادة للدبابات والمشاة وتعطلت عرباتنا الواحدة تلو الأخرى كما تعطلت عربات الاستطلاع واشتعلت فيها النيران. ووقعت فينا إصابات كثيرة فقتل من قتل، وجرح عدد كبير، واستمرت القذائف تنفجر فوق رؤوسنا، ولكننا استطعنا إحراق أهم الوثائق والمستندات قبل أن يصل البريطانيون إلينا ويأخذون أسرى دفعة واحدة مع الخرائط المتبقية. وأما الأجهزة الاسلكية فكان نصيبها الدمار الكامل. وهكذا بات الجنرال كروويل

بدون هيئة قيادة - وهو أمر ليس نادراً الحصول كما قلت فى حرب الصحراء - إلا أنه ظل يقود رجاله فى المعركة الكبرى الدائرة).

يقول فريتزر باير لاين:

فى يوم 22 نوفمبر أصدر روميل أوامره بالقيام (بالعمليات المتحركة) جنوب مدق كابتزو. وفى الليلة السابقة قاد الجنرال كروويل الفرقة 15 بانزر وتحرك بها نحو الشرق بدون أن يشعر به العدو على الإطلاق، ثم قام بإعادة تشكيلها بعمق فى مواجهة أجناب العدو الممتدة لمسافة كبيرة.

وبينما قامت الفرقة 21 بانزر بمهاجمة مطار سيدى رزق وطرد العدو منه نحو الجنوب، ثم اندفعت الفرقة 15 بانزر وهاجمت أجناب ومؤخرة قوة العدو التى كانت تهاجم بير السيوف وتابعت الهجوم أثناء الليل فاجتاحت رئاسة اللواء البريطانى الرابع المدرع وأسر قائد اللواء وتبعثرت قواته، وفى هذا اليوم لم تحدث هجمات من طبرق. أما فى مواقعنا على الحدود المصرية الغربية فقد قام العدو بحركة التفاف بغرض الهجوم على مؤخرة جبهتنا فى السلوم، وصمدت مواقعنا هناك ولكن القوات النيوزيلندية استولت على حصن كابتزو[1].

وما أن حل صباح اليوم التالى فى 23 نوفمبر، وهو يوم الأحد واليوم الخامس من أيام الهجوم، حتى وصلت الفرقة الخامسة عشرة المدرعة من الجنوب الغربى فى حوالى الساعة السابعة والنصف وأبلغت كل سراياها رسالة موجزة تقول بكل وضوح: «يجب دحر العدو اليوم دحراً كاملاً» وكانت القوات الألمانية - الإيطالية واقفة جنوبى طبرق على استعداد تام للقتال،

---

(1) مذكرات روميل، المرجع السابق ص123.

وكذلك حال الفرقة الحادية والعشرين المدرعة فى منطقة سيدى رزق بينما تجمعت فرقتا تريستا وآريتى الإيطاليتين فى منطقة بير الجوبى. وعزم الجنرال كروويل على استخدام جميع قواته المدرعة فى مهاجمة العدو من الخلف بعد أن تتقدم فرقة آريتى الإيطالية من بير الجوبى وتنضم إلى مجموعة القوات المهاجمة.

وحدث اشتباك عنيف مع قوات مدرعة للعدو شوهدت حول سيدى مفتاح، وبينما كانت الفرقة الحادية والعشرين المدرعة مشتبكة فى الوقت نفسه فى منطقة سيدى رزق فى معركة قاسية مع الفرقة السابعة البريطانية شوهدت قوات إضافية للعدو مصحوبة بعدد كبير من المدافع والدبابات والطوابير الإدارية، فأصدر الجنرال كروويل أمره بإجراء حركة التفاف واسعة حول هذه القوات أدت إلى تدميرها.

وجرت محاولة من حامية طبرق حوالى الظهر لخرق نطاق الحصار المضروب حولها تعززها ستون دبابة وقوات كبيرة من المشاة. وكان غرض هذه المحاولة الاتصال بالقوات المدرعة الزاحفة من الشرق. وبالرغم من أن العدو تمكن من احتلال عدة نقاط قوية فى القطاع فقد بقيت فرقة بافيا الإيطالية محتفظة بمواقعها وقاومت المحاولة البريطانية بقوة. ولما وصلت طلائع فرقة آريتى المدرعة الإيطالية ومعها 120 دبابة شن الجنرال كروويل على الفور هجومًا على مؤخرة العدو اشتركت فيه قواته الألمانية والإيطالية بكاملها، وكانت نتيجة هذا الهجوم تدمير لواء جنوبى إفريقيا الخامس وأسر ما يزيد على ألف مقاتل من جنوده وإن كان ذلك لم يتم إلا بعد العصر وسقط فى الهجوم عدد من الضباط الألمان. وفى هذا الهجوم دفع الجنرال كروويل بالفوج الثامن المدرع فى الوسط؛ وبالفوج المدرع الخامس على اليمين،

وبالقوات الإيطالية على اليسار. ولكن لواء جنوبى أفريقيا الخامس أصلى هذه القوات بنيران قوية من مدافع الميدان والمدافع المضادة للدبابات استخدمت فيها جميع الأعيرة ومختلف أنواع القذائف فارتفع فى وجه قوات المحور المهاجمة ما يشبه جداراً من نيران يستحيل اختراقه، وأصيبت الدبابات المهاجمة واحدة تلو الأخرى. وكان لابد من تجمع المدفعية لإسكات مدفعية البريطانيين، وهذا ما عمد إليه الجنرال كروويل فاستطاع الألمان بعد العصر اختراق خطوط الأعداء فى عدة مواقع وتقدموا بقواتهم المدرعة مستخدمين كل المناورات فى معركة متحركة حتى حاصروا العدو فى قطاع ضيق فلم يجد البريطانيون عندئذ ملاذاً سوى الانسحاب أو الوقوع فى الأسر[1].

وفى هذه المعركة كاد الجنرال كروويل قائد الفيلق الألمانى ومعه الجنرال بايرلاين يقعان أسيرين بيد الإنجليز، ولكنهما تمكنا بأعجوبة من الخلاص مرة أخرى من المأزق الخطير الذى واجههما. فبينما كان القتال دائراً حاصرت الدبابات البريطانية مصفحة القيادة موريتز التى يجلس فيها كل من القائدين الألمانيين ولكن البريطانيين لم يتبينوا بوضوح إشارة الصليب الألمانى المعكوف المرسومة على سيارة الجنرال كروويل المصفحة لأن الرمال والتراب كانت قد حجبتها. ويروى الجنرال بايرلاين ما حدث فيقول: «إن الجنود البريطانيين هبطوا من دباباتهم وتوجهوا إلى عربتنا وأخذوا يقرعونها. ويبدو أن زائرينا كانوا فى حيرة ولم يتأكدوا من هويتنا. ففتح الجنرال كروويل نافذة السيارة ونظر فى وجه الجندى البريطانى، فسيطر الذهول على هذا الجندى لمواجهته جنرالا ألمانيا على هذه الصورة المفاجئة. وأيقن كل منا أن مصيره قد تقرر بوقوعه أسيراً بيد العدو، ولكن فى تلك اللحظة بالذات انطلقت نيران من الجهة الخلفية فانبطحنا أرضاً بينما سارع البريطانيون إلى الوثوب إلى دباباتهم

(1) بول كارل - المرجع السابق ص115.

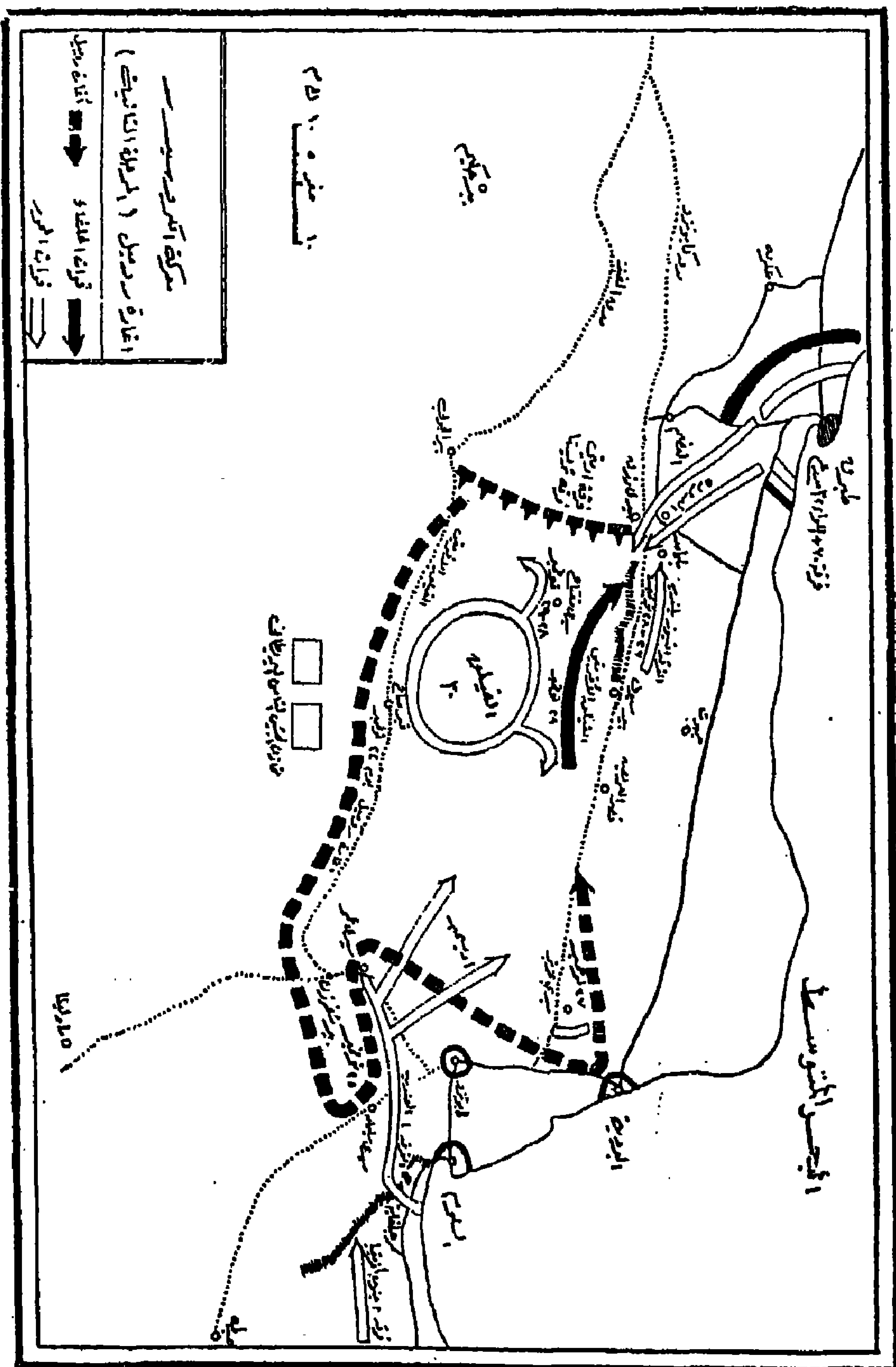
ليتواروا بأقصى السرعة باتجـاه الجنوب. وقد تبين أن تلك النيران كانت تطلق من مـدفع ألمانى مـضـاد لـلطائرات من عـيـار 20 ملم على جـنود الدبابات البريطانية الذين كانوا يتجولون على أقدامهم. وبهذه المفاجأة تمكنت هيئة قيادة الفيلق الأفريقي من أن تنجو هذه المرة أيضًا من الأسر المحتم».

وكانت السرية الثامنة من الفـوج المدرع الثامن هى التى أصيبت فى هذه المعركة بأفـدح الخسائر. فقد قـتل فيها قائد الـسرية الملازم «وث» الذى أصيب بطلقة فى رأسه فهوى بين ذراعى رامى دبابة القيادة الرقيب هاجوك، وكان قد تمكن من بلوغ مـواقع العدو بعناد وثبـات فى دبابة قيـادته ثم تحطمت الدبابة بنيران مدفع ذاتى الحركة من عيار 40 سم وسقط الرامى قتيلاً هو الآخر. أما بقية جنود الدبابة فقد أنقذهم الملازم ليـستمان قائد الطابور الثانى الذى حاول أن يحل مـحل الملازم «وث» فى القيـادة ولكنه سرعـان ما أصيـب هو الآخر بنيران العدو، وكذلك المعمر باكيسن الذى كان إلى جانبه فسقط قتيلاً.

ولم تكن السرية الثامنة هى الوحيدة التى أصابتها مثل هذه الخسائر، بل قـد حصلت حـوادث مشـابهـة فى الفوج الـثامن، ولم يكن الملازمـان وث وليستمان هما الوحيـدين اللذين قتلا من قادة الدبابات، بل هناك قادة آخرون سقطوا قتلى أيضًا وهم الملازمون كرامر وآدم وبيسات ومعهم جنودهم[1].

وما أن انتهى النهار حتى كانت المعركـة قد قاربت على الانتهاء، ومئات الدبابات والسيارات والمدافع مشتعلة تضىء نيرانها ساحة القتال، والجزء الأكبر من القوات البـريطانية، مـحاصر وإن كـانت الدبابات والمدافع البريـطانية فى المنطقة الواقـعة جنوبى سـيدى رزق قد نجت من الأسـر بتسللها خـارج حلقة الحصار باتجاه الجنوب والشرق وسط رؤية مـحدودة بفعل بحر التراب والدخان

(1) بول كارل - نفس المرجع ص116.



معركة الكروسيدر

الذى تحـولت إليه المنطقـة. ولكن مـا أن انتصف الليل حـتى بدا واضحـًا أن البريطانيين خسروا المعـركة تمامًا، وأن الجنرال كروويل تمكن من قلب خططهم رأسًا على عقب، إذ زال الخطر المحدق بالقـوات الألمانية المحاصرة لطبرق وتم تدمير عدد كبير من مدرعات العدو. وهذا النصر الذى حققه الجنرال كروويل وبعث بتفاصـيله بتقرير مفـصل إلى رومل صباح 24 تشرين الثانى، هو نصر يكاد لا يصدق، لأنه أحرز بالرغم من تفوق البريطانيين العددى على الألمان، وبالرغم من جميع الفرص التى كانت متاحة للمهاجمين.

وقد اعتاد رومل أن يستفيد من الانتصارات أحسن الاستفادة، فجاء هذا الانتصار يلهمه بخطة سريعة لقطع خطوط إمدادات البريطانيين بالاستيلاء على حباطة ومادالينا فى مؤخرتهـم، ولتحطيم القوات النيوزيلندية والهندية قبل أن تنضم إليها القوات البـريطانية الرئيسية، وذلك بمهاجمـة العدو باتجاه الشرق. ولم يكن رومل مترددًا فى إعـلان وجوب استغلال تأثير الصـدمة التى لحقت بالبريطانيـين من جراء هزيمتـهم، ووجوب التقدم بقـوات كبيرة إلى سـيدى عمـر. وقد ظل رومل متشـبثًا بهـذا القرار رغم أن رئيس أركان حـربه المقدم وستفـال حذره مما قد يتـرتب عليه. ويقول المحلل العسكرى آلن مـورهيد أن هذا القرار كان من أجرأ ما اتخذه رومل من قرارات. لأن الخطة التى اعتمدها خطة عسكرية تضمنت أجرأ أنواع المغـامرة وأغرب ألوان الخداع الممكنة، وقد اتخـذ رومل قراره باعـتمـاد هذه الخطة فى الوقت الذى كـانت الدبابات فيـه مشغولة فى أشد معارك الصحراء عنفًا، وبناها على أساس أن الهزيمة الكاملة قد أحاقت بالقوات البريطانية الرئيسيـة أمام طبرق فهى تتراجع مهزومة. وكان وجه المجازفـة فى الخطة أن رومل دفع بكل قواته الميكانيكية فى العـملية ولم يترك شمـالى طبرق إلا قوة خفـيفة بقيادة الجنرال بوتشـر قائد مدفعـية الفيلق

الأفريقى، أمـا حلقة الحـصار حول طبـرق فقد أوكل أمـرها إلى قوات غـير ميكانيكية[1].

يقول الجنرال فزيتزلابن ما يلى:

- معركة الدبابات: «توتنسونتاج»[2]:

فى يوم 23 نوفمبـر كانت الأوامر تقضى بـتدمير قوات العـدو الضاربة بالقيام بهجوم عام بكل القوات الألمانية والإيطالية الميكانيكية.

ولأول مرة فى هذا الـيوم لم يتمكن رومـل من إصدار أوامره شـفهـيا لوحداته، لذلك تلقت رئاسة فيلق أفريقيا إشارة لاسلكية مطولة وقد احتاجت لوقت طويل لفك رموزها وتجـهيزها ثم أعادت إصدارهـا على صورة أوامر. واضطر الجنرال كروويل العمل على مسئوليته وذلك لتأخير أوامر رومل علاوة على أنه كـان يعرف الخطة العـامة لرومل، وعليـه فغـادر رئاستـه فى قـصر العريض فى حـوالى سعت (0530) ليقـود قواته بنفـسه فى المعـركة القـادمة الحاسمة. وبعـدها بنصف ساعة استطاعت القوات النيوزيلندية مفـاجأة مركز رئاسته بالكامل وقواته الفرعية، (فقـد استطاعوا التقدم من سيدى عزيز بدون أن يشعر بهم الألمان) وتمكنوا من أسـر كل رئاسة فيلق أفريقيـا بعد أن دافعت عن نفسها بقدر ما أمكنها، ولحسن الحظ استطاع الجنرال كروويل الهروب من هذا المصير (وأنا معه).

وفى صباح 23 نوفمبر كانت القوات الألمانية الإيطالية موزعة كما يلى:

الفرقة 15 بانزر (بعد نجاحها) تعيد تنظيـمها بالقرب من بير السيوف أما

(1) بول كارل - نفس المرجع ص118.

(2) يوم ذكرى قتلى الألمان فى الحرب العالمية الأولى.

الفرقة 21 بانزر فكانت منتشرة للدفاع عن منطقة سيدى رزق، بينما كانت محشودة حول بير الجوبى فرقتى آريتى وتريستا (قوات إيطالية).

وقدرنا أن مدرعات العدو موجودة فى الهضبة الصحراوية الكبيرة المسماة بسيدى مفتاح ومنطقة بير الحياد وموزعة فى عدة مجموعات قتال.

وكانت خطة الجنرال كروويل تتضمن مهاجمة العدو من الخلف ولكنه قرر ضم فرقة آريتى المدرعة أولا (وكانت تتحرك نحوه من بير الجوبى) حتى يستخدم كل المدرعات الموجودة معه فى مجهود واحد مركز . وسعت (0730) تحركت الفرقة 15 بانزر نحو الجنوب الغربى واكتشفت قوة كبيرة من مدرعات العدو حول سيدى مفتاح فهاجمتها على الفور وكان الاشتباك عنيفا بين الدبابات. ثم اكتشف الجنرال كروويل شمال بير الحياد مجموعات معادية أخرى بها أعداد كبيرة من المركبات الميكانيكية وعدد كبير من الدبابات والمدافع وعليه قام بحركة التفاف واسعة حول العدو. وبعد قتال مستمر وصلنا فى عصر هذا اليوم إلى نقطة جنوب شرق بير الحياد وبذلك أصبحنا فى مؤخرة العدو.

ووصل فى هذه الأثناء رأس الحربة لفرقة آريتى ومعها 120 دبابة وقام الجنرال كروييل على الفور بشن هجوم موحد نحو الشمال وعلى مؤخرة العدو بالقوات الألمانية والإيطالية المدرعة لعزله تماما مع دفعه للخلف نحو جبهة الفرقة 21 بانزر فى سيدى رزق.

وبدأ الهجوم بنجاح ولكنه بعد ذلك بوقت قصير ارتطم بستارة قوية من المدفعية المضادة للدبابات التى أقامتها فرقة جنوب أفريقيا بسرعة مذهلة بين بير الجوبى وسيدى مفتاح، (وكانت هذه المدافع من جميع الأنواع والأحجام) وكانت تضرب ستارة من النيران أمام الدبابات المهاجمة وبدأ استحالة التقدم

فى مواجـهة هذا الحاجـز المميت من النيران. وتحطمت الـدبابات الواحدة تلو الأخرى من السيل المنهمر من القذائف، فاضطررنا لاستخدام كل ما لدينا من المدفعية لإسكات مدفعية العـدو مدفع تلو الآخر، وحتى وقت متأخر من هذا اليوم لم ننجح إلا فى فتح ثغرات قليلة فى هذه الجبهة القوية.

ومرة أخرى تقدم هجوم الدبابات ودارت مـعارك شرسة وكانت المعارك مائعة بين الدبابات والمـدافع ودشم المدافع المضادة الدبابات واستخدمت فـيها كل الحيل التى تـعرفهـا قادة المدرعات فى مـجال تدريبهـم ومجال خـبرتهم العملية تحت ظروف القتال، مع استخدام جميع التكتيكات الصغرى للوحدات الفرعية من الهجوم بالمواجهة والتفاف لمهاجمة الأجناب وما إلى ذلك، وأخيراً أمكننا دفع العدو للخلف وحصرناه فى منطقة صـغيرة، وحاول العدو اختراق الحلقة الحـديدية التى أحاطت بـه من كل جانب ووجد أن الـهروب هو الحل الوحيد أمامه حتـى لا يدمر تماما لأنه لا يتوقع فى ذلك الوقت أى نجدات من حامية طبرق.

وفى أثناء هذه المعركة الـتى سادتها الفوضى والارتباك حـوصرت العربة المدرعة «ماموث» بواسطة الدبابات البريطانية وبداخلها الجنرال كروويل وأركان حربه. ولـم يكن من السهل تمـييز الصلبان الألمانية المرسـومة على جانبى هذه العـربة المدرعة (وقـد استـولى رومل عليـها من الإنجليـز قبل ذلك) وكـانت نوافذها الحديدية مغلقة. ولم يكن لدى أطقم الدبابات الإنجليزية أى فكرة عن شخـصية راكـبيهـا، ولحسن الحظ نفـذت ذخيرتهم كلـها فى القتـال، وغادر بعضهـم دباباتهم وذهبوا إلى «الماموث» ودقوا بعنف على دروع العـربة وفتح كروويل النافذة الحديـدية فوجد نفسه وجهًا لوجـه أمام جندى بريطانى فذهل الاثنين.

وفى هذه اللحظة الحرجة بدأت النيران تنهال من حول العربة، فرقد راكبوا المامـوث فى أرضية السيارة وخرجوا بدون أن يصابوا بخدش، وبعد ذلك فتح مدفع ألمانى مضاد للطائرات من عيار 20 مم نيرانه على أطقم الدبابات الإنجليزية ففروا عائدين إلى دباباتهم واختفوا بأسرع ما يمكنهم وانطلقوا نحو الجنوب، وبهذا نجا قائد فيلق أفريقيا وأركان حربه من موقف حرج للغاية.

وأصبح الوادى الفسيح جنوب سيدى رزق بحراً من الغبار والدخان والضباب وكانت الرؤية صعبة، وقد تمكن عدد كبير من الدبابات والمدافع الإنجليزية من الإفلات نحو الجنوب والشرق بدون اللحاق بهم. ولكن ظل الجزء الأكبر من قوات العدو داخل حلقة حصار قواتنا المدرعة. وقرب اليوم على الانتهاء ولكن المعركة لم تتوقف. وكان الميدان مضاء بجثات من العربات والدبابات والمدافع المحترقة فى يوم «الذكرى» . ولم نتمكن من تحديد الموقف بوضوح إلا بعد منتصف الليل وأمكننا تقدير خسائرنا ومكاسبنا وإعادة تنظيم قواتنا مع إعداد خططنا لليوم التالى. وأهم نتائج هذه المعركة، القضاء على التهديد المباشر لجبهتنا فى طبرق وتدمير جزء كبير من مدرعات العدو والقضاء على روح العدو المعنوية وذلك بتدميرنا لخططه بالكامل.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

«قرر الجنرال نوررى (قائد الفيلق 30 بعد هذه الهزائم) سحب بقايا قواته جنوبًا نحو منطقة قبر صالح. لأنه فقد ثلثى دباباته، و150 دبابة الباقية التى كانت مبعثرة بدرجة كبيرة وليس من السهل السيطرة عليها فى هذا الموقف»[1].

---

(1) مذكرات رومل، المرجع السابق ص129.

23 نوفمبر 1941

عزيزتى لو

يبدو أن المعركة قد اجتازت مرحلة الأزمة. وأنا بخير وحالتى ممتازة وأعصابى هادئة وروحى مرحة. وحتى الآن دمرنا للعدو 200 دبابة وصمدت جبهتنا.

أما نتيجة هذه المعركة فى الجانب البريطانى فكانت قراراً خطيراً اتخذه الجنرال أوكنلك يقضى بإعفاء الجنرال كننغهام من قيادة الجيش الثامن فى الميدان وتعيين الجنرال ريتشى محله وقد جرى ذلك بعد مقابلة عاصفة بين القائدين. وكان الجنرال كننغهام قد اتخذ قراراً بالانسحاب على طول الجبهة بعد أن واجه ضباط قيادته وهو فى حالة إرهاق شديد وفى حالة نفسية تستبد بها المرارة وما يقارب اليأس من إمكان نجاح الخطة البريطانية، وقد كانت هذه الخطة مبنية على أساس الخريطة التى رسمها رومل بخط يده ووقعت بيد المخابرات البريطانية، وفيها تفصيل خطة القائد الألمانى لهجومه المرتقب على طبرق. وكان على البريطانيين فى هجومهم أن يفكوا الحصار عن طبرق ويقوموا بعملية كماشة فى المنطقة الممتدة بين السلوم وسيدى عمر وطبرق لمحاصرة قوات المحور وتدميرها. ولكن فشل الهجوم البريطانى جعل كننغهام يذهب إلى أن الحل الأفضل بات الانسحاب إلى مصر وإنهاء المعركة بإنقاذ ما يمكن إنقاذه ومحاولة إقامة خط دفاعى أخير على ضفاف النيل.

وكانت هذه الفكرة محل الانتقاد الشديد من الضباط حين فاتحهم بها قائدهم، وكانت ملاحظاتهم قاسية حول عدم مرونة قيادتهم وأخذوا يتساءلون: «لماذا يا ترى نخسر المعركة ونحن نخوضها بعدد أكبر من الرجال وبقوة أظهر فى سلاح الجو وبسيطرة واضحة فى البحر؟». وفى جو من اليأس

القاتم توصل الضباط إلى الجواب على هذا السؤال بأن سبب ذلك هو أن البريطانيين لا يخاطرون كما يفعل رومل، وأنهم يحاربون متفرقين وكأنه لا علاقة لبعضهم بالبعض الآخر، فحينما اشتد ضغط المعركة على الفرقة السابعة المدرعة وعلى فرقة جنوبى أفريقيا مثلاً لم تبادر الفرقة النيوزيلندية ولا لواء الحرس الثانى والعشرون إلى مساعدتهما. وكذلك حصل عندما اشتبك النيوزيلنديون فى قتال مع الألمان فلم تبادر القوات الهندية لدعمها فى المعركة. وكان هذا هو الحال باستمرار منذ معركة العقيلة حتى هذا التاريخ.

على أن الجنرال أوكنلك وصل قادمًا من القاهرة بالطائرة بعد أن اتخذ كننغهام قرار الانسحاب إلى مصر ببضع ساعات، وأخذ يناقش كننغهام فى قراره فرفض جميع الحجج التى أقدمها تأييدًا للانسحاب السريع. وكانت المقابلة بين القائدين الكبيرين مقابلة عاصفة انتهت بتنحى الجنرال كننغهام عن قيادة الجيش الثامن، لأن أوكنلك أصر على أنه لا يقبل أن تكون الهزيمة هى نتيجة هذه المعركة إذ أن هذا لن يكون حاصله إلا نهاية الحرب فى الصحراء العربية وربما كان معناه انهزام بريطانيا حتى على خط الدفاع الأخير على ضفاف نهر النيل. وقرر أوكنلك أن على الجيش الثامن أن ينقذ نفسه من هذه المحنة التى يجابهها ولو اقتضى ذلك التضحية بآخر مدفع وآخر رجل. وكان أوكنلك فى قراره الحازم هذا - وهو القائد القوى الجنان - نموذجًا لكبار رجال التاريخ البريطانى الذين يتجلى عزمهم وحكمتهم وإقدامهم لدى تعرض بريطانيا للشدائد وإزاء تعقد الأزمات.

وكان تعيين الجنرال ريتشى محل الجنرال كننغهام - وهو خريج المدرسة التقليدية القديمة للإستراتيجية البريطانية - باعثًا على القلق الشديد، فقد كان عليه الالتزام بأوامر أوكنلك والمغامرة بكل شىء. ولذلك أصدر أمره إلى

الفرقة السابعة المدرعة بالتوقف عن الانسحاب، وحاول جهد الطاقة أن يرفع من معنويات الجنود المنهارة لعلهم يتمكنون من صد قوات العدو المهاجمة بكل شراسة[1].

وكان الجنرالان أوكنلك وريتشي بحاجة إلى كسب بعض الوقت كي يتمكنا من إعادة تنظيم قوات الجيش الثامن. ولذلك عمدا إلى إنشاء وحدات شبيهة بقوات «البراندير جير» الألمانية التى تعمل وتؤدى مهمات خلف خطوط العدو وقياداته، وكانت هذه القوات قد بلغت فى هجماتها الجريئة حتى مشارف القاهرة واستهدفت نسف الجسور وإنشاء مراكز استراق السمع وإنزال الخسائر بالعدو وراء خط الجبهة. وأطلق الجنرالان البريطانيان على هذه الوحدات الجديدة اسم «قوات العاصفة» أو طوابير «جوك»، وقد سميت بهذا الاسم باعتبارها تحت قيادة البريغادير جنرال جوك كامبل. وقد وصف المعلق البريطانى العسكرى آلن مورهيد هذه الوحدات بأنها قوات خفيفة الحركة معها إمدادًا من الوقود والذخيرة والطعام كافية لمدة أسبوع. وما أن تم تجميع هذه الوحدات حتى أرسلت إلى الصحراء لمهاجمة كل شىء فى مؤخرة العدو على الفور، فتحرق وتدمر وتلوذ بالفرار وتدمر خطوط الهاتف وتقيم للدبابات الألمانية الكمائن فى الوديان وتغير على المطارات وعلى قوافل التموين وتجمع الأخبار والمعلومات. ولقد استطاعت قوات العاصفة - وهى تدعى أيضًا مجموعة الصحراء البعيدة المدى - أن تكبد القوات الإيطالية خسائر فادحة وراء خط الجبهة، واضطرت لأن تعامل العدو على أساس العين بالعين والسن بالسن لأن الإيطاليين كانوا يسيئون معاملة رجال العاصفة عند وقوعهم بين أيديهم:

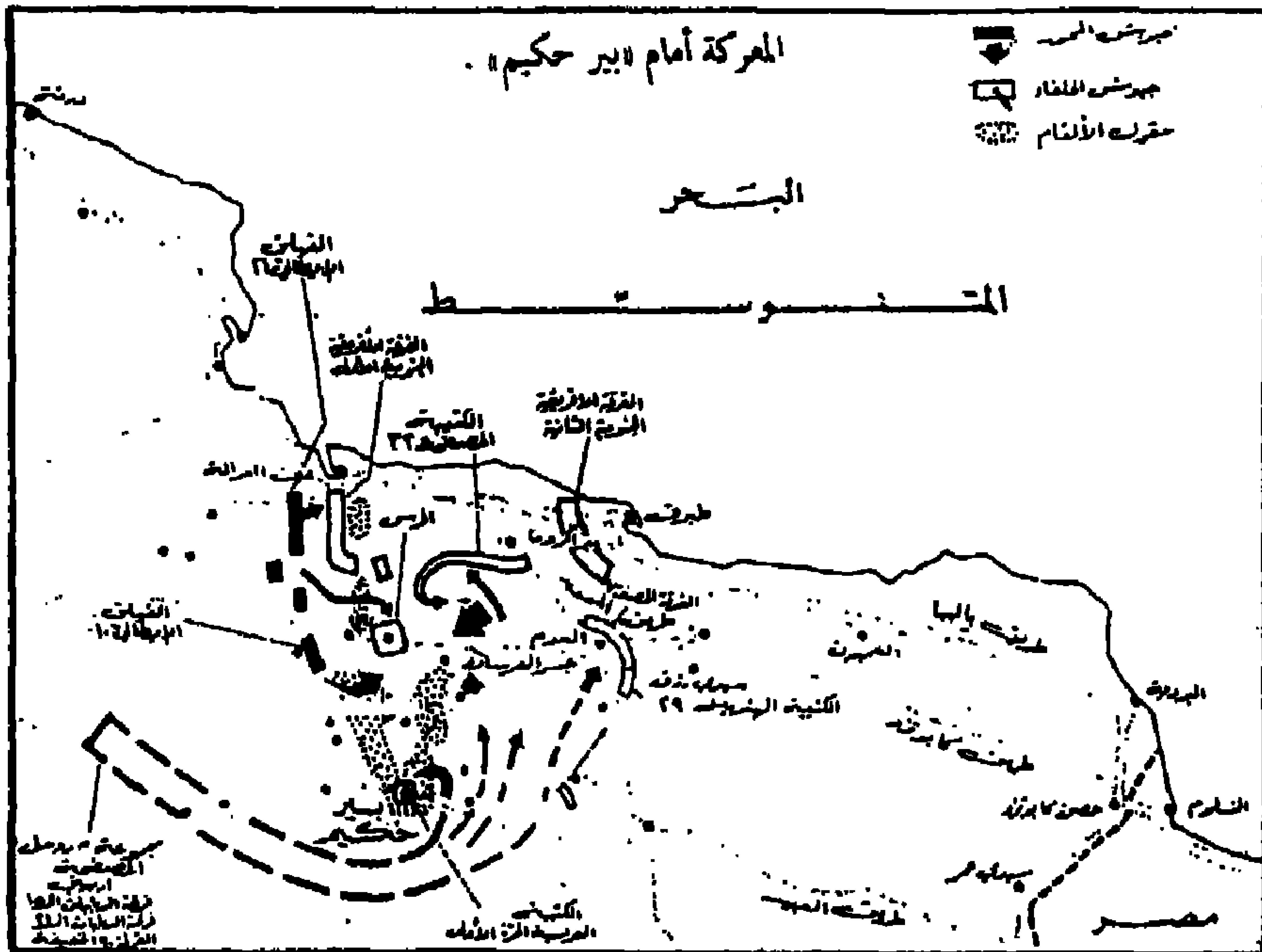
(1) بول كارل - المرجع السابق، ص 120.

وطبيعى أن تحفل أعمال العاصـفة بقصص المفاجآت والمآسى التى تحدث على هامش الحـرب . ومن هذه القصص أن أعـرابيًا شابًا طلب مـن العريف «جـيرهارد فـاريدانك» الذى كان يقـوم بنقل الماء من أحـد الآبار فى درنة أن يحمله مـعه فى سيارته الفـولكس فاجن. ومثل هذا العمل مـخالف للنظام، فلمـا رفض العريـف طلب الشاب لم يكـن من هذا إلا أن أخرج من جـيب سترته تصـريح مرور موقعًا عليـه من روميل نفسه ويطلب تقديم كل مـساعدة ممكنة لحامل هذا التـصريح لأنه فى خدمـة الألمان. وكان بديهيًـا فى مثل هذا الموقف أن يأخذ العريف الفتى الأعرابى معـه فى سيارته ولكن سرعان ما تبين له خطل تصـرفه إذا أوقف السـيارة فى طـريقهـا إلى السلوم عدد من رجـال الشرطة العسكرية الإيطاليين، فارتابوا بالشاب الأعرابى ارتيابًا بدا فى أعينهم، ولما أخرجوه من السيارة احتج احـتجاجًا شديدًا وطلب من العريف الألمانى أن يحمـيه، ولكن رجال الشـرطة الإيطالية رفضوا وسـاطة العريف. ولما فتـشوا الأعرابى المشبوه وجدوا مـعه ما يبرر اشتباههم، إذ اكتشفـوا حقيبة من الجلد المراكشى مربوطة بفخذه وملأى بالجنـيهات المصرية والليرات الإيطالية وأوراق هوية بريطانية تثبت انتساب الرجل إلى طوابير جـوك كامبل أو قوات العاصفة البريطانية. لقـد ظهر بكل جلاء أن هذا الأعرابى الذى يحمل توصـية خاصة مزورة من روميل ليس إلا جاسـوسًا بريطانيًا يعمل فى خدمة العـدو، فأسقط فى يد العريف جرهارد وعاد إلى سيارته كـسيفًا يرتعد بسبب هذا الخطأ الذى وقع فيه. وما كاد يبتعد قليلاً عن المكان حتى سمع صدى ثلاث طلقات نارية . . . أسدلت الستار على هذا الفصل غير النادر من فـصول الجاسوسية خلال الحرب[1].

(1) بول كارل - نفس المرجع، ص122 .

تحرك الفيلق الأفـريقى صباح يوم 24 نوفمبر بقـيادة الجنرال كروويل - فتـجاوز طبرق. وأرسل إلى رومل يعلمـه عن تقدمه فى اتجـاه الشرق ليطارد القوات النيوزيلاندية والهندية، وليمنعهـا من الاتصال بالكتلة الرئيسية للقوات البريطانيـة. وأسرع رومل لاتخاذ أجرأ قـرار اتخذه - ربما فى حياته القـيادية كلها - إذ أمر بتشكيل قـوة ضعيفة ضمت الوحدات المختلفـة، وأسند قيادتها إلى قائد المدفعية - الجنرال بواتشر - وكلفهـا بمتابعة تطويق طبرق. وأمر بقية القوات المدرعة والمشـاة المحمولة للتقـدم بسرعة فى أعقاب الفـيلق الأفريقى، وذلك للوصول إلى المنطقة الخلفية للقوات البـريطانية، والاستيلاء على قواعد إمدادها وتموينها.

وتولى رومل قيادة فـرقة المقدمة - فـرقة البانزر 21 - واندفع فى تقدم سريع. وفى المساء كان قد تجاوز ممر حلفـايا، ووصل إلى سيدى عمر وقاعدة



المعركة أمام «بير حكيم»

إمـداد البريطانيـين فى (مادلينا). وانـدفع رومل فى تقدمـه - بعربتـه - التى أصيبت بعطل طارئ استعـصى إصلاحه. وهبط الليل، وتصادف لحسن حظه أن مر به بعد فترة قائد الفيلق الأفريقى ومعه ضباط هيئة أركانه، وهم يركبون عربة قيـادة (ماموث) كانوا قد غنمـوها من البريطانيين، فاستـوقفهم رومل، وقال لهـم وهو يرتجف من البرد ومـعه رئيس هيـئة أركانه: «هل تحـملونا؟» فركبوا معهم، وسارت عـربة الماموث، ووجد رومل أن قواته قد توقفت أمام سيـاج الأسلاك الشائكة، وحاولت عـبثًا العـثور على ثغرة فى موانع حـقول الألغام والأسلاك الشائكة. وضاق صدر رومل فصاح «سأتدبر الأمر بنفسى». واندفع بأقصى سرعتـه فى ممر استطلعه بنفسه ومضى مسرعًـا فوجد نفسه فى وسط معكسر البريطانيين، والجنود الـهنود والنيوزيلانديون من حوله، غير أنه لم يخطر لأحد أن هذه الـعربة البريطانيـة تحمل جهـاز قيادة القـوات الألمانية بكامله. وأمضى القادة الألمان العشرة ومعهم خمسة من الجنود ليلهم فى حرج وضيق وليس بينهم وبين جنود الأعداء أكثر من مترين أو ثلاثة أمتار(1).

تابع رومل نهار اليوم التالى، وهو يتجول فى الخطوط البريطانية، متنقلاً ما بين وحدة وأخـرى، ودخل مستشفى للنيـوزيلانديين. ولم يستطع أحد أن يعرف ما إذا كان رومل أسيرًا، أو منتصرًا. وسـأل أطباء المستشفى ما إذا كانوا بحاجة لشىء من المواد الطبـية، وعما ينقصهم، ثم ابتعـد دون أن يظهر عليه شىء من القلق، ثم انتقل إلى مطار تحرسه قوات بريطانية، وتمكن فى كل مرة من الابتعاد عن الخطر المحدق به.

كانـت فرقـة البانزر فى هذه الفـترة قـد اشتـبكت فى قتـال عنيف مع النيوزيلنديين فى طريقهـا ما بين ممر حلفايا وكابوتزو، كمـا اشتبكت وحدات

(1) بسام العسيلى - المرجع السابق ص154.

الفيلق الأفـريقى مع القوات الإنجليزية فى سـيدى عمـر. وتبين بنتيـجة هذه الاشتباكات أن القوات البريطانية لا زالت قوية فى كل مكان.

وقرر - كـوننغهام - الانسـحاب من (مـارماريك) أمام ضـغط القوات الألمانية، ولكن قائد مسرح عـمليات الشرق الأوسط - أوكينلك - أسرع إلى القاهرة، وألغى أمر الانـسحاب، وقرر دعم هجوم البـريطانيين وتطويره بزج القوات الاحتيـاطية، واستبدل كوننغهام برئيس هيـئة أركانه - ريتسى - (يوم 26 تشرين الثانى - نوفمبر).

وبذلك انقلب الموقف رأسًا على عقب، وأمكن حـرمان رومل من ثمرة انتصاره، ومن الكسب المادى والمعنوى الذى حققـه بفضل إغارته الجريئة على مؤخرة القوات البريطانية، واستطاع أوكـينلك الذى قابل مغامرة رومل وجرأته بمغامرة مماثلة من انتزاع النصر، وتجاوز مأزق الهزيمة، وعرف رومل أن مبادأة أوكينلك قد وضعته أمام موقف صعب، فعاد إلى مقر قيادته غاضبًا، فلم يرد على تحية أحد - ودخل غـرفته وجلس وحيدًا، ولم يجرؤ أحـد على اقتحام خلوته. ولما خرج بعـد فترة، قال لضبـاط هيئة أركانه أنه ذاهب للنوم، فـيما كان القتال العنيف مستعرًا حول طبرق، دونما إحراز نصر لأى من الطرفين[1].

(1) بسام العسيلى - المرجع السابق ص155.

الفصل الرابع
هجمات رومل داخل الحدود المصرية

- إغارة رومل داخل حدود مصر.
- نجاة رومل.
- الانسحاب من بركة 16 - 17/ 12/ 1941.

إغارة رومل داخل حدود مصر:

أعلن رومل، بعد أن تلقى صباح 24 نوفمبر عن هزيمة البريطانيين، وجوب استغلال أثر الصدمة التى حاقت بالعدو واللحاق به، بقوات كبيرة إلى سيدى عمر. ولهذا بدأ رومل غارته الجريئة بينما كانت المعركة لا تزال دائرة الرحى حول طبرق، فوثب إلى عربة القيادة قائلاً لأركان حربه المقدم وستفال أنه متوجه إلى سيدى عمر، وأنه سيقود الفرقة المدرعة الحادية والعشرين بنفسه إلى ممر حلفاية . وقد ظهر بنتيجة هذا العمل فيما بعد أن خطة رومل تجاوزت حد الجرأة، وكانت عاقبة هذا الهجوم الألمانى الفشل. ومن الإنصاف القول أن المقدم وستفال أطلع رومل على التقارير الأولى التى عادت بها طائرات الاستطلاع الألمانية وهى تؤكد أن البريطانيين استولوا على «بير الجوبى»، ولكن رومل لم يلق إلى وستفال أذنًا صاغية، بل جذب رئيس أركان حربه الجنرال «جوس» إلى عربية القيادة وأخذ يقودها بسرعة فائقة ملاحقًا قوات العدو المنهزمة باتجاه حدود مصر.

وكان رومل يتنبأ بأنه «من الممكن إنهاء الحملة اليوم». ولكن نبوءته لم تصح هذه المرة. وكان من أجل ذلك ينوى مباغتة الفرقة النيوزيلندية الثانية والفرقة الهندية الرابعة فى منطقة السلوم بالهجوم قبل أن تتمكن هاتان الفرقتان من الانضمام إلى القوات المنسحبة. أضف إلى ذلك أنه كان ينوى مهاجمة حباطة ومادلينا وعبور الحدود المصرية وقطع الطريق بذلك على إمدادات الجيش الثامن وراء هذا الجيش ثم تدميره تدميرًا كاملاً مع مركز قيادته ومستودعاته وقواعد تموينه.

ولم يكن رومل يعلم أن أوكنلك قد اتخذ قراره بعزل الجنرال كننغهام وإيقاف الانسحاب أمام طبرق. ولذلك كانت تراوده خيالات النصر الأكبر بالدخول إلى مصر وبلوغ النيل وقناة السويس. وبسرعة جنونية بلغت 50 ميلاً

فى الساعة. سار روميل بعربة قيادته ووراءه ضباط الإشارة الملحقين بالقيادة. غير أنه واصل سيره بعد ذلك من دونهم لأن سيارة اللاسلكى تعطلت فى الطريق. وكانت المفاجأة الكبرى للقادة البريطانيين وصول روميل فى المساء إلى سيدى عمر. فمن أين جاء هؤلاء الألمان؟ وماذا يستهدفون؟ وأصدر روميل أمره إلى الفرقة الحادية والعشرين المدرعة التى يقودها بنفسه بالتوجه إلى سيدى سليمان بغية عزل حلفاية من الشرق. ومن خلال الثغرة نفسها التى تدفق منها البريطانيون فى هجومهم عليه قاد روميل هذه الفرقة بين الأسلاك الشائكة الممتدة عند نقطة «قصر العبيد» على حدود مصر.

أما فى سيدى عمر فأعطيت الأوامر للفرقة المدرعة الخامسة عشرة بمهاجمة العدو، منضمًا إليها الفوج المدرع الخامس لتعزيزها. ولكن الفرقة الهندية الرابعة كانت قد ثبتت مراكزها وحفرت خنادقها حول سيدى عمر قبل هجوم روميل بفترة قصيرة بينما كانت قوات روميل لا تفى بالحاجة. ولذلك تكبد الفوج المدرع الخامس خسائر فادحة وقتل قائده المقدم ستيفن، وتبين فشل الهجوم الألمانى لدى هبوط الليل وقد أضاء جوانبه وهج الدبابات المحترقة تحيط بها جثث الفريقين المتقاتلين على السواء[1].

يقول فرتيزبايز لاين فى مذاكرته ما يلى:

كانت قيادة الجنرال كروويل للمعركة رائعة. وفى صباح يوم24 نوفمبر تقابل مع روميل على طريق الوصلة حول طبرق وقدم له تقريره عن الموقف وكان روميل لم يعرف بعد التفاصيل الكاملة للمعركة التى دارت جنوب طبرق وأن العدو قد تم تدميره فى سيدى رزق ولم يهرب من الدمار سوى جزءًا بسيطًا من قوته. وقد دعمت كل هذه الأمور الأسس التى بنى عليها روميل قراره (الذى اتخذه قبل ذلك) بتوجيه ضربة قاصمة للعدو وذلك بالهجوم

(1) بول كارل - المرجع السابق، ص124.

والتوغل بعمق فى اتجـاه الجنوب الشرقى نحو مؤخرة العـدو وقد شرح روملى خطته كالآتى:

«لقد دمرنا الجزء الأكـبر من القوة المتجهة نحـو طبرق، والآن سنتحول شرقًـا وسنواجه القوات الهندية والنيـوزيلندية قبل أن يتمـكنوا من المقابلة مع بقايا قواتـهم الأساسية للقيـام بهجوم موحـد على طبرق . وفى نفس الوقت سنستولى على حباطة ومادلينا وبـهذا نقطع عنهم الإمدادات. والعامل الحيوى فى كل هذا هو السـرعة. وعلينا الاستفـادة لأقصى حـد من الصدمـة التى سيتخبط فيها العدو بعد هزيمته، ولذلك يجب أن نندفع للأمام فوراً بأسرع ما يمكننا بكل قواتنا نحو سيدى عمر».

وقرر روملى استغلال الفـوضى التى ستسـود الجانب المعادى، والقـيام بإغارة غير متوقعة وجريئة داخل المنطقة الواقعة جنوب جبهتنا فى السلوم.

وكان يأمل أن تؤدى هذه الإغارة إلى إتمام الفـوضى فى صفوف العدو، بل وربما تضطره للانسحاب إلى مـصر مرة أخرى. وكانت ستـشترك فى هذه العملية كل قواتنا الميكانيكية والمحـملة، على أن يترك فى المنطقة جنوب طبرق قوة صـغيرة جـمعت من عدة تشكيـلات ووضعت تحت قيـادة قائد المدفعـية الجنرال بوتحـز للتعامل مع أى مـحاولة أخـرى للأعداء لرفع الحـصار وظلت المشاة الإيطالية فى بير الجوبى، بينما تمت المحـافظة على الحصار متصلا حول طبرق بنفس القوات التى كانت تقوم به حتى هذه اللحظة. ويعتبر قرار روملى هذا أجرأ قراراته قاطبة ولكنه انتقد بشدة من جانب سلطات ألمانية معينة كانت على الدوام غير قادرة على فهم قراراته وظروف مسرح العمليات فى الصحراء العربية، ولكنه يكفى أن العدو امتدح قراره وجرأته.

وكان من الممكن القضاء أولا على بقـايا العدو التى ساعدها الحظ على الخلاص من الدمـار جنوب طبرق. ولكـن كان هذا سيسـتـغرق وقتـا طويلا

وثمينا، وعليه وجد روميل من الأفضل مفاجأة العدو بالانطلاق لمساعدة جبهته فى السلوم، وفى نفس الوقت يوجه ضربة إلى أكثر أجزاء العدو حساسية وهى خطوط مواصلاته الحيوية. وعليه ففى منتصف يوم 25 نوفمبر تحرك فيلق أفريقيا ومعه فرقة آريتى فى تقديم طويل عبر الصحراء نحو سيدى عمر وبعد تحرك سريع (مع تجاهله لأى تهديد إنجليزى لأجنابه) فبلغها فى المساء. وقاد روميل (الذى كان على رأس القول) الفرقة 21 بانزر فى خط مستقيم عبر الفرقة الرابعة الهندية إلى منطقة سيدى سليمان لإغلاق ممر حلفاية. وأمر الفرقة 15 بانزر بالهجوم على سيدى عمر.

وكان على إحدى مجموعات القتال المختلطة (التى أمر بتجمعها) الاستيلاء على مركز التموين فى مادلينا بينما على المجموعة الأخرى تدمير المعسكرات المحيطة بحباطة (التى تعتبر آخر محطة للخط الحديدى فى الصحراء). وليس هناك أى شك فى أن هذه الإجراءات كانت ستقلب شئون إدارية العدو رأسًا على عقب ولكنها لن تؤدى إلى انهياره التام. وأما القصة التى يتناقلها بعض الكتاب بأن «مصير الجيش الثامن كله كان معلقًا بخيط واهٍ لم يتمكن روميل من قطعه» فهذا كلام لا أساس له من الصحة[1].

روميل معزول فى الصحراء:

وقد عاد روميل إلى سيدى عمر مرة ثانية لينضم إلى الفرقة المدرعة الخامسة عشرة بعد أن رافق الفرقة الحادية والعشرين المهاجمة للنيوزيلنديين على جبهة السلوم، بينما كان على قائد هذه الفرقة الأصيل الجنرال فون رافنشتاين أن يتوغل بعمق فى مصر بعد أن ينجز عملية دحر النيوزيلنديين. وحصل أن تعطلت سيارة القيادة التى يمتطيها روميل وهو فى طريقه إلى سيدى عمر، وكانت هذه من الحالات المخيفة الغريبة التى بقى فيها القائد

(1) مذكرات روميل، المرجع السابق ج2، ص 126.

الأعلى لجيش البانزر الألمانى طوال الليل ومعه رئيس أركان حربه وسط ميدان المعركة تائهًا لا يستطيع أن يحــدد مواقع قواته ولا أماكن قوات العدو، ولكن حرب الصحراء حفلت بالمصادفات المدهشة، وكانت إحدى هذه المصادفات أن الجنرال بايرلاين وصل إلى المـكان نفســه مع الجنرال كــروويل فى عــربة هذا الأخير وكانــا قد هربا فى هذه العربة دون أن يرافقهمــا أى حارس، فلما رأى عربة الـقيادة لم يتـمالك من الصــياح: «يا إلهى، إنه روميل!». فـإذا بروميل يقابلهما بابتسام ويطلب منهمــا - وهو يرتجف من البرد - أن يأخذاه معهما. وهكذا جرى لقاء القادة الثلاثة الكبار فى عربة واحدة بعد أن كانوا تائهين فى الصحراء، وكان هذا اللقاء من حسن حظ روميل وإن كان قد أصبح مع زميليه داخل عربة ذات أرض خــشبيــة لاتحميــهم من انفجــار لغم من آلاف الألغام المبعثــرة فى الصحراء. ومن أعجب الأحداث فى الحــرب الصحراوية أن هذه العربة التى تضم الآن القواد الثلاثة هى عربة كان الألمان قد استولوا عليها من البريطانيين. وقد أنقذهم هذا من الهــلاك أو الأسر حين اقتربت منهم دبابات الهنود فلم تثر العربة فضولهم لا هم ولا راكبى الدراجات النارية الهنود الذين يتبعونهم، وهكــذا كانت عربة الضباط الثلاثة تسيــر وسط دبابات العدو حتى وصلت بهم إلى خط الأسلاك الشــائكة الممتدة على الحــدود. وكان يستــحيل اجتيــاز هذا الحاجز لأن الضــباط الثلاثة لم يجدوا فى هذا الخط ثغــرة يمرون فيها. وبالرغم من اهتياج روميل وتوليه قيادة العربة بنفسه مصدراً تعليماته إلى السائق موجهًا إياه تارة إلى اليمين وتارة إلى اليسار، فإن حاسة روميل الخاصة بالاتجاهات - وهى التى غدت أسطورة من الأساطيــر - لم تسعفه هذه المرة، فإذا بعــربة القادة الثلاثة الألمان تجـد نفسهــا من جديد أمام عــدد من النقالات البريطانيــة ولكن البريطانيــين لم يشعــروا بأن القائد العام الألمانــى على مرمى حجر منهم، وكتب لروميل ورفيقيه النجاة مرة أخرى.

نجاة رومل:

وثب القائد الألمانى العـام إلى عربته من جديد، وراح يتفـقد الوحدات المقاتلة ويحـاول تذليل الصعوبات المتزايدة. وفى هذه الجـولات حالف رومل الحظ الرائع فنجا من الأسـر عدة مرات بأعـجوبة. وما من قـائد ينطبق عليه قول فريدريك الكبـير: «أن القائد الناجح لا يحتـاج فقط أن يكون قديرًا، بل لابد له أيضًـا من أن يـكون ذا حظ» - كـمـا ينطبق هذا القـول عـلى ثعلب الصـحراء. فـبعـد أن اختـرق خطوط العـدو فى جولتـه عـبر مطارًا يحـتله البريطانيون وطورد فى عربته وأطلق عليه النار فلم يصب بأى أذى وحين عبر أحـد كثبان الرمل بـأقصى السـرعة الممـكنة وجد نفـسـه داخل مسـتشـفى للنيوزيلنديين ولكنه تمالك أعصابه ولـم يظهر عليه أى أثر للاضطراب، بل قام بدور اتسم بالجرأة البالغـة والمغامرة الصريحة إذ ترجل من عربتـه وأمر السائق والمرافق بأن يدورا بالعربة حـول خيمة المسـتشفى وينتظراه لدى البـاب الثانى لهذه الخيمـة ثم دخل إلى المستشفى فكان لدخوله فعل السحـر إذ حيا ضباط الحرس والأطباء بابتهاج ظاهر وسألهـم إن كانوا يحتاجون إلى شىء ووعدهم بإرسال كميات من الأدوية على الفور. وكـان سلوكه سلوك قائد منتصر يدل على أن المستـشفى والمنطقة المحيطة به مـا زالت فى أيدى الألمان. وأغرب من ذلك أن الأطباء الـبريطانيين حـيوا هذا الزائر التـحيـة العسكرية لدى انتـهاء زيارته، وما لبث أن توارى بسيارته، وما لبث الـنيوزيلنديون أن تبينوا الخدعة البارعة بعـد عشر دقائق حـين وصلتهم سيارات نقل بريطانيـة وسرت حكاية هذه الخدعة فى الصحراء مسرى النار فى الهشيم!

وقد أدى فشل استمرار رومل فى الهجوم إلى تبلبل الموقف إذ أن تراجع الفيلق الأفـريقى الألمانى منح أوكنلك فرصة لم يكن ينتظرها القـائد البريطانى وكان رومل من جهة أخرى غير مستعد للاعتراف بأن الانتصار الذى تحقق يوم الأحد فى 23 نوفمبر قد تحول الآن إلى هزيمة. وكان سوء الحظ يلازم القوات الألمانية فى هذه الفترة بالرغم من كل جرأة القادة والضباط والجنود لقد حدث مثلاً أن الجنرال رافنشتاين قائد الفرقة الحادية والعشرين المدرعة كان فى اللحظة التى أصدر فـيهـا أوامره بالعـودة إلى طبرق قريـبًا جدًا من مـسـتـودع ضخم للإمدادات البـريطانية، ولو أنه واصل الزحف ربع سـاعة بدلاً من أن ينكفئ إلى الوراء لكان بالامكان تـدميـر هذه الإمـدادات الضخـمـة ووضع أوكنلك بالتالى فى مركز محفوف بالمخاطر.

ذكر جنرال فرتيزباير لان فى مذاكرته ما يلى:

وفى وقت متأخر من يوم 24 نوفمبر أصدر رومل أوامره بالقرب من بير الشفرزن (شرقى أحد موانع الأسلاك التى أقامها جرازيانى فى الماضى) وبعدها تحرك رومل إلى الفـرقة 21 بانزر وقـادها بنفسـه إلى مواقع العـدو فى نقب حلفاية؛ وفى طريق عودته إلى سـيدى عمر تعطلت سيـارته لعيب فى المحرك ولم يكن معه سـيارة أخرى مرافقة ولكن من حـسن الحظ أن مرت «الماموث» بهم عند الغروب وكان بها الجنرال كرورويل وأركـان حربه، وتوقف وأخذ معه كل من رومل والجنرال جـاوزى وكانا يرتجـفان من البـرد. وتحركت المـاموث حاملة أغلب قادة مجموعة جيش البانزر الأفريقى نحو مانع الأسلاك. ولسوء الحظ لم تجد أى ثغرة لـتمر منها وكان من المسـتحيل فتح واحـدة. وأخيرًا لم يستطع رومل أن يصبر فقال: «سأتولى القيادة بنفسى» وحل محل الياور الذى كان يتولى تحريك السيارة حتى هذه اللحظة بتوجيه السائق.

ولكن فى هذه المرة لم ينفع فى هذا المأزق حاسة روميل الأسطورية الخاصة بالاتجاهات، وزاد الطين بلة وجودهم فى منطقة واقعة تحت السيطرة التامة للعدو. وكان العداؤون الهنود يمرون بالماموث على دراجاتهم البخارية، بينما كانت الدبابات الإنجليزية تتحرك متقدمة، والسيارات الأمريكية الصنع تشق طريقها عبر الصحراء، ولم يشك العدو أن أكبر القادة فى المجموعة الألمانية الإيطالية المدرعة موجودين داخل عربة قيادة إنجليزية لا تبعد أحيانًا عن خط سيرهم سوى ياردتين أى ثلاث ياردات وقد أمضى الضباط العشرة والجنود الخمسة ليلة قلقة.

وفى اليوم التالى استمر روميل فى التحرك من وحدة إلى أخرى وفى أغلب الأحيان كان هذا التحرك عبر الخطوط الإنجليزية مع مواجهة الأزمات التى كانت تنشأ باستمرار. وفى إحدى المرات دخل مستشفى نيوزيلندى وكانت ما تزال فى أيدى الأعداء. وفى هذا الحين لم يعرف أحد من هو الآسر ومن هو المأسور عدا روميل الذى لم يكن لديه ذرة من الشك فيما يتعلق بهذا الوضع، وسألهم عما إذا كانوا محتاجين لأى شىء ووعد الإنجليز بإرسال إمدادات طبية لهم، وتحرك مبتعدا بدون عائق. وأثناء عبوره لأرض للنزول يحتلها الإنجليز، طاردته العربات الإنجليزية عدة مرات ولكنه هرب فى كل مرة وفى نفس الوقت لم تنفذ الفرقة 21 بانزر التعليمات الصادرة لها، لحدوث خطأ، فقد أصدر أركان حرب الجيش الموجود فى المؤخرة أوامره بالتقدم شرقا وتحركت الفرقة من مواقعها فى نقب الحلفاية إلى كابتزو واشتبكت فى قتال خطير وغالى الثمن مع النيوزيلنديين. وقد فشل الهجوم الذى قامت به وحدات فيلق أفريقيا على سيدى عمر وظهر بعد ذلك أن العدو كان فى كل مكان ما يزال أقوى بكثير مما قدرناه له بعد انتصاراتنا. فقد

استرجع العدو قواه من الصدمة بسرعة كبيرة وأنقذ الموقف (كما عرفنا فيما بعد) بالتدخل الشخصى للجنرال أوكينلك القائد العام لمجموعة جيش الشرق الأوسط الذى هرع من القاهرة وفى آخر لحظة، فألغى قرار الجنرال كاننجهام بالانسحاب من برقة إلى داخل مصر.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

«أوشكت ضربة رومل الجريئة أن تحسم المعركة وتؤثر على نفسية القائد البريطانى. فالهزيمة الساحقة التى تعرضت لها مدرعاته فى المعركة حول سيدى رزق أدت إلى أن كاننجهام فكر فى يوم 23 فى التخلى عن الهجوم والانسحاب عبر الحدود ليعيد تنظيم قواته بعيدا عن متناول مخالب رومل لأنه قدر أن انسحابه فى الوقت المناسب سيمكنه من الإبقاء على كيان جيشه، بينما لو استمر فى الهجوم تحت هذه الظروف السائدة فإنه يخاطر بالقضاء على جيشه بالكامل. ولكن ميله للانسحاب لم يرض أوكنلك الذى وصل فى هذه اللحظة قادما بطريق الجو من القاهرة.

وفى اليوم التالى شن رومل غارته الإستراتيجية بفيلق إفريقيا، ونشر الذعر والفوضى عند ظهوره فجأة فى المناطق الخلفية. وهذه الأخبار الخطيرة زادت من مخاوف كاننجهام بالطبع ولو أن قرار الانسحاب تم لحققت ضربة رومل غرضها. ولكن فى يوم 26 قرر أوكنلك (الذى عاد إلى القاهرة) بالاستمرار فى الهجوم على أن يعين قائداً جديداً للجيش الثامن وعليه فقد أحل ريتشى (وهو نائب رئيس أركان حربه فى القيادة العامة للشرق الأوسط) محل كاننجهام.

وقد أدى تدخل أوكينلك وقراراته التالية إلى انتزاع النصر من براثن الهزيمة ولكن فى الواقع كان قراره مقامرة إستراتيجية أخطر من أغارة رومل

لأنه خاطر ببقـاء الجيش الثامن وكيـانه أمام استمراره فى الهـجوم. وأن سوء الفهم الذى حـدث للأوامر من جانب الفـرقة 21 بانزر بالإضافـة إلى صمود وعناد الفرقـتين النيـوزيلندية والرابعة الهندية كـانا عاملا أسـاسيـا فى تحديد النتيجة.

ومن حيث النـتائج النهائيـة لكل ما حـدث فإن إغارة رومل نـتج عنها خسائر أكثـر من الغنائم التى حصل عليها. فعندما بدأ الإغـارة كان قد كسب المعركة بالفعل على وجه التقريب.

وعند نهايتها كانت الموازين قد مالت للجانب الآخر، ولكن الفارق كان ضئيلا للغاية وليس فقط من الناحية المعنوية وإنما أيضًا من الناحية المادية. وقد مر رومل أثناء تقدمـه (فى اتجاه الجنوب الشرقى نحو الحدود لمهاجـمة مصادر الإمدادات الإنجليزية)، بالمركزين الرئيسيـن للإمداد والتموين (اللذين يعتبران القاعدة الرئيسية للهجوم الإنجليـزى كله) وكانت تغطى كل منهما حوالى ستة أميال مربعة، وتقع على مسافة 15 ميلا جنوبى شرق وغرب قبر صالح، وكان يقوم بواجب حمـايتها اللواء 220 الحرس فقط وقـد مر فيلق إفريقـيا بالفعل بنقطة المياه الواقعـة على الطرف الشمالى للمنطقة الشرقيـة ولكن المنطقتين لم تكسفا نظرًا للاختفاء والتمويه الجيدين والسيطرة الجوية لدى الإنجليز.

ولو أن رومل اندفع جنوبًا (بعد نجاحه فى سيدى رزق للقضاء على بقايا الفليق 30) لأمكنه العثـور على المنطقتـين ولختم نجاحـه نهائيًا. ومن سـخرية القدر باندفاعه وراء الغرض الأكبر لم يعـثر على الفريسة المنشودة. وربما انتقد أصحاب النظريات التـقليدية تصرفه هذا ولكنه كان يتفق مع الأفكار التـقدمية لمبادئ القـيادة كمـا طبقهـا القادة العظام عبـر التاريخ. وعندما اتبـعت قوات البانزر فى السنة السـابقة نفس الأسلوب ضد جيوش الحـلفاء فى غرب أوروبا نتج عنه أكبـر نصر حـاسم فى التاريخ الحديث، بالـرغم من الظروف الأشد

خطورة . أما عن نتيجة فشل هذا الأسلوب فى هذه المرة فى الصحراء العربية فإنه يرجع بعض الشىء للعوامل البشرية التى ذكرناها وأهمها شخصية أوكينلك وعناده، ولكنها أيضًا كانت بيانًا عمليا للدور الذى قد يلعبه «الحظ» فى نتائج المعارك[1].

البريطانيون يؤدون التحية لرومل:

يقول اللواء دوزموند البريطانى:

حينما يخلو الإنسان إلى نفسه، ويعود بذاكرته إلى تلك المعارك الحامية الوطيس بيننا وبين الألمان، يجد أن هناك لحظات غاية فى الامتاع حقًا، وإن هناك حوادث أغرب من الخيال والخرافة، ولكنها وقعت فعلاً.

ففى مساء اليوم الرابع والعشرين من شهر نوفمبر، عبر رومل الأسلاك الشائكة على الحدود فى سيارته البريطانية المدرعة، ومعه الجنرالان: بايرلاين، وكروفل. كان رومل يركب سيارة بريطانية مصفحة تسمى «الماموث» وحين حاولوا العودة، كان الليل قد أرخى سدوله، وصعب عليهم أن يهتدوا إلى تلك الثغرة التى نفذوا منها بين حقول الألغام. وأذكر أننى نفضت يدى ذات ليلة من محاولة العثور على ثغرة بين نطاق الألغام، وآثرت أن أنام نومًا هادئا فى سيارتى حتى أتبين طريقى عند مطلع الشمس، ولكن كم كانت دهشتى حين ألفيت العجلتين الأماميتين للسيارة قد غاصتا فى حقول الألغام!.

ولكن رومل وزميله لم يتمكنا من النوم الهادئ، كما فعلت وسط الجنود الهنود، وإنما انطلقوا هاربين دون أن يقف فى طريقهم أحد عند أول شعاع الفجر.

---

(1) مذكرات رومل، المرجع السابق ج2، ص133.

وقد حدث بعد ظهر اليوم السابق، أن ذهب رومل إلى أحد المستشفيات العسكرية وحين كان ينتقل بين أسرة المرضى، لاحظ أن المستشفى ما زالت فى أيد بريطانية وأن الجنود البريطانيين هم الذين يتولون حراسته ورعايته، بل لاحظ أن أحد الأطباء البريطانيين العسكريين هو الذى كان يقوم بإرشاده إلى حجرات المرضى، ولعل هذا الطبيب قد ظن أن رومل أحد القواد البولنديين، وكان الجرحى الألمان عندما يرون رومل يعتدلون فى فراشهم ويحيونه، وهنا همس رومل: «أظن أن من الأفضل أن نبرح هذا المكان» وعندما قفز رومل فى سيارته البريطانية المدرعة، حياه الجنود البريطانيون!

ومن طريف ما ذكره لى الجنرال فون رافنشتين قوله: «إن رومل كثيراً ما حاول، بل أصر على أن يأسر الجنرال كننغهام وهيئة أركان حربه. وكثيراً ما قال لى: ليس لدى متسع من الوقت لأسر أحد من الجنود! وفى الحقيقة إننى فى كثير من الأحيان حين أتوغل بين الوحدات البريطانية وأرى الجنود يستسلمون، فإننى أصرخ قائلاً: ابتعدوا! إننى لا أعبأ بكم! فماذا عسانى أن أصنع بالأسرى وما حاجتى إليهم؟».

وأذكر أننى كنت مع رومل فوق هضبة مرتفعة شرقى الأسلاك الشائكة، عندما رأينا من خلال نواظيرنا، عدداً من الضباط ومعهم خرائطهم. وهنا صرخ رومل: هذا هو الجنرال كننغهام! اذهب وأت بهم! وعندما حاولت أن آتى بدبابتين وسيارة مصفحة، كان رومل قد نفذ صبره وقال: لا عليك! سأذهب بنفسى وآتى بهم. وقفز رومل فى سيارته، وكان قد رفع منظاره فوق جبهته، وراح يصرخ وينادى الجنود، ثم انطلق بثلاث سيارات غير مدرعة وعشرين دراجة بخارية، ولفتهم جميعًا سحابة من الرمال المتطايرة. سواء كان ذلك الضابط الكبير هو الجنرال كننغهام أم كان غيره، فإنه ولا شك حين

رأهم، وألفى نفسه غير مسلح وليس له سند من جنود، قفز إلى سيارته هو وهيئة أركان حربه، وانطلقوا هاربين!».

ولا زلت أجهل حتى الآن ما حل بتلك الجماعة المحاربة من الفرقة المدرعة الخامسة عشرة التى افترض أنها تهاجم مادلينا. فالجنرال نيومن سلكوف المتولد من أم اسكتلندية، والذى قاد تلك الفرقة فيما بعد كان قد قتل ولم يعرف أحد بمقتله حتى بعد مرور عشرة أيام. فقد كانت قيادة الجيش الثامن فى ذلك الوقت منهمكة فى تنظيم قوة دفاعية من الدبابات، ولكنها لم تحصل على المؤونة الكافية، وبذلك أحبط الجزء المهم من الخطة التى وضعها الجيش الثامن آنذاك للهجوم. وبعد ذلك استؤنف القتال العنيف حول سيدى رزق.

وكان من الممكن أن تتحسن الأحوال الحربية إذا ما هب اللواء الأول من فرقة جنوب أفريقيا الأولى، إلى نجدة الفرقة النيوزيلندية، الحديثة العهد بالصحراء والحرب فيها، ومن أجل هذا حطم الألمان تمامًا اللواء الخامس من ألوية هذه الفرقة، عندما قام رومل بهجومه الممتاز المتقن قبل ذلك بأسبوع.

كان الفريق «بيانار» وهو من الضباط الذين اشتركوا فى الحرب الأولى وعهدت إليه فى هذا الحرب قيادة الفرقة النيوزيلندية، كان هذا القائد متحرقًا للقيام بهجوم ماحق ضد الألمان، غير أنه خاف مغبة السقوط فى أيدى الأعداء إبان المعركة، ولذلك كان تقدمه بطيئًا هادئًا. وعندما بلغت الفرقتان الألمانيتان المدرعتان الخامسة عشرة والحادية والعشرون مكان المعركة، شنتا هجومًا عنيفًا ضد الفرقة الإنكليزية السابعة المدرعة فى مداخل سيدى رزق، وإذْ ذاك وجد

الجنرال فرايبورغ قائد القـوات النيوزيلندية نفسه غير قـادر على الصمود فارتد عن سيدى رزق[1].

العودة إلى طبرق:

ونعود إلى جبهة طبـرق فنرى أن الموقف تطور هناك إلى ما كان يخشاه وستـفال بينمـا كان رومل معـزولاً عن مقر قـيادته تائهً فـى غارته فى قلب الصحراء فـقد تمكن الجنرال أوكنلك من استـعادة المبادأة بعد أن جـرى تجميع القوات البريطانية فى سيدى رزق، ثم هـاجمت هذه القوات الجبهة التى باتت فارغة أثـر انسحاب الفيلق الألمانى. وفى الوقت ذاته استـأنفت حاميـة طبرق الهجوم وتمكنت من اخـتراق نطاق الحصار الألمانى حول طبرق مـعرضة قوات بوتشر الألمانية لنيران مميتة. ولم يستطع وستفال العثور على رومل ليطلعه على حقيقة الموقف، إذ عندما حاول الاتصـال بالقيادة خسر خمس طائرات اتصال من طراز سـتورش، ولم يتـلق أى جواب على الأشـارات التى أخـذ عمـال اللاسلكى يبعثون بها الواحدة تلو الأخرى. وههنا وجد وستفال نفسه مضطراً لأن يتولى مـقاليد الأمـور هو شخصيًـا، وعلى هذا الأساس أصدر تعليـماته بعودة الفيلق الألمانى إلى منطقة طبرق التى باتت أحرج مناطق الجبهة.

وكان الجنرال فون رافنشتاين قائد الفرقـة المدرعة الحادية والعشرين واقفًا مع رئيس أركان حرب هذه الفرقة الرائد «فريهر فون سيسكند» وقد بدت عليه إمارات الإرهاق الشديد حـين جاء العدّاء فسلمه الرسـالة التى بعث بها عامل اللاسلكى كارل دوفرت باسم الجنرال وستـفال. وبعد أن وقع رافنشتاين على الإيصال وأعطاه للعدّاء واطلع على مضمـون الرسالة وسارع إلى تنفيذ ما ورد

(1) اللواء دزموند يونغ - المرجع السابق ص 123.

فيها فعاد إلى طبرق شاقًا طريقه بالقتال خلال القوات النيوزيلندية مع ما بقى سالمًا من دباباته القليلة العدد.

ولقد أغاظت أوامر رافنشتاين للفرقة الحادية والعشرين بالعودة إلى طبرق روميل عندما علم بها فاهتاج اهتياجًا عظيمًا، وذهب به الظن أن الرسالة التى تلقاها رافنشتاين مزورة وأن الأمر لا يعدو كونه خدعة موفقة من خدع العدو غير أنه بعد دراسته للخرائط الستراتيجية إثر عودته إلى مقر قيادته هو والجنرال بايرلاين والجنرال كروويل، آثر الصمت وأوى إلى فراشه دون أى تعليق. فقد اتضح لديه أنه كان على رئيس هيئة أركان حربه بعد أن فقد الاتصال معه أن يتخذ قرارًا حاسمًا، وإن ضرورة إنهاء المغامرة المتهورة التى أمر بها القائد العام الألمانى أملت عليه اتخاذ هذا القرار وطبيعة هذا القرار. وكثيرون يذهبون إلى أن روميل لم يكن فى أية حال من الأحوال ليصدر أمرًا كالذى أصدره وستفال، بل كان سيعمد إلى أسلوب آخر يعالج فيه الموقف المتأزم، ولكن كل هذا يبقى فى باب الافتراض لأن روميل نفسه لم يعلق على هذا الموضوع فيما بعد بل أثنى فى اليوم التالى ثناء صريحًا على أوامر الجنرال وستفال.

يتابع فريتز كتابة المذكرات فيقول:

أخطر روميل فى صباح يوم 24 نوفمبر رئيس عملياته المقدم ويستفال بقرار الهجوم نحو سيدى عمر وحاول ويستفال الاعتراض مع لفت نظر روميل بخصوص الإنجليز الذين يعيدون حشد قواتهم جنوب بير الجوبى، ولكن روميل لم يسمح له بأى نقاش وجذب الجنرال جاوزى رئيس أركان حربه داخل السيارة وانطلقا إلى سيدى عمر.

وقبل أن يذهبا بعيدًا غرست سيارة اللاسلكى المرافقة لهما فى رمال الصحراء وانطلق روميل بدونها، ولذا لم يستطع رئيس عملياته الاتصال

لاسلكيا برئاسته، وعليه فعندما تقدم الإنجليز(بعدأن تولى أوكينلك القيادة ونظم قواته من جديد) وهاجموا المنطقة الغير المدافع عنها تقريبًا فى سيدى رزق، قام ويستفال بمحاولات يائسة للاتصال بروميل. وأرسل عدة طائرات للبحث عنه، ولكنها لم تعثر عليه وعندما زاد تأزم الموقف جنوب طبرق تدريجيًا قرر ويستفال أن يتولى زمام الموقف بنفسه وقرر استدعاء الفرقة 21 بانزر إلى سيدى رزق.

وعندما سمع روميل بهذه التعليمات ظن فى أول الأمر أنها خدعة من الأعداء ولكن ظهر له بعدها بقليل أنها حقيقية. ويقص علينا أحد ياوران روميل قصة عودته إلى مقر رئاسته والرواية على لسان الملازم فوس:

«كان روميل فى أول الأمر غاضبًا للغاية من المقدم ويستفال لاستدعائه للفرقة 21 بانزر إلى العضم بدون علمه وعند عودته إلى مقر القيادة لم يصافح أحدا وإنما اتجه بدون كلام إلى عربة القيادة ونظر إلى خريطة الموقف. ووقف جاوزى خلفه وحاولنا أن نشير لجاوزى ليتكلم مع روميل ويشرح له الأسباب التى دفعت ويستفال للتصرف، ولكن هذا لم يكن أمرًا ضروريًا لأن روميل غادر العربة فجأة وهو يقول أنه سيأخذ قسطا من الراحة. ولم يجرؤ أحد على الذهاب إلى العربة التى يقيم فيها روميل ليقدم تقريراً عن الموقف، ولكن فى الصباح التالى كنا مبتهجين جميعا لأن الجنرال روميل لم ينطق بأى كلمة عن الحادث.

وكان لطيفًا كعادته على الدوام واستمر العمل فى القيادة بنفس النظام السابق.

وبالرغم من أن الفرقة السابعة المدرعة البريطانية والفرقة الأولى جنوب إفريقيا قد أصيبتا بخسائر فادحة إلا أن النيوزيلنديين والهنود ولواء الحرس

وحاميــة طبرق كانت كلها سليــمة ونشطة. وتحت هذه الظروف اضطر روملل للتخلى عن عملياته ضد مراكز الإمــداد فى مادلينا وحباطة.(وتقع حباطة فى الصحــراء على بعد 25 ميــلا جنوب بقبق) لأن هذه الإغارات البعــيدة المدى والتى تتطلب وقتًـا طويلا قد فقدت احــتمالات مفاجــأة العدو ولن تؤدى إلا لبعثرة قواتنا بدون داع.

وحشد روملل كل قواته الخفيــفة الحركة ضد النيوزيلنديين. وفى يوم 25 نوفمبر دار مرة أخرى القتــال العنيف فى طبرق حيث وقعت قواتنا الساترة بين فكى كـماشــة أحدهمــا قادم من الجنوب الشــرقى والآخر من داخل الحــصن نفسه، واستطاعت مجــموعة بوتشر صد أغلب هذه الهجمات مــستخدمة كل قواتــها وأمكن إيقــاف اختــراق العدو بواسطة هجــوم مضــاد إيطالى. ونظرًا لإحراج الموقف أوقف روملل عمــلياته على جبهة السلوم وعــاد بكل تشكيلاته بأسرع ما يمكن إلى مركز المعركة فى طبرق[1].

يقول اللواء دزموند يونغ

وكانت (سيدى رزق) قلب المعركة، كما كانت هى الطريق الرئيسى إلى طبرق فهذه المنطقــة صعبة قاسية للغــاية، فدبابة تحارب دبابة، ورجل يحارب رجلا!

ومن الغريب أن روملل قام بهــجوم اخترق فيه الحدود عنــد(بير شفرزن) وذلك عصر يوم 24 نوفمبر.

فلمــاذا تخلى روملل فجــأة عن المعــركة الرئيــســية، واندفع بقــواته إلى الشرق؟ هل كــانت لديه خطة؟ أم أنه كان يذر الرماد فى العيــون؟ هل كانت ضربته هذه ضربة معلم؟ أم كانت مغامرة يائسة؟.

(1) مذكرات روملل، المرجع السابق ج2، ص 135.

لقد تناقش فى هذا الأمـر كثيرون من القادة العـسكريين، وكان من بين هؤلاء الفريق (فـولر) واللفتننانت جنرال الـسر(جفـرد مارتل). وقد خـرجوا جميـعًا من هذه المناقشات بنتـائج متغايرة تمامًـا، ولكنهم جميعًـا اتفقوا على تقدير روميل بوصفه قائدًا عسكريًا!.

ولنا أن نتساءل بعـد ذلك لماذا لم تشعل الدبابات الألمانيـة نيرانهـا فى مسـتودعى الوقود الرئيـسيين لقواتنا، وقـد كان أحدهمـا على مدى 15 ميلا جنوب شـرقى بير غـوبى، والآخر على مـدى 15 ميـلا جنوب شرقى قـبر صالح؟ وذلك بالرغم من أن الألمان كانوا على مـدى ميل أو ميلين من هذين المستودعين؟ ولو قدر الألمان أن يشعلوا النيـران فى هذين المستودعين لتعطلت الفرقة النيـوزيلندية، ولانسحب الفيلق الثلاثون من سـيدى رزق، إذ لا يبقى لحراسة ذلك المستودعين غير لواء الحرس.

والإجابة عن هذا السؤال الأخير ممكنة لأنهـا سهلة يسيرة. فبالرغم من أن مسـاحة كل من المستـودعين كانت تـبلغ ستة أمـيال مربعـة فإن الألمان لم يعرفوا مكانهما.

ولقد أبدى كل من الجنرالين (باير لاين) و(فـون رافنشتين): دهشتـهما حـين علمـا بمكان هذين المستـودعـين، وقـالا: لو كنا نعلم شـيئًـا عن هذه المستودعات لـكسبنا المعركة. أما بالنسبـة للسؤال الأول فإن الجنرال(باير لاين) كان يعرف تمامًا ما دار فى خلد روميل.

فقـد كان رومـل ما يزال يصـر على الاستـيلاء على طبـرق، ولكنه لا يستطيع ذلك فـى الوقت الذى كانت تهاجـمه فيـه القوات البريطانيـة، ولقد فوجئ روميل مـفاجأة غـير سارة حين تقـدمت الفرقة النيـوزيلندية فى طريق كـابوتزو. ولو أن روميل ركز كل قـواه ضد هـذه الفرقـة لحطمهـا بلا شك،

ولفتح الطريق من جديد إلى مراكـزه على الحدود. وبذلك ينفسح الوقت أمام الفرقة الســابعة لتنظيم صفوفهــا. وفى أثناء ذلك كانت الفرقة الســبعون على جناحه، ولو أنه استدار بالفرقة الســابعة المدرعة إلى جنوب شرقى سيدى رزق لأدى ذلك إلى أن تنضم الفرقــة النيوزيلندية إلى الفرقة الســبعين. ولو أنه آثر السلامة وعاد إلى الغزالة لكان ذلك معناه أن يتخلى عن الحاميات التى رابطت على الحدود، وعلى مخــازن المؤن ومستودعات البــترول على طول الساحل، والحق أن قوة رومل كانت تتركز فى فرقتيه المدرعتين.

ولكن أليس هنالك من سبيل لاستخدام هاتين الفرقتين، لا لكى يخرج من موقف حــرج أو مأزق أو إشعال نيــران معركــة حامية الوطيس فــحسب، ولكن ليســتعيــد قوته ومبادأته من جــديد، وليحول هزيمــته إلى نصر بســحر ساحر وفى ضربة واحدة؟.

لقد اعــتزم رومل ذلك، أعنى أن يتجــه مرة واحدة نحو الشــرق، نحو خطوطنا الخلفية فيقطع خطوط مواصلاتنا، وحينئذ يكون على الجنرال كننغهام أن ينسحب إلى مراكزه الأصلية وبذلك يكون رومل قد تأخر فى هجومه على طبرق بضعة أيام، ولقد التفت رومل إلــى الجنرال فون رافنشتين بعد أن أصدر إليه أوامره وقال له[1]:

«أمامك فرصة لإنهاء هذه الحملة الليلة!». وكان على فون رافنتشين أن يقوم بالهجوم على رأس الفــرقة الحادية والعشرين المدرعة،فتــمرق هذه الفرقة وسط الأسلاك الشائكة الممتــدة على الحدود (دون أن تلتفت يمنة أو يسرة) ثم بعد ذلك تميل إلى اليسار حــتى البحر عن طريق السلوم. وفى أثناء ذلك تقوم مجــموعة من المقاتلين مــؤلفة من فوج من المدرعــات، وسرية من الدبابات،

(1) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السابق ص 119.

بهجوم على مقر القيادة العليا للجنرال كننغهام فى مدالينا. كما تقوم مجموعة أخرى من الفرقة الخامسة عشرة المدرعة فتواصل سيرها بأن تهبط الهضبة الواقعة على الحدود، وتستولى على كميات هائلة من البترول. ولو كان الطريق خاليًا بين هذه الهضبة وبين الإسكندرية لانطلقت الفرقة الحادية والعشرون المدرعة قدمًا نحو مصر. ولكن رومل استبعد أن تكون هذه الشقة خالية من قوات حربية، وكان مصيبًا فى ذلك، ولو فعل ذلك رومل لأدى هنا إلى اضطراب وارتباك فى صفوف الجيش، ولاختلط الحابل بالنابل، حين يرتد الجيش الثامن إلى مراكزه الأصلية.

والحقيقة أنه لم يكن عند حافة الهضبة ووراء حقل من الألغام غير أحد ألوية الفرقة الرابعة الهندية، ولم يكن وراء هذا اللواء إلا فرقة جنوب إفريقيا الثانية، وهى المؤلفة من جنود لم يتدربوا قط وليس لديهم الاستعداد الحربى الكافى، بل أنهم لم يروا إطلاقًا ناريًا واحدًا. وكان أقرب لواء من ألوية هذه الفرقة فى مرسى مطروح!.

لا يستطيع إنسان أن يقول: بأن هذه الخطة التى صممها رومل فى معمعة القتال ليست خطة مبنية على الجرأة والمخاطرة. فلماذا فشلت إذن؟ والجواب بأن هذه الخطة قد نجحت ولكن إلى حد ما، ففى 23 نوفمبر رغب الجنرال كننغهام فى إنهاء هذه المعركة، وكان مما لا شك فيه أنه سيفعل ذلك فى الليلة التالية، ولولا أن طار إليه من القاهرة الجنرال أوكلنك وحال دون ذلك وقد جاء فى رسالة كتبها الجنرال أوكلنك فى ليلة 24 نوفمبر فى القيادة العليا للجيش الثامن، بعد أن قدر خطورة الاستمرار فى القتال: (إن المرحلة الثانية التى ينبغى أن نقوم بها، هى أن نواصل هجومنا بكل ما فى وسعنا من قوة، وإن هذا الهجوم لينطوى على كثير من المخاطر، ولكن يجب أن نتقبلها

بصدر رحب. وعلى ذلك فستواصلون الهجوم على العدو دون هوادة وبلا شفقة، مستعينين بكل ما لدينا من موارد، حتى آخر دبابة).

ولقد علق الجنرال فولر على هذا الذى أصدره أوكلنك فقال: إنه مثل رفيع عال، لما للقائد من نفوذ وتأثير فى الأعمال العسكرية).

وعلى العكس من هذا تمامًا ما حدث لرومل فقد عطله وأعاقه عن العمليات العسكرية ضابط من مرؤوسيه. فلقد كان رومل كعادته فى الخطوط الأمامية للمعركة، فأرسل إلى الجنرال فون رافنشتين ظهر يوم 25 نوفمبر، وهو مرابط وراء الحلفاية ومعه عشرون أو ثلاثون دبابة، هى البقية الباقية من دباباته الستين، طالبًا منه أن يستعد للهجوم على مصر. غير أنه فى الساعة الثانية مساء تلقى رسالة لاسلكية تقول: (كل الأوامر التى صدرت إليك قد ألغيت وعلى الفرقة المدرعة الحادية والعشرين أن تقتحم الخطوط الهندية فى اتجاه البردية).

ولقد ارتاب فون رافنتشين فى قدرته على خرق الخطوط الهندية، وخاصة بعد أن قام بهجومين فاشلين بل غير ضروريين فى صبيحة اليوم التالى وفى عصره، على اللواء الهندى السابع الذى رابط وراء حقول من الألغام فى سيدى عمر، ولكن فون رافنشتين عاد فأرسل ضابطًا على رأس رتل من السيارات الثقيلة وهو يأمل أن يوهم بها البريطانيين فى الظلام، فيظنوا بأنها دبابات، وكانت مهمة هذا الرتل إحداث ثغرة بين السلوم وكابتزو، وبعدهما تنطلق بقية الفرقة. وفى صبيحة يوم 26 نوفمبر كان فون رافنتشين فى البردية. وهنالك وجد رومل جالسًا على مقعد فى سيارته مستغرقًا فى النوم!

ومال فون رافنتشين على روميل وقال له: (ياسيدى الجنرال إننى سعيد حين أخبرك أننى وفرقتى ها هنا!).

فانفجر روميل صارخًا: (ماذا تعنى بقولك أنك هنا؟! ماذا تصنع هنا؟ ألم أصدر إليك أوامرى بالاستعداد للهجوم من حلفاية فى اتجاه مصر؟!).

فأخرج فون رافنتشين نسخة من البرقية التى تسلمها.

فصرخ روميل قائلا: (هذه فرية! إن هذا أمر قد أصدره البريطانيون. ولا بد أنهم قد عرفوا الشفرة التى نتراسل بها!).

والحقيقة أن هذه الرسالة كانت من اللفتاننت - كولونل فستفال - الذى أصبح فيما بعد رئيسًا لهيئة أركان حرب الفيلد مارشال فون رونشتدت، ولكنه لم يكن فى ذلك الحين إلا أحد الضباط بالقرب من طبرق. ولقد رأى فستفال كل التقارير التى تأتى بها طائرات الاستكشاف الألمانية، فأدرك أن خطة روميل للهجوم مستحيلة التنفيذ، فألغى هذا الأمر على مسؤوليته الخاصة!.

وكان روميل إنسانًا عظيمًا فلم يثر ولم يغضب, وإنما هنأه فيما بعد وقال: (لقد أحسنت، إننى مدين لك بهذا الجميل!).

وفى أثناء ذلك كانت صيحات الاستغاثة صادرة من الفرقة الألمانية الخفيفة التسعين، وهى تحارب حرب اليائس المستميت ضد الفرقة النيوزيلندية، وتحاول جاهدة أن تحول بينها وبين بلوغ سيدى رزق، وفى ليلة 26 - 27 سقطت سيدى رزق فى أيدى النيوزيلنديين، وفى عصر ذلك اليوم سقطت الدودة فى يد الفرقة السبعين، ولأول مرة التقى الجيش الثامن بحامية طبرق. وفى اليوم السابع والعشرين من شهر نوفمبر التقط الجنرال ريتشى الذى خلف الجنرال كننغهام برقية تقول أن الفرقتين الألمانيتين المدرعتين قد ارتدتا هاربتين!

وبذلك تكون الحملة التى اتجهت شرقًا قد انتهت.

ولم تحدث هذه الحملة إلا خسائر قليلة، وإن كانت قد أوقعت الرعب وأدخلت اليأس فى نفوس جنودنا فى المناطق الخلفية، حتى ليقال: أن بعض سائقى السيارات لم يرفعوا أيديهم عن عجلة القيادة إلا عندما بلغوا مصر، وربما كان ذلك مبالغًا فيه، ولكن مع ذلك فالسيارات ما تزال تجرى دون انقطاع رائحة غادية فى مرسى مطروح. ولقد منى روميل بالفشل فى استعادة المبادأة التى دأب عليها. ولما كان روميل قد خسر الكثير من سلاحه وخاصة عند سيدى عمر بإزاء مدفعية الفرقة الهندية الرابعة، فإن حالته قد ساءت عما كانت عليه من قبل، ويعترف الجنرال أوكلنك صراحة بأن مباغتة روميل بهذا الهجوم العام (كان صدمة قاسية).

ولو قدر لهذا الهجوم الذى شنه البريطانيون أن ينجح لاعتبره المؤرخون العسكريون تحفة جربية خقا[1].

أسر الجنرال رافنشتاين:

بلغ الفريقان المتحاربان موقفًا أخذا يقاتلان فيه بشجاعة اليائس، ولم تعد هناك جبهات إذ توحدت فى جبهة واحدة بعد أن استدعى روميل كل القوات التى بعث بها إلى جبهة السلوم للقتال أمام طبرق. وكان كل من الفريقين يعلم أن هزيمته هذه المرة لن يكون معناها إلا تقرير مصير الحرب النهائى لصالح العدو فى شمالى أفريقيا وضياع عام كامل من الكفاح والعرق والدماء.

وبهذه الروح رأينا قوات (باخ) تقاتل كالنمور فى دفاعها عن مواقع مقضى عليها بالسقوط بينما نرى قوات الجنرال (فرايبورغ) النيوزيلندية تصمد

(1) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السابق ص 121.

صمـود الأبطال أمام هجـمات المدفعـية والدبابات الألمانيـة لكى تعود فـتشق طريقـها إلى طبـرق من الشـرق بأسنة الرماح. وقـد تمكن النيـوزيلنديون فى هجومهم هذا من أسر الجنرال رافنشتاين قـائد الفرقة الحادية والعشرين المدرعة نفسه.

يقول بول كارل[1]:

وقد شـئت أن أقوم بتحقـيق خاص حول هذا الحـدث المهم فى الحرب الصحراء العربية، خصوصًا وأن الكثير من الروايات والقصص قد كتبت عنه. ولذلك توجهت إلى الجنرال رافنشـتاين نفسه بالسؤال مـباشرة عن حقيـقة ما حدث فأجابنى بما يلى:

فى ليل 28 نوفمـبر التقى الجنرال رافـنشتاين مع عـربة القيادة الخـاصة بالجنرال كروويل قائد الفـيلق الإفريقى فأنبأه بوصول الفرقـة الحادية والعشرين المدرعة. وبوصـول هذه الفرقـة أصبح تحت تصرف الجنـرال كروويل فرقـتان مدرعتان فقرر على الفور استـغلال الموقف ولذلك أصدر أوامره إلى الفرقتين معًا بمهاجمة القوات البريطانية فى سيدى رزق فى اليوم التالى، واتفق الجنرال فون رافنشـتاين على أن يقـوم هذا الأخيـر بإعطاء الأوامر بنفـسه إلى الفـرقة المدرعة الخامسـة عشرة فى الصباح. وكان من المفروض أن يغـير هذا الهجوم الموقف فى جنوب شرقى طبـرق. وفى الليلة نفسهـا عاد فون رافنشـتاين إلى فرقته بأقصى سرعة وبين يديه الخـريطة التى حدد عليها باير لاين مكان الفرقة الخامسة عشرة المدرعـة بصليب ظاهر. ثم توجه إلى هذا المكان وكان عليه أن يسير بعربتـه مسافة عشرة أميال لبلوغ هذا المـكان. واتبع سائق العربة العريف (هانس كرانسكى) الطريقة التقليدية القديمة مـسترشدًا بالبوصلة وبعداد المسافة

(1) بول كارل - المرجع السابق، ص 128.

فى العربة، يعاونه جندى مشهور بأنه من أكثر الجنود خبرة ومعرفة بالمسالك فى الصحراء وهو الرامى(بيلتل) الذى كان يعمل خبازًا فى برلين قبل الحرب ولا يزيد عمره على ثمانية عشرة عامًا، وكان يلقب فى الصحراء باسم (فرانزر).

وشاهد رافنشتاين والسائق والرامى على ضوء الفجر عربات فى الأفق، فاستنتجوا أن هذا الموقع، استناداً إلى الخريطة والمسافة التى اجتيزت، لا بد أن يكون هو المكان الذى دل عليه الجنرال باير لاين بعلامة الصليب على أنه مكان الفرقة الخامسة عشرة المدرعة، وذهب الظن بالجنرال رافنشتاين إلى أن العربات التى رأوها لا بد أن تكون تابعة لهذه الفرقة. ولذلك ظل متقدمًا نحوها حتى إذا أصبح على بعد 20 ياردة منها أطلقت النيران فجأة عليهم من مدافع رشاشة ثقيلة فاضطرت عربتهم إلى التوقف بعد أن اشتعلت فيها النيران وأصيب السائق بجراح وترجل الجميع من العربة وحاولوا الاختباء، إلا أنهم كانوا قد وقعوا فى مركز من مراكز النيوزيلنديين التى أتقن تمويهها وإخفائها، فاستسلموا للعدو حين طلب إليهم ذلك وبينما كان الجنرال (فرايبورغ) يتناول طعام الإفطار أحيط علمًا بأن الجنرال الشهير فون رافنشتاين قائد الفرقة المدرعة الألمانية الحادية والعشرين قد وقع أسيرًا بيد قواته.

بيد أن مقاتلى الصحراء على اختلاف رتبهم حملوا معهم روح المغامرة إلى معسكرات الأسر، ولم يكفوا عن ممارسة هذه الروح وهم أسرى حرب. وهذه الروح هى التى كانت وراء محاولة من أكبر محاولات الهرب التى قام بها 1100 أسير ألمانى على رأسهم الجنرال الأسير فون رافنشتاين إذ كانت ناقلة الجنود (باستير) - وهى من بواخر الركاب الفاخرة قبل الحرب - تنقلهم من القاهرة إلى كندا.

وكانت هذه الناقلة تحمل بالإضافة إلى الأسرى الألمان زوجات رجال الحامية البريطانية فى الشرق الأوسط وأولادهم، فضلا عن طاقمها من البريطانيين وقد خصص منها سطحاها العلوى والأوسط للضباط الأسرى وخصصت الطوابق السفلى للجنود، وأعطى الجنرالان الأسيران (فون رافنشتاين) (وشمدت) الغرفة رقم 296 على السطح، وأعطيت الغرفة المجاورة لهما للدكتور (ويلزمان) ولمعاونه (ويجندر) وللقسيس الكاثوليكى الألمانى (فرنز). وكان هؤلاء جميعًا من هواة لعبة الانزلاق، ولكنهم بدلا من أن يمارسوا هوايتهم هذه أخذوا يدبرون خطة للهرب. وكانت الأمور تبدو مشجعة لأن الباخرة تمخر البحر الأحمر، وإذا أمكن التغلب على البحارة البريطانيين الموجودين فى الباخرة يمكنهم عندئذ توجيهها إلى سنغافورة. واتخذت جميع الترتيبات اللازمة، وكان على الطبيب والقسيس أن يبلغا الرجال الموجودين فى الطوابق السفلى بالمؤامرة أثناء زيارتهما اليومية لهم. وتم الحصول على سكاكين وعصى، وشكل الرجال على طراز فصائل كومندوس وتدربوا على الأعمال الموكولة إليهم. ولكن رغم العناية والحرص البالغين اللذين أحيطت بهما العملية ورغم تحذير الرجال من الكلام، كانت هناك أحيانًا مناقشات تدور بين الرجال، وكان من جراء ذلك أن شعر الحرس البريطانيون بالأمر وبالقلق والاضطراب الظاهر على وجوه المشاة الألمان، فدسوا اثنين من رجالهم الذين يتقنون الألمانية وسط الألمان، واستطاعوا بهذه الطريقة أن يكتشفوا المؤامرة. وفى الساعة الحادية عشرة من ليل 11 مارس 1942 انقض عدد من البحارة الإنكليز على الغرفة رقم 296 واستاقوا الجنرالين (رافنشتاين) و(شمدت) إلى الحبس الانفرادى، كما وضعوا القسيس والطبيب ومساعده فى ثلاث غرف أخرى. وسرت فى السفينة الشائعات بأن الألمان كانوا ينوون وضع النساء والأطفال فى زوارق مكشوفة وإلقائهم فى البحر.

وكانت هذه بعض الشائعات بالطبع، كما أن البحارة الإنكليز أرادوا إلقاء الجنرالين وزعماء المؤامرة فى البحر، لكن سرعان ما هدأ روعهم وعادوا إلى الصواب.

ولم تكن هذه هى المحاولة الوحيدة التى قام بها رجال الفيلق الأفريقى الأسرى للهروب، بل جددوا هذه المحاولة من معسكر الأسرى فى كندا نفسها ووجدوا معاونين لهم من الأسرى الألمان الآخرين من جنود الغواصات وجنود سلاح الطيران الألمانى.

يتابع بول كارل قوله[1]:

أود هنا أن أسجل قصة ملازم يدعى الملازم (درابر) لا لكى أحول اهتمام القارئ عن فظاعة الحرب إلى قصة إنسانية رائعة، بل لكى أظهر أن الحرب فى صحراء ليبيا لم تكن تخلو مع كل قسوتها من نواح إنسانية سامية ظلت باقية برغم كل شىء. فصحيح أن قسوة الصحراء التى كان الجميع تحت سيطرتها هى التى كانت تحدد المقاييس والقيم فى الحرب الدائرة التى لم تكن أكثر من مغامرة جريئة، لكن روح الرجال المقاتلين الإنسانية الرفيعة كثيراً ما قررت هى هذه المقاييس وأملت هذه القيم.

فقد كان الملازم (درابر) جالسًا مع أحد العرفاء فى سيارتهما الخفيفة يتناقشان بحرارة فى الوجود والكون والله وسط الذباب المنتشر والقيظ الشديد، فيقول العريف المتشكك للملازم: (بالطبع ما من أحد يريد الموت، حتى المسيح على الصليب ثار على الموت) ويجيب الملازم بكل هدوء: (طبعًا ما من أحد يحب الموت أو يفضله، ومن البله أن ينتظر من أى إنسان أن يستطيع ذلك).

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 131.

والملازم (أرنولد درايز) كان قسيسًا فى زمن السلم، وله زوجة جميلة وأربعة أطفال ظرفاء يعرفهم الجنود من صورهم الفوتوغرافية. وكان كل جندى من جنود الوحدة يعجب كيف يمكن أن يكون مثل هذا الرجل من رجال الله ملازمًا قديرًا يعرف استخدام المدافع الرشاشة حق المعرفة، ولذلك كان ضابطًا محبوبًا قديرًا ممتازًا وذا شهرة ذائعة بين رجال القوات الميكانيكية. وذات يوم توجه إليه جندى شاب بالسؤال التالى: (هل يستطيع القسيس أن يصبح ضابطًا ويخوض الحرب ويقتل الآخرين؟). فما كان من الملازم القسيس إلا أن أجابه على الفور: (طبعًا يستطيع، ويكفيك أن تنظر إلىّ وتأخذ على سؤالك الجواب الفاصل!) وأخذ درايز يشرح للجندى ماذا ورد فى الإنجيل، ومعنى القتل أثناء الحرب والقتل الذى يشير إليه الإنجيل... غير أن جواب الملازم القسيس لم يجد تطبيقه العملى بالنسبة إليه فى يوم من الأيام فى صحراء إفريقيا المحرقة... ولم تستكمل المناقشة لأن إنذارًا مفاجئًا وصل فى ذلك الوقت بالذات إذ جاء مراسل راكب بأقصى سرعة يحمل أمرًا بالهجوم على الفور على سيدى عزيز وتقدمت قوات رأس الحربة البريطانية فاحتلت السلوم وسيدى عمر وشوهدت مدرعات العدو شمالى وغربى كابوتزو وسيدى عمر. وكانت الفرقة الخامسة عشرة المدرعة الألمانية تنتظر خارج درنة تنفيذًا لأوامر رومل. ولما صدرت الأوامر للكتيبة الثالثة والثلاثين بمهاجمة سيدى عزيز نشبت معركة حافلة بالمفاجآت. وكانت وحدات الاستطلاع البريطانية قد أكدت فى تقاريرها أن سيدى عزيز لا تحتلها إلا قوات ضعيفة، ومع ذلك فقد أسفرت المعركة التى خاضتها كتيبة الملازم القسيس عن أسر جنرالين بريطانيين و 700 جندى وعن الاستيلاء على 60 مدفعًا و 70 سيارة. ومن طريف ما حدث أن أحد الجنرالين الأسيرين وهو البريغادير جنرال (هارجست) الذى ذاع صيته فى معارك اليونان وكريت وكان محطم الأعصاب

بالغ الكآبة إثر وقوعه فى الأسر. فلما مر به روميل ورآه واقفًا أمام عربته على هذه الحال حياه وخاطبه مواسيًا بقوله: (لا تيأس فلقد حاربت أنت ورجالك بمنتهى الشجاعة والبسالة). ثم أمر روميل الملازم القسيس دراير باصطحاب الجنرالين إلى البردية.

ولكن الملازم القسيس لم يعد فى تلك الليلة، فاستبد القلق بقائد كتيبته وخصوصًا عندما أبلغه العريف (ويلى فوجست) بأن الملازم امتطى عربة القائد الإنكليزى نفسه ولحق به السائق البريطانى وبعض الجنود. وسأل قائد الكتيبة العريف: (هل تعتبر هذا بمثابة وداع من جانب دراير؟ إنه رجل مثالى متفائل دائمًا ومؤمن دائمًا بالطبيعة البشرية، وأغلب الظن أن البريطانيين سيحولون اتجاههم في مكان ما بعد السلوم، ولا بد أن يكون دراير قد أصبح الآن أسير حرب بين يدى البريطانيين!).

على أن العريف فوجست انتفض عندما سمع هذا الكلام، إذ اعتبر جارحًا لشعوره كما لو كان قد ضبط وهو يغش فى لعب الورق، وقال للرائد قائد الكتيبة (إن ما قلته يا سيدى الرائد لا يمكن أن ينطبق على الملازم دراير، وأنا مستعد أن أراهن بحياتى على أنه سيقتاد البريطانيين الأسرى إلى البردية. فهو يعرف طريقه حق المعرفة، وحين كان يحارب فى فرنسا لم يسبق له أن ضل السبيل، وأن بإمكانه أن يتعرف على كل حفرة فى كابوتزو وهو معصوب العينين).

وصمت العريف برهة ثم استأنف كلامه فقال: (المعذرة يا سيدى الرائد، إن الأمر يختلف بالنسبة للملازم دراير، إننى واثق أنه سوف يأخذ الأسرى الإنكليز إلى المكان المحدد، ولن يخدعوه أبدًا، وإلا فسوف آكل هذه الأشواك. . .).

وكـاد كلام العـريف يقنع الرائد فـأجابه: (حـسنًا. . ولكن إذا أخطأت التقدير فسوف أحملك على أن تأكل هذه الشجرة ولو اضطررت للوقوف على رأسك ثماني ساعات!).

ولم يكن العريف فوجـست بحاجة إلى أن يقدم البرهان على صـحة ما ذهب إليه، لأن الأمر بالتـحرك إلى البردية وصل إلى الكتيبـة. وكان حديث العريف مع الرائد قد انتـشر وذاع بين رجال الكتيبـة وأخذ جنود سرية الملازم دراير يقول بعـضهم لبعض: (إذا لم يكن الملازم أرنولد قـد وصل إلى البردية ومعه الجنرالان البريطانيان فلسوف نأكل. . .).

وحين وصلت الكتيبة إلى البردية لم تعثر على القسيس فورا، ولكن لم يكن هناك داع للقلق لأن الجنرالين كانا قد وصـلا إلى البردية، أما دراير فكان جالسًـا مع قسيس إيطالى يتناقـشان فى حديث مسـهب فى مواضيع الخليـقة والكون والله، وقد نسـى الحرب كل النسيـان، وشرب زجاجـة الكيانت التى قدمها إليه القسيس الإيطالى حتى الثمالة.

قلنا إن الملازم دراير كـان ضابطًا محـبوبًا من قبل جنوده فـلما نقل إلى مركز مرافق فى الفـرقة الخامسة عشرة المدرعة أسف رجال سـريته على فراقه أشد الأسف.

وقلنا أيضًـا أن هذا الملازم الذى أجاب سـائله ذاك الجواب عن مـهمـة القسيس فى الحـرب ومعنى القتل فى الحرب ومفهوم الإنجـيل لهذا الأمر، لم يكن ليفسح المجـال لأى تطبيق عملى لهذا الجواب لا فى ذاك اليـوم ولا فيما بعد فى الحرب الأفريقيـة. فقد كان رجلاً محنكًا قديرًا. كان باسـتطاعته مثلاً أن يشوى غزالاً فى الصحراء يسيل له اللعـاب، وكان فى استطاعته كذلك أن يقـود دورية دون أن يعرضـهـا لنيران العـدو. وحـين يقع جندى من جنوده

جريحًا فى خط النار لا يطلب أبدًا من زملائه إحضاره بل كان فى كل مرة يثب بنفسه لإحضاره. ثم هو مستعد دائمًا وفى أية لحظة لإقامة صلاة الجنازة لدى دفن أى جندى قتيل، وقد اعتاد أن يردد صلواته دائمًا بصوت عالٍ ولاسيما حين يردد: «أغفر لنا خطايانا». ولذلك كان أشد الشباب استهتارًا فى سريته يلزمون الصمت أثناء تلاوته لصلاة الجنازة على أرواح القتلى فقد كان الجميع يؤمنون بأن الرجل الماثل أمامهم رجل صادق الإيمان طاهر السريرة مخلص لله. وبهذا الإيمان لاقى هذا الضابط وجه ربه فى معركة العلمين الدامية التى دارت رحاها فى سبتمبر 1942.

وبالرغم من أن مغامرة رومل الجريئة انتهت إلى الفشل، فقد بقى يفضل اعتماد خطة الهجوم لا الدفاع، وذلك أن معركة طبرق لم تنته، والصراع من أجلها هو حجر الزاوية فى الاستيلاء على مصر، وأوكلنك مصمم على إنقاذها من الحصار الألمانى المستمر، وتقارير الاستطلاع تؤكد أنه يحضر المزيد من الجنود والإمدادات.

وكان رومل قبل أن يبدأ الهجوم قد بعث ببرقية إلى هتلر فى (راتنسبرغ) يلخص فيها نتائج القتال الذى استمر دائرًا من بدأ الهجوم البريطانى فى 18تشرين الثانى حتى أول كانون الأول، وجاء فى هذه البرقية أن القوات الألمانية دمرت للعدو 418 دبابة وعربة استطلاع وأسقطت 72 طائرة، وأن عدد الأسرى يزيد على 9 آلاف من بينهم ثلاثة برتبة جنرال، وأن الغنائم التى استولت عليها من الأسلحة والذخائر والعربات كانت كبيرة للغاية[1].

وتبين بعد المعركة أن الألمان لم يدمروا الجيش تمامًا لأن الفيلق 30 عاود شن هجماته يوم 26 نوفمبر 1941 حتى وصل إلى سيدى رزق وعندئذ قامت

---

(1) بول كارل - نفس المرجع ص 134.

قوة طبرق بخرق الحصار الألمانى وحققت الاتصال مع القوات الإنكليزية الهاجمة فاتخذ روميل قرارًا سريعًا بقطع اشتباكات قواته فى الشرق والشمال الشرقى (ضد الفيلق 13) لإعادة السيطرة على الموقف الحرج فى قاطع طبرق. فهاجم الجناح الشرقى من القوات الإنكليزية التى خرجت من طبرق فى موقع اتصالها بالفيلق 30 وكانت هناك فرقة نيوزيلندية أطبقت عليها القوات الألمانية من ثلاث جهات وإبادتها، وعندئذ لم تبق لدى الإنكليز قوات كافية خارج منطقة الحصار للالتفاف حول قوات الفيلق الإفريقى الألمانى وإبادتها أو حتى شن هجوم مقابل آخر ضدها. فلجأ القائد الإنكليزى الفريق ريتشى إلى إعادة تنظيم قواته استعدادًا لشن هجوم جديد وفى هذه الفترة حاول روميل إعادة الاتصال مع القوات الألمانية والإيطالية الواهنة المطوقة التى كانت تستر جبهة السلوم - البردية وتحريرها لكن محاولته هذه لم تنجح فتحول القائد الألمانى لضرب الفيلق 30 الذى سبق له أن أوقع به خسائر كبيرة. لكن قوة روميل لم تكن هى الأخرى كافية لتنفيذ قراره هذا والاستمرار على محاصرة طبرق وعليه فقد آثر سحب تشكيلاته السريعة باتجاه الجنوب لكى يضرب القوات الإنكليزية الباقية هناك من جناحها الغربى بعد أن أصبحت فرقة آريتى المدرعة الإيطالية غير قادرة على مواصلة القتال[1].

عزيزتى لو		27 نوفمبر 1941

استمرت المعركة فى الصحراء حول طبرق وأمام السلوم بقسوة منذ يوم 19 وبالطبع قد سمعت بعض ما يدور هنا من بلاغاتنا. وأظن أننا قد مررنا بأسوأ لحظاتها وأن هذه المعركة ستكون ذات أهمية حاسمة للموقف الحربى كله.

---

(1) فاروق الحريرى - المرجع السابق، ص 134.

وأنا بحالة جيدة للغاية، وقد أمضيت الأربعة أيام السابقة في هجوم مضاد في الصحراء بدون ماء لأغتسل به، وقد أحرزنا نجاحًا باهرًا.

واليوم هو عيد زواجنا الخامس والعشرين، وربما أعلنوه في بلاغ خاص. ويجب ألا أقول لك كيف أمضينا حياتنا في هناء وسعادة ولكن أريد أن أشكرك على كل الحب والحنان عبر السنين التي مرت بهذه السرعة. وأنا أفكر (وكلي أمل) في ابننا الذي أعتبره مصدرًا لفخري العظيم. وأظن أن بمواهبه الرائعة سيصبح رجلا له شأنه.

سلامي - فتحركنا التالي قد بدأ بالفعل.

كان رومل قد أمضى ليل 28 نوفمبر في الصحراء، مثل لياليه السابقة، وهو يتابع تحرك فرقة البانزر 21 على الطريق الساحلي - نحو غامبوت - ثم جنوبًا حتى الزعفران، وكذلك تحرك فرقة البانزر 15 نحو سيدي رزق. وحدد رومل لقيادة الفيلق الأفريقي موقعه بجوار (غامبوت)، وتوجهت قيادة الفيلق للبحث عن رومل، وأمضت ليلة مضينة، ثم شاهدت عربة نقل جند إنكليزية تتقدم بحذر. وكانت مفاجأة لقيادة الفيلق، فقد هبط رومل ورئيس هيئة أركانه وقد استطال شعر لحيتهما، وغطاهما الغبار، وقد استنزف السهر قدرتهما. ولم يكن في عربة النقل سوى كومة من القش استخدمها رومل فراشًا للنوم مع خزان للمياه، وقد أصبح فارغًا مع بعض المعلبات - الكونسروة - التي تم الحصول عليها من مخازن التموين البريطانية.

وما إن وجد رومل عربة القيادة اللاسلكي حتى أصدر أمره بحشد كل القوات المتوافرة لتطويق النيوزيلنديين ومنعهم من الوصول إلى طبرق[1].

(1) بسام العسيلي - المرجع السابق، ص156.

يقول فريتز باير لاين:

وفى يوم 28 نوفمبر كانت الفرقة 21 بانزر تتسابق مع الريح على جانبى الطريق الساحلى إلى جمبوت لتصل إلى المنطقة جنوبى زعفران، بينما تحركت الفرقة 15 بانزر على مدق كـابتزو وكانت أجنابها مـهددة باستمـرار بالقوات المعادية الخفيفة الحركة. وبعد أن شقت الفرقة طريقها قتالا عبر الهضبة وجدت نفسها مرة أخرى عند حلول المساء فى أرض معاركها القديمة فى سيدى رزق.

وأرسل روميل إشارة لاسلكية يستـدعى فيها قائد فيلق إفريقـيا إلى مقر القيادة الأمـامى لمجموعة البـانزر الموجودة بالقرب من جمـبوت. وبعد بحث استغرق وقتًا طويلا فى الظلام عثروا فى النهاية على لورى بريطانى، فاقتربت منه عربة قـيادة الجنرال كروويل بحـذر شديد. ولكن لحـسن الحظ لم يجدوا بداخله قوات بريطانية وإنما وجدوا روميل ورئيس أركانه وكان كلاهما بذقن لم تمسها مـوس لمدة طويلة علاوة على الإرهاق الشديد لعـدم النوم وكان التراب يغمرهما، وفى داخل هذه الـعربة وجد كوما من القش كسرير وصـفيحة من الماء للشرب وعدة علب تعـيينات كطعام. وبالقرب منهما كـان يوجد سيارتين للإشارة وعدد من العـدائين. وهناك أصدر له روميل تعليماته لعـمليات اليوم التالى.

وكانت الخطة تتضمـن محاصرة الفرقة النيوزيلندية التـى اتصلت بحامية طبـرق، وذلك بقفل حلقـة الحصـار حول طبـرق مرة أخـرى. وحشـد كل إمكانياته من التشكيلات لهذه العـملية وركز كل ثقله فى الهجوم على الجناح الغربى لمنع النيوزيلنديين من الانسحاب داخل طبرق.

عزيزتى لو　　　　　29 نوفمبر 1941

الظاهر أن المعركـة تتطور لصالحنا. وأظن أن الأمر سيـحسم اليوم. وأنا كبير الثقة بنفسى. آسف للسرعة التى أكتب بها.

وقامت الفرقة 21 بانزر بإقفال حلقة الحصار من الشرق التى كان يقودها الجنرال فون رافنشتين (الـذى وقع فى الأسر بواسطة النيوزيلنديين) وفى نفس الوقت دافعت الفرقـة عن نفسها من الجنوب أمـام الهجمات العنيـفة للعدو. وفى المساء تحركـت الفرقة 15 بانزر شمـالا واستولت على تبة الدودة المهـمة ولكنها فقدتها مرة أخرى أثناء الليل.

عزيزتى لو   30 نوفمبر 1941

لا تزال المعركة مستمرة وسـنحتاج لكل قواتنا لو كنا سنربحها. والأمل كبير ولكن القوات متعبـة للغاية(بعد أن استمرت تقاتل 12 يومًا). وأنا بحالة جيدة ونشط للغاية ومستعد لأى شىء. وقد أسر الإنجليز فون رافنشتين.

سلامى.

لم يمنح روءمل قواته الألمانـية - الإيطالية ما كـانت تحتاجـه من الراحة لالتقاط أنفاسها بعد ما نزل بها من العناء الشـديد، فقد كانت المعركة محتدمة على أبواب طبـرق، وكان لزامًـا زج القوى المـتوافـرة للتفـوق على الهجـوم البريطانى.

يقول فريتز بايرلاين[1]:

دفع العدو فى صبيحة يوم 30 نوفمبر بقوات مدرعة كبيرة ومعها حشود من المشاة وهاجم ستارتنا الجنوبية ولكن هجماته كانت غير منظمة ولا موحدة واسـتطعنا أن نصـدها على طول الخط. ولكن الفـرقـة 15 بانزر(بالرغم من محاولتهـا المتعددة) فشلت فى الاستيلاء على بلحامـد أو الاتصال بالفرقة 90 خفيفة، وكان هذا سيؤدى إلى عزل حامية طبرق من جديد.

(1) مذكرات روءمل، المرجع السابق ج2، ص137.

لم نتمكن من إغلاق حلقة الحصار مرة أخرى إلا فى اليوم التالى عندما قمنا بهجوم عنيف مركز بعد أن صددنا كل الهجمات القادمة من الجنوب والشرق ونتج عن هجومنا تدمير الجزء الأكبر من الفرقة النيوزيلندية.

وبذا أصبحت الحامية الإنجليزية فى طبرق معزولة مرة أخرى، ويضاف إلى هذا أن العدو تكبد خسائر بلغ من فداحتها أنه فكر فى الانسحاب من المعركة مؤقتًا، وعلمنا هذا من الإشارات اللاسلكية التى التقطتها أجهزة تصنتنا.

ولكن لم يكن فى مقدور رومل أن يسمح لقواته بالراحة (التى كانت تحتاجها للغاية)، لأن جبهته فى السلوم كانت تقاتل باستماته للدفاع عن نفسها ضد الهنود علاوة على أن خط إمدادها كان مهددًا باستمرار، كما أن البردية كانت فى موقف خطير للغاية، وعليه فأرسل مجموعتين قتال مختلطتين من فيلق إفريقيا على مدق كابتزو والطريق الساحلى لفتح طرق المواصلات. ثم وضع الجزء الأكبر من القوات الألمانية والإيطالية الميكانيكية جنوب شرق طبرق، ومن هناك يستطيع إعطائها فرصة للتدريب والراحة ويمكنه أيضا إرسالها بسرعة إما إلى الجبهة فى السلوم أو إلى الجنوب ضد القوة الأساسية الإنجليزية.

وأعادت تشكيلات العدو تنظيمها وحشدت قوتها على جانبى مدق العبد وكانت تغطيها ستارة عميقة من السيارات المدرعة على الخط الممتد من سيدى مفتاح إلى كابتزو.

وبما أن العدو كان موقفه أحسن من موقفنا بكثير من حيث الإمداد والتموين فقد كان من المتوقع أن يستأنف هجومه قريبًا. ولكن المعركة كانت

قد قربت من نهايتها مؤقتًا وأرسل الجيش تقريره إلى القيادة العليا، ويتضمن الآتى:

(أثناء القتال العنيف الذى استمر ما بين 18 نوفمبر وأول ديسمبر أمكن لنا تدمير 814 مركبة قتال مدرعة وسيارة مدرعة للعدو وأسقطنا 127 طائرة. ولا يمكن أن نقدر بعد الغنائم من الأسلحة والذخائر والحملات. ويزيد عدد الأسرى على 9000 من بينهم ثلاثة جنرالات).

ولم نعرف إلا فيما بعد أن العدو فى نفس الوقت غير قيادة الجيش الثامن. فقد حل الجنرال ريتشى محل الجنرال كاننجهام.

2 ديسمبر 1941

عزيزتى لو

. نجحنا بالأمس فى تدمير بقايا فرقة أو فرقتين إنجليزية أمام طبرق وهذا يسهل الموقف بعض الشئ، ولكن الإنجليز لا ينوون التخلى عن عنادهم، وعلى أى حال فنحن نقاتل تحت ظروف أحسن مما سبق وأظن أننا سننجح فى تحقيق آمالنا قطعًا.

لقد فشل هجوم مجموعتى قتالنا المختلطتين على البردية والسلوم. وفى يوم 4 ديسمبر علمت رئاسة الجيش بالصورة عن موقف العدو. فقد كان يحشد قوة جديدة حول بير الجوبى بغرض الالتفاف حول جبهتها والوصول إلى مؤخرتنا وبذا يتم حلقة الحصار حول طبرق تمامًا. وقرر أن يقاتل على الفور هذه القوة بكل إمكانياته قبل أن تكمل استعداداتها.

وكانت قواتنا قد أصبحت أضعف من أن تستمر فى الاحتفاظ بحلقة الحصار المستمرة حول طبرق، وأمر رومل بالاستعداد للتخلى عن الجزء

الشرقى من جبهة الحصار. وأثناء ليلة 5/4 ديسمبر تحرك فيلق إفريقيا غربًا عبر الممر ما بين الدودة وسيدى رزق (وعرضه ميلين فقط) إلى منطقة تجمعه فى العضم. وكان الهجوم على بير الجوبى سيتم بالتعاون مع الفيلق الإيطالى الميكانيكى الذى كان يتحرك مقتربًا من الشمال الشرقى ولكن الإيطاليين لم يتجمعوا وكانت حالتهم لا تسمح بالهجوم، لذلك أصبح على فيلق إفريقيا أن يهجم وحده، وقد قام بالهجوم بالفعل فى منتصف يوم 5 ديسمبر، وقد ارتطم بعد ذلك بلواءات الفرقة السابعة والتى استرجعت قواها.

وبالرغم من هذا فقد وصل الفيلق عند حلول الظلام إلى نقطة تبعد حوالى 10 أميال من بير الجوبى. وفى نفس الوقت قام الإنجليز بهجوم من داخل طبرق واستولوا على خط التباب الممتد من الدودة إلى بلحامد. ولهذا اضطررنا إلى التخلى عن الطريق الشرقى من جبهة الحصار حول طبرق.

وفى منتصف يوم 5 ديسمبر وصل ضابط من هيئة أركان حرب القيادة العليا الإيطالية(أوفده الدوتشى نفسه إلى رئاسة الجيش) وأخطرنا بعدم توقع أى نجدات أو تدعيم قبل أول يناير لأنهم لا يستطيعوا عمل أى شئ حتى هذا الحين، إلا تغطية أدنى حدود الاحتياطيات من التعيينات والذخيرة فقط. وبالطبع لم تساهم هذه المعلومات فى رفع روحنا المعنوية.

ويعلق ليدل هارت فيقول[1]:

(نجح أوكلنك فى هذا الوقت فى إرسال لواءين مشاة إضافيين وآليين سيارات مدرعة للجبهة، ويضاف إلى هذا أن الفرقة الأولى المدرعة قد وصلت لتوها من إنجلترا وتحركت لمنطقة قريبة من الحدود للقيام بتدريب عنيف على

(1) مذكرات رومل، المرجع السابق ج2، ص139.

حرب الصحراء، حتى يمكن استخدامها في دفع خطورة أى إغارة أخرى للبانزر).

ولكن طبرق عزلت في أول كانون أول مرة أخرى. ورغم ذلك وصل الجنرالان: ريتشى، وأوكنلك، إلى مدالينا حيث مقر القائد النيوزيلندى. وإذ أدركا بحق أن روميل قد تحطمت خطوطه، اعتزما مواصلة الهجوم عليه، وإرهاقه ما استطاعا إلى ذلك سبيلاً!

وقد حاول روميل محاولتين أخرتين: إحداهما: حين أراد أن يبلغ حامياته على الحدود. فأرسل رتلين مدرعين إلى الشرق، سار أحدهما على طول الطريق الساحلى إلى أن صده اللواء النيوزيلاندى، وسار على طول طريق كابوتزو، حتى انهزم أمام اللواء الهندى الخامس.

أما المحاولة الأخرى فكانت في صبيحة اليوم التالى أى في الرابع من ديسمبر، حيث شن روميل هجوماً عنيفًا على خطوط طبرق، وكانت تشد أزره في هذا الهجوم الهائل مدافع من عيار 88 مليمترًا. وتقدم روميل حتى غدا على مدى قريب جداً. وكاد أن ينجح في هجومه، ولو أنه واصل هجومه على طبرق في اليوم التالى لبلغ ما يهدف إليه، وخاصة بعد أن أحدث ثغرات عميقة في خطوطنا ومراكزنا. ولكن روميل أدرك في تلك الليلة أن الجيش الثامن على وشك أن يعاود هجومه ثانية فبدأ ينسحب!

على أن انسحاب روميل لم يكن هزيمة مطلقًا. فالدفاع العنيف الذى أظهره الإيطاليون في حصن الغوبى والذى أثار الدهشة، جاء دليلاً قويًا على أن روميل كان ينسحب ويقاتل في براعة وسهولة. فلقد كان الجيش الألمانى ينسحب تحت ستار كثيف من المدافع المضادة للدبابات، وكان روميل يقود الانسحاب بمهارة ومقدرة مدهشة[1]، وكان يقاوم كل محاولة للهجوم.

(1) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السابق، ص 125.

إحجام الإيطاليين عن القتال يحبط هجوم رومل:

وأخذ روميل يستعد ليسبق أوكنلك إلى الهجوم فأخلى القطاع الشرقى من محيط طبرق لتوفير القوات وكانت خطة رومل الأصلية توجيه الضربة إلى الأعداء بمعاونة الفيلق الإيطالى العشرين الخفيف، وكان على هذا الفيلق بموجب الخطة أن يتقدم من الشمال الشرقى، ولكن الإيطاليين لم يكونوا حشدوا قواتهم ولا استعدوا للهجوم، فبات الفيلق الألمانى، بعد أن تقدم غربا فى ليلة 4 - 5 ديسمبر من خلال ثغرة بلغ اتساعها 3 آلاف ياردة بين موقع الدودة وسيدى رزق، أن يتولى وحده توجيه الضربة، وذلك فى منتصف يوم 5 ديسمبر ولم يشترك مع الفيلق الألمانى من القوات الإيطالية فى هذا الهجوم إلا فرقة الشباب الفاشست القوية فى الشمال الغربى من بير الجوبى. وكان إحجام الإيطاليين عن الاشتراك فى القتال سببًا فى فشل هذا الهجوم، ولو أنهم ساعدوا القوات الألمانية لانقلب ميزان المعركة لصالح المحور. ولم يكن الألمان يريدون من الإيطاليين أن يقاتلوا، وإنما كان جل ما يريدون منهم أن يكونوا حاضرين فى الساحة فقط لتأمين جناحى القوات المهاجمة وأحكام حلقة الحصار على القوات البيريطانية. غير أن القادة الإيطاليين كانوا قد قرروا أن القتال قد أنهك رجالهم فلم يعد باستطاعتهم الاشتراك فى أية معركة، وكان جمودهم هذا سببًا رئيسيًا فى فشل خطة رومل.

وقد اصطدمت قوات الألمان المهاجمة في منتصف يوم 5 ديسمبر أولاً بلواء الحرس البيريطانى الثانى والعشرين ثم بالفرقة السابعة المدرعة التى أعيد تشكيلها، وظهرت معجزة التعزيزات والإمدادات البريطانية إذ ظهرت فى الميدان مرة أخرى الوحدات التى كان رومل يعتقد أنها سحقت بكاملها.

وفى هذه الأثناء قامت فرقة المشاة البريطانية السبعون بالخروج من طبرق وهاجمت القوات الألمانية - الإيطالية الضعيفة من الخلف، واستولت على النقاط الجنوبية بين موقعى الدودة وبلحامد. وبذلك تعرضت قوات رومل لضغط عنيف ووجد رومل أن على رجاله وضباطه أن يبذلوا مجهودًا فوق الطاقة لتجنب الخسارة(1).

وفى مساء يوم 5 ديسمبر أعاد رومل تقدير موقفه كما يلى: «لم يتكبد العدو أثناء هجوم فيلق أفريقيا فى بير الجوبى أى خسائر كبيرة وهذا يرجع أساسًا لغياب الفيلق الإيطالى عن هذه العملية، ومن المتوقع أن يقوى العدو تشكيلاته فى بير الجوبى ويدعمها بوحدات جديدة وبذا سيتمكن من الهجوم وتسانده عوامل تفوق خطيرة.

أما عن الأحداث فى طبرق فقد أثبت أن العدو لا يزال يتمتع هناك بروح معنوية عالية. وهذا يجعل تشكيلاته فى حالة استعداد دائم للقتال.

ومع كل هذا فهناك أمل كبير لكسب النصر الحاسم، وذلك بقيام كل القوات الألمانية والإيطالية المدرعة والميكانيكية بشن هجوم مركز ضد الإنجليز فى بير الجوبيى، إذا لم يؤدِ هذا الهجوم إلى تدمير جزء معقول من قوات العدو علاوة على أننا سنتكبد خسائر كبيرة فى الأفراد والعتاد، لذلك يجب أن ندخل فى اعتبارنا احتمال انسحابنا من المعركة والارتداد إلى مواقعنا فى الغزالة. وأخيرًا إخلاء برقة بالكامل».

وفى يوم 6 ديسمبر قام فيلق إفريقيا مرة أخرى بهذا الهجوم وحده. فقد قرر الإيطاليون أن قواتهم مرهقة وغير مستعدة للقتال. وانسحب العدو أمامنا

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 135.

ببطء نحو بير الجوبى ولكن لم يكن من الممكن تدمير أو حتى عزل أى جزء يذكر من قواته. بل قد أصبح هناك خطر من تطويق قواتنا من الجانبين بواسطة عدو متفوق. وبالرغم من هذا فقد استمر الهجوم يوم 7 ديسمبر، ومرة أخرى لم يحقق أى نجاح، وكانت خسائرنا فادحة.

ونظراً للتفوق العددى الكبير الذى كان يتمتع به العدو علاوة على حالة الإرهاق لأفراد جيشنا قرر رومل التخلى عن طبرق نهائيا مع القتال فى معركة انسحاب نحو مواقعه فى الغزالة. وكان قراره مؤلما لأن القوات الألمانية قاتلت بنجاح وكبدت العدو خسائر فادحة للغاية. ولكن البقاء أكثر من هذا فى طبرق كان سيؤدى إلى الدمار التدريجى لقواتنا التى ضعفت عن ذى قبل. وكان هذا يؤدى فى النهاية إلى ضياع ليبيا كلها.

«خطاب كتبه و. عريف جونثر مراسلة رومل».

6 ديسمبر 1941

عزيزتى السيدة رومل

لقد ذهب الجنرال فى صباح هذا اليوم مبكرا إلى مركز قيادته. وأمرنى أن أرسل لك بأحر مشاعره وتحياته وأبلغك أن الجنرال فى حالة صحية جيدة وكل شىء على ما يرام ويأخذ القتال الدائر كل وقت الجنرال بحيث لا يجد لمشاغله العادية أى وقت.

منذ حوالى أسبوعين تركنا مقرنا ومنذ هذا الحين ونحن فى تحرك مستمر واليوم استقر بنا مرة أخرى فى واد صغير لن تستطيع الطائرات العثور علينا بسهولة. فعرباتنا مموهة جيداً ولا يمكن تمييزها بأى حال عن الصحراء المحيطة بها. ولا تزال الدجاجتين فى حوزتنا ولا بد أن الجنرال قد أخبرك بأمرهما. وحتى هنا نستطيع أن نجد بعض النباتات الخضراء لغذائها.

ويعلق ليدل هارت:

«كان رومل قد تلقى عـددًا من الدجاج وطلب من جونثر بصفـة خاصة عدم ذبحها وقد صاحبت القيادة بعد ذلك كتميمة لجلب الحظ».

واليوم يعتبر يوما هادئ بالمقـرنة للأيام الماضية. ونحن بعيدين عن مدى مدفـعية الأعداء التـى اعتادت أن تقصـفنا وتسقط داناتها حـولنا ومن خلفنا، والشيء الجميل فى موقعنا الجديد أن المرء ينعم بالهدوء دون أن تصفر الدانات من حوله فى كل اتجاه. والآن أرجو أن تسمحى لى أن أنهى خطابى[1].

وأرجو لك كل خير وأرسل أحر تمنيات الجنرال لسيادتك ولابنك.

هربرت جونثر

واستمـرت المعركة فى يوم 6 ديسمبـر، فشدد الجنرال كروويـل هجومه على البريطانيين بالفرقتين الحادية والعشرين والخامسة عشرة، وظل يتوقع دون جدوى ظهـور فرقة آريتـى وفرقة تريسـتا الإيطاليـين فى ساحة القـتال. وإذ لاحت أمام عينيه الفرصة الأخيرة لإحكام الحصار حول القوات البريطانية أخذ يرسل البرقية تلو البرقية والإشارة تلو الإشارة إلى رومل وإلى الفيلق الإيطالى وقائده الجنرال «غامبـارا» مستجديا تارة ومتسائلا تارة أخـرى أين «غامبارا؟». ولكن لا ظهر غـامبارا ولا ظهـر فيلقه فى سـاحـة المعركة رغم سـيل الرسائل والبرقـيات. وتميز الضبـاط الألمان من الغضب لهذا الموقف حـتى إنه كان من الأفضل لأى ضابط إيطالى فى تلك اللحظات أن لا يقترب منهم!..

(1) مذكرات رومل، المرجع السابق ص142.

مقتل الجنرال سيلكو قائد الفرقة 15:

وفى اليوم التـالى لاحت بوادر الكارثة للألمان إذ أضحى روميل معـرضًا لخطر التطويق من الجناح بواسطة القوات البريطانية المتفوقة، وتوقفت الدبابات واحدة تلو الأخرى لخلوها من الوقود أو لاشتعال النار فيها أو لتدميرها تدميرًا كامـلاً وتوجت هذه الخسـائر بمقتل من ألمع الضبـاط فى حرب الصـحراء هو الجنرال نيومان سيـلكو قائد الفرقة الخامسة عـشرة المدرعة وهو واقف فى برج القيادة.

وكـان من عـادة الجنرال سـيلكو أن يقف دائمًـا فى برج دبابتـه يراقب المعركة فى خط القـتال الأول، وكان يحظى بمحبة رجاله واحتـرامهم الفائق، وجميعهم يروون القصة التى حدثت له قبـل مقتله ببضعة أيام. فقد كان على الفرقة الخامسة عشرة أن تستولى على أحد مستودعات التموين البريطانية المهمة فشقت طريقها نحو المستودع حتى باتت على بعد 200 ياردة منه. ولما ترجلت المشاة الميكانيكية وأخـذت تهاجم الموقع سائرة خلف الدبابات مبـاشرة وقعت تحت نيران حاميـة من مدفعية العدو المضادة للدبابات فـتفرق جنودها ويتوارى كل منهم خلف ساتر. وكان الجنرال سيلكو واقـفًا فى برج دبابة القيادة فناداه أحـد المشاة دون أن يـعرف أنه الجنرال أو يلاحـظ دبابة القيـادة: «أقـفل برج الدبابـة يا رجل بحـق الإله!». ولم يأبـه الجنرال للـنداء وذهب ظنـه إلى أن المنادى هو أحد المساعدين العـابثين، ولكن الرجل عاد ينادى على الجنرال من جديد وقد اضطر إلى الاستتار من نار العدو قرب الدبابة: «بحق المسيح أغلق البرج يا رجل وإلا فـسوف تقتل!». وما كـاد يتم كلمته حتى انفـجرت قنبلة قـرب مقـدمة الدبابـة اضطرت الرجل إلى أن يدفن نفـسه فى الأرض تفـاديًا

لشظاياها. وعندئذ صاح الجنرال سيلكو: «تحركوا خارج هذه الغلالة من النيران». فما كان من الرجل إلا أن خاطبه قائلاً: «أحسنت. يمكنك أن تقدم نفسك إليّ فيما بعد، وتشاركني في الغنيمة التي سنحصل عليها».

وهذا الرجل الذي كان يخاطب الجنرال هو العريف بوتاث، وكان معروفًا بمهارته في الحصول على الغنائم، بل كان عمله هو جمع الغنائم، وتحت تصرفه سرية خاصة لهذا الغرض. وكان هذا العريف عبقريًا في الاستيلاء على ما يريده ولديه حاسة خاصة في اختيار أفضل السيارات الجديدة المستولي عليها من العدو، وفي الاستيلاء على المخزون من المياه والأطعمة والوقود.

ولما استولى الألمان على الموقع الذي يهاجمونه وفيه مستودع المؤن البريطاني الكبير، كان بوناث من الأوائل الذين اقتحموه، فاستولى على أحسن سيارة خفيفة وجدها، وشحنها بأقصى السرعة بما حصل عليه من غنائم قبيل أن دوى نفير التجمع بعد المعركة. وفي هذه اللحظة بالذات وصل الجنرال سيلكو وطلب الملازم قائد السرية الأولى التي ينتمي إليها بوتاث، وقال له سمًا: «إن على أن أقدم نفسي إلى أحد رجالك الذين يجمعون الغنائم».

فأجابه الملازم: «لا شك أنه العريف بوناث». فنودي عليه أن يقدم نفسه على قائد السرية ولما ظهر بدا عليه الخوف وانتابته الشكوك كأي جندي يطلب أن يقدم نفسه إلى قائده. ولما شاهده الجنرال سيلكو عرفه فورًا، قال له: «يا عريف، أين الغنيمة التي وعدتني بها؟» فارتبك بوتاث وأخذ معتذرًا وكان على وشك القول بأنه لم يتبين الجنرال وهو في الدبابة حين قاطعه الجنرال قائلاً: «لا حاجة إلى الاعتذار، ولكن ما أريده هو الغنيمة التي وعدتني بها»

فأجاب العريف: «سأحضرها فوراً سيدى». وبعد فترة عاد بوتاث مع ثلاثة من رفاقه حاملين كمية من الشوكولاته والسجاير واللحوم المحفوظة. وأراد الجنرال أن يمازحهم فسألهم: "هل لديكم ما يكفيكم منها؟"، بدت على وجوه الرجال الدهشة إذ ليس فى العالم جندى مغفل إلى حد أن بطى قائده كل ما استولى عليه دون أن يحتفظ لنفسه بما يكفيه على الأقل. أدرك الجنرال سر دهشة الجنود، فمضى فى سبيله يحمل غنيمته وقد ارتسمت على محياه ابتسامة عريضه. ولكن لم يكتب له أن يستمتع بهذه الغنيمة إذ قتل بعد بضعة أيام كما أشرنا وهو واقف فى برج دبابته كعادته يراقب المعركة الدائرة فى يوم 7 كانون الأول. أما العريف بوتاث فقد قتل هو الآخر بعد ستة أشهر قريبًا، أى فى أول يونيو 1942، وهو يقود أحد المدافع الأوتوماتيكية[1].

فى 7 ديسمبر 1941 قرر الفريق رومل فك الحصار عن طبرق والاندفاع بقواته غربًا وفى هذه الأثناء كانت القوات الألمانية والإيطالية التى تشغل موضعًا بين السلوم والبردية قد تم تطويقها تمامًا واضطر الفريق رومل على التضحية بها لستر انسحاب القسم الأكبر من قواته فكلفها بمهمة الصمود وتعويق الإنجليز ومنعهم من استخدام الطريق الساحلى لأطول فترة ممكنة ولجأ لتموين هذه القطعات جواً.

كتب روميل إلى زوجته يوم 9 ديسمبر 1941

عزيزتى لو

أعتقد أنك عرفتى بالفعل أحوالنا من بلاغات القيادة العليا للجيش، فقد اضطررت لإيقاف الاشتباك خارج طبرق بسبب تخلف التشكيلات الإيطالية وأيضًا لإرهاق القوات الألمانية فقد أرسل كروويل (الذى كان يدرك أنه لا يمكن تدمير العدو بدون تعاون الإيطاليين) إشارة لاسلكية "أين جامبارا؟"

(1) بول كارل – المرجع السابق، ص 138.

ولكن جامبارا لم يظهـر فى ميدان المعركة. وقد أصبحت إشـارة كروويل فيما بعد نكتة فى أفريقيا.

وأنا أرجو أن ننجح فى الهـروب من محاولة العـدو لتطويقنا وأن ننجح أيضًا فى التشبث ببرقة. وأنا بحالة جيدة. وبالطبع يمكنك أن تتخيل ما أشعر به والمخاوف التى تنتابنى. ولا يبدو أننا سنحتفل بعيد الميلاد فى هذا العام فلم يبق عليه سوى أسبوعين.

خصص رومل وحدات قوية للدفاع عن النقاط الضعيفة، والمراكز الأكثر خطورة لحـماية خط القـوات الألمانية ـ الإيـطالية فى أجـدابية، ثم أخـذ فى سحب القوات حتى يحمى خطوط مواصلاته، وبدأ التراجع خطوة خطوة مع استمرار الاشتباكـات الضارية مع القوات الإنجليزية. ووصلت القوات الألمانية الإيطالية إلى خـط (الغزالة) يوم 12 ديسـمبـر. وأقلق هذا التـراجع القيـادة الإيطالية التى لم يكن لها رأى فيه، فأسرعت لإرسال الجنرال باستيكو، الذى قابل رومل عند منحدر إلى الجنـوب الغربى من عين غزالة، حيث مقـر قيادة رومل الجـديد. ودار حوار حـاد، إذ اقتـرح باستـيكو سحب فـرقة إيطاليـة وإرسالها إلى أجـدابية للدفاع عنها. فأجـاب رومل أنه لا يوافق على سحب ولو جندى إيطالى واحـد، وإلا فـإنه سيـضطر إلى سـحب القوات الألمانيـة بكاملها من برقة كلها. فاضطر باستيكو للنزول على إرادة رومل، وترك حرية العمل له.

الانسحاب من برقة:

وأثناء ليلة 7/ 8 ديسمبر تخلص فيلق إفريقيا والفيلق الميكانيكى الإيطالى من براثن العدو مع احـتفاظهمـا بالجبهة الغـربية لحلقة الحصـار حول طبرق.

وكانت عناصر من الفيلق 21 الإيطالى المشاة (غير محمل) والفرقة 90 خفيفة قد بدأت فى الوصول بالفعل إلى موقع الغزالة.

وكان الخطر الرئيسى أثناء انسحابنا ينحصر فى جناحنا الجنوبى لأن العدو يستطيع تطويقنا من الصحراء بدون أى صعوبة، وعليه فقد صار تكليف فيلق إفريقيا بتغطية جنب الجيش أثناء انسحابه. ولكن العدو لم يفكر فى القيام بمثل هذه العمليات الطموحة وإنما حدد عملياته بضربات ضد جبهتنا فأمكن صدها بالكامل.

وكانت جبهة السلوم التى أصبحت تبعد 120 ميلا عن القوة الأساسية ما تزال صامدة بالرغم من عدم وجود أى طريق اتصال أرضى يمكن تمويههم عبره.

وصار وضع قوة محدودة لحماية أضعف وأخطر نقطة فى الجانب الألمانى الإيطالى وهى عنق الزجاجة عند أجدابية حيث يمكن للعدو بسهولة قطع شريان الحياة عن جيش المحور بالكامل.

وانسحبت قواتنا ببطء مع دخولها فى عمليات منعزلة بلغت أحيانًا درجة كبيرة من الخطورة ولكنها وصلت بالكامل إلى خط الغزالة يوم 12 ديسمبر بدون أن ينجح العدو أثناء الانسحاب فى عزل أى جزء كبير من قواتنا أو إنزال خسائر كبيرة بصفوفها.

ولم يوافق القادة الإيطاليين على قرار روميل ولكن الشيء الذى يثير الاهتمام: السطور التالية التى كتبها روميل فى مذكراته:

زارنى (فخامة) باستيسكو فى خور يقع جنوب شرق عين الغزالة وقد اتخذت هذا المكان مقرًا لقيادتى فى 12 ديسمبر . وكان متضايقًا للغاية من

الأسلوب الذى أدرت به المعركـة وكان قلقًا أيضًـا بسبب منطقة أجـدابية لأنه يرغب فى نقل فرقـة إيطالية إليهـا فى أقرب فرصة ممكنة. وأدى هذا لمناقـشة عاصفـة وأثناؤها قلت له ضمن كلام آخر، أننى لن أقـبل بأى حال أن تؤخذ منى إحدى فـرقى الإيطالية ثم يعـاد توجيـهها بواسطتكم وسـأضطر فى هذه الحالة للانسحاب عبر برقة بالقوات الألمانية وحدها تاركا الإيطاليين لمصيرهم.

وأضفت أننى مـتأكد تمامًا أننـا من جانبنا نـستطيع أن نشق طريقنا قـتالا ولكن الإيطاليـين لن يستطيـعوا القـيام بمثل هذا الانسـحاب بدون معـونتنا؛ وباختـصار فـأنا لن أقبل انتزاع أى جـندى إيطالى من تحت قيـادتى. وبعدها أصبح (فخامة) باستيكو أكثر لينا.

12 ديسمبر 1941

عزيزتى لو

لا تقلقى بسبـبى . فكل شيء سيـصبح على خيـر ما يرام . ونحن لم نجتاز الأزمة بعد ـ وأظن أن الحال سيـستمر أسبوعين آخرين . ولكنى ما زلت آمل فى الصمود هنا. وأنا أيش الآن فى منزل نظيف وكامل به قبو (يستخدم كمـخبـأ) وأمضى كل وقـتى هذه الأيام مع قواتى. عـيد ميـلاد سعـيد لك ولمانفريد وأرجو أن أراكما قريبًا.

وفى 13 ديسمـبر قامت مشـاة العدو بهجـوم قوى واخترقـوا الفيلق 20 الإيطالى الميكانيكى ووصلت قوات استطلاع العدو إلـى بير تمراد (وراء جبهتنا باثنى عشر ميلا).

13 ديسمبر 1941

عزيزتى لو

لقد تأزم الموقف للغاية بسبب تخلف التشكيل الإيطالى الكبير عن الهجوم ومع هذا فأنا آمل أن أتمكن من المحافظة على الموقف وغير هذا فأنا بخير وأنا موجود حاليًا فى مقر ثابت.

وفى نفس الوقت تحركت مدرعات العدو «اللواء الرابع المدرع» لتلتف عبر الصحراء حول مواقع فيلق إفريقيا . ولكننا أوقفنا مؤقتًا اختراق العدو بهجوم مضاد ناجح، ولكن العدو كان على درجة كبيرة من التفوق سمحت له بتجديد هجومه وإتمام الاختراق، علاوة على ذلك كان هناك خطرٌ داهمٌ من انطلاق مدرعات العدو عبر الصحراء إلى مفارق الطرق عند المخيلى حيث تستطيع إيقاف إمدادنا وقطع خطوط انسحابنا عبر برقة. ولم يكن هناك أى فائدة من محاولة تغطية ضعف قوة جيش المحور، لأن رومل أرسل تقريره إلى القيادة العليا ويتضمن الآتى:

«بعد أربعة أسابيع من القتال المتواصل العنيف ظهرت معالم الإرهاق على قواتى (بالرغم من الأعمال البطولية الفردية) علاوة على عدم وصول أى إمدادات من السلاح والذخيرة وبالرغم من كل هذا فإن جيش المحور قرر المحافظة على سيطرته على منطقة الغزالة حتى يوم 16 ديسمبر إلا أن الانسحاب عبر خطوط المخيلى ودرنة لا يمكن تفاديه.

وآخر وقت يمكن لنا الصمود فيه هو ليلة 16 وذلك إذا أردنا أن نتفادى التطويق والإبادة بواسطة عدو متفوق»[1].

---

(1) مذكرات رومل، المرجع السابق ص145.

اندفع روميل بالقسم الأكبر من قواته نحو موضع الغزالة فكبد الإنكليز خسائر فادحة بمعارك سيارة استمرت حتى 16 ديسمبر 1941 إلا أنه اضطر تحت وطأة خطر تطويق قواته على التخلص والانسحاب بقفزة واسعة إلى موضع أجدابية وذلك عندما قام البريطانيون بزج اللواء المدرع الرابع للالتفاف عبر الصحراء من يسار جناح الفيلق الأفريقى. ولكن الفيلق الأفريقى قام بهجوم مضاد، وأوقف الهجوم البريطانى الذى كان هدفه الوصول إلى المخيلة وقطع طريق إمداد القوات الألمانية، والسيطرة على طريق تراجعها وانسحابها. وقد نجح الفيلق الأفريقى بإبادة القسم الأكبر من لواء الحرس البريطانى، وأخذ 800 أسير منه فى مقدمتهم قائد اللواء ذاته، مع تدمير عدد كبير من المدافع و20 دبابة، وبالاستيلاء على 150 مركبة قتال.

وبالرغم من ذلك فقد اتخذ روميل قراره بسحب قواته من برقة، ورفع تقريراً إلى القيادة العليا يوم 15 / 12 / 1941 جاء فيه:

«استمر القتال دونما انقطاع طوال الأسابيع الأربعة الماضية، ودفعت القوات ثمناً غالياً فى هذا القتال، ورافق ذلك انتصارات فردية رائعة. إلا أن القدرة القتالية قد أخذت فى التدهور. وبالإضافة إلى ذلك، فقد توقفت كافة الإمدادات بالأسلحة والذخائر. وتنوى قيادة الجيش ـ الأفريقى ـ الإمساك بالمنطقة المحيطة بالغزالة خلال يوم 16/ 12/ 1941، على أن تقوم هذه القوات بالانسحاب فى ليل 16ـ17 إلى خط المخيلة ـ درنة، حتى لا تتعرض للتطويق والدمار فى مواجهة عدو متفوق».

وجن جنون القيادة الإيطالية العليا، والقيادة الألمانية العليا، فأرسلت القيادتان ممثليهما على عجل لمقابلة روميل. وتم هذا اللقاء فى الساعة 15.15 من يوم 17 / 12. وجرت محاولات لإقناع روميل بالعدول عن مخطط سحب

القــوات من برقة. وجـابه رومل الضــغوط كـعادتـه. وأدلى بحجـته: «إمـا الانسحاب من برقة وإنقاذ القوات، وإما البقاء فى برقة وتسليم القوات للدمار مع ما يتـبع ذلك من فراغ ليـبيا بـكاملها ـ حتى طرابلـس ـ من قوات تدافع عنها».

وتم سحب الفـيلق الأفريقى والفيلق الإيطالى المحـمول فى ليل 17ـ18 ديسمبر 1941.

وبذلك غضبت القـيادة العليا الإيطالية على رومل لكنه لم يأبه لغضـبها لأنه تمكن من المحافظة على قواته سليمة وأوصلها إلى موضع أجدابية وأشغل جناحه المهـدد بقوات احتلت موضع المخـيلى. وعندئذ عقبـه الإنجليز بمطاردة سريعـة وهاجموا جـبهة مـوضع أجدابية مع الالتـفاف حول جناحـه الشرقى المكشوف. إلا أن هجوم التـثبيت الجبهـوى قابله الألمان بالصمود والهـجمات المقابلة ثم أحبطوا هجوم الالتفاف بمعركـة ملاقاة قام بها الفيلق الأفريقى الذى أقام مصداً من أسلحة مقـاومة الدبابات والتف حول القوات الإنجليزية فكبدها أكثـر من مائة دبابة. فلما حـقق رومل هذا النجاح التعـبوى استغله بأشـغال موضع مرسى البريقة الأكثر ملائمة ضمن منطقة سرته.

انزعجت القيادة العليا الإيطالية لهذه الخطة وفى يوم 16 ديسـمبر الجنرال كاقليرو فى رئاسة الجيش وعقد عدة مؤتمرات مع رومل[1].

وكـتب رومل فى مذكـراته يقـول: «فى مقـابلتى سـعت (15.15) مع الجنرال كافليرو قررت نظراً للظروف والموقف الناجم أنه لا يوجد أمامى سوى حلا واحدا وهو تفادى الاشـتباك وإيقافه جنوب عين الغـزالة وسحب القوات

(1) بسام العسيلى – المرجع السابق ص161.

أثناء الليل إلى المخيلى والتميمى. وكان العدو قد طوق بالفعل كل هذه الجبهة ولم يبق أمامنا من طرق الهروب سوى شريط ضيق عبر التميمى. ولم تكن القوات الإيطالية مستعدة لأى قتال ولم يعترض كافاليرو على كلامى فى هذا الحين. ولكنه ظهر مرة أخرى فى رئاستى سعت (2300) وفى هذه المرة كان يصاحبه الفيلد مارشال كسلرينج «وفخامة» باستيكو والجنرال جامبرا. وفى صوت أجش مشحون بالتأثر طلب إلغاء أوامر الانسحاب .ولم يدرك ضرورة هذا الانسحاب وعلى كل حال كان يخشى فقط انهيار موقف الدوتشى سياسيا لو فقدنا برقة، وسانده كسلرينج بقوة وقال أنه لا يمكن بأى حل أن يقبل التخلى عن مطار درنة. ولكننى صممت على موقفى وقلت أنه قد سبق السيف العزل ولم يعد بإمكانى تغيير قرارى فقد أصدرت الأوامر بالفعل وكانت محل التنفيذ فى بعض قطاعات الجبهة.

وحيث إننى لا أرغب فى تدمير مجموعة البانزر بأسرها فلم يكن أمامها سوى أن تشق طريقها قتالا فى هذه الليلة عبر خطوط الأعداء وكنت مدركا تماما أن هذا سيؤدى بالطبع إلى خسارتنا لبرقة وأنه قد ينجم عن هذا صعابا سياسية. ولكن مجال اختيارى كان لا يخرج عن أن أظل حيث كنت وبذا أضحى بمجموعة البانزر بكامل قوتها وبهذا تضيع برقة وطرابلس أيضًا أو أن أبدأ فى الانسحاب فى هذه الليلة وأشق طريقى قتالا عبر برقة إلى أجدابية وأدافع على الأقل عن طرابلس ولم يكن أمامى سوى أن أختار الحل الأخير وقد تصرف «فخامة» باستيكو وجامبارا بطريقة خارجة فى غرفتى هذه الليلة وبلغ العنف بهما لدرجة أننى اضطررت فى النهاية لسؤال باستيكو بصفته قائد عام فى شمال أفريقيا فكيف يتصرف لمواجهة مثل هذا الموقف؟». وتهرب باستيكو من هذا السؤال وقال أنه كقائد عام ليس هذا من شأنه وكل الذى

يمكن أن يقوله هو أنه يجب علينا أن نحـفظ بقواتنا معا. وأخيـراً غادر الوفد رئاستي بدون أن يحقق شيئًا»[1].

وفى مساء 16 ديسمبر بدأ فيلق أفريقيا والفيلق الإيطالى الميكانيكى تحت قيادة الجنرال كرooيل انسـحابهما عبر الحافة الجنوبية لجـبال برقة إلى الأبيارى بينما تحـركت التشكيلات الإيطالية المتـرجلة (مشاة فقط) انـسحابها عبـر برقة «على الطريق الساحلى».

الانسحاب من برقة يحفل بالحوادث المفجعة:

وفى التقرير الذى أرسله رومل فى 15 ديسمبر إلى القيادة العليا أعلن أنه لا مناص من الانســحاب عن طريق المخـيلى ودرنة فى ليلة 16ـ17 ديسمـبر، وذلك تفاديًا للتطويق والتدمير من جانب العدو المتفوق. ولذلك لم يعد هناك مجال لـلدفاع عن قطاع الغزالة بعد أن ضـعفت قوة القتـال لدى الجنود لعدم وصول الإمدادات والمعدات والذخائر وبعـد أربعة أسابيع من المعارك المتواصلة والخسـائر الفادحـة رغم الأعمال الفـردية البطولية. ولا بد من الـقول هنا أن استـيلاء الألمان على برقـة استغـرق ثمانية أشـهر من القـتال الدامى، ولذلك فالانسـحاب منها لا يصح أن يســجل كحادث عادى من حـوادث الحرب بل لابد من أن يدرس الأمر دراسة إستراتيجيـة يفيد منها الباحث العسكرى، ولا بد من أن نروى قصص تلك الأيام المفـجعة على ألسنة الرجال الـذين أجبروا على الانسحـاب على الطرق الترابيـة وهم يقاتلون كل يوم ويجتـازون خلال الليل المسـافات الطويلة تحت رحـمة العواصـف الرملية والحر الـلافح والبرد القارص، ويخوضـون فى أغلب الأحيان معارك مـتصلة لأيام طويلة مع ندرة الوقود والماء والطعام.

(1) مذكرات رومل، المرجع السابق ص148.

وكان طبيعيًا أن تلجأ القيادة إلى إعادة تنظيم بعض الوحدات وضم بعضها إلى البعض الآخر. فكتيبة المشاة الميكانيكية فى الفرقة الخامسة عشرة المدرعة مثلاً كانت قبل أسبوع تضم 480 رجلاً. ولما سأل الرائد كريبل أركان حرب العمليات رقم 1 فى الفرقة عن قوة الكتيبة بعد المعركة أجيب أنها تتكون فقط من 58 جنديًا و5 ضباط و14 صف ضابط و3 مدافع ذاتية الحركة و10 سيارات فولكس فاجن و5 سيارات نقل ثقيلة و6 دراجات نارية. ما كان من الرائد إلا أن تساءل: «هل هذا كل شىء؟» وكان جواب الملازم كوردل: «أجل يا سيدى هذا كل شىء». أما المفقودون فقد أسرهم العدو وهم يرقدون قتلى فى أجداثهم فى سيدى رزق أو فى السلوم أو فى الصحراء بين طبرق وسيدى عمر[1].

ونتابع ما حصل لكتيبة المشاة الميكانيكية فنقول: إن الأوامر صدرت بأن تقاوم السلوم حتى الفجر، وعلى هذه الكتيبة أن تعمل كحرس مؤخرة لتغطية الانسحاب وتحاول صد العدو بقدر الإمكان ثم تحاول الانسحاب إذا استطاعت إلى ذلك سبيلاً. وعندما عبر رجال الكتيبة السلوم - وهى تقع شرقى بنغازى - كان البريطانيون فى أعقابهم، ولكن كان لديهم الوقت الكافى قبل قيامهم بنسف المستودعات للحصول على ما يحتاجون إليه من مؤن ووقود وذخيرة. وتعالت أعمدة الدخان الكثيفة فى السماء حين نسفت المستودعات فالتهمت النيران مواد قيمتها بملايين الجنيهات.

وعلى طريق بالبو وقف الملازم كوردل والملازم دراير والملازم سيرفاس مع ما تبقى من الكتيبة وقرروا أن عليهم أن يفعلوا ما فعلوه بالأمس أى أن يحتفظوا بالسلوم حتى الفجر. وألقى كوردل يتحفظ قائلا: «هذا إذا لم يكن

(1) بول كارل - المرجع السابق، ص 140.

البريطانيـون قد احتلوها فـعلاً». وأرسلوا دورية استطلاع بعـد أن قاد الملازم سيرفاس الطابور المتألف من بعض المدافع الأتوماتيكية التى كان استولى عليها الألمان من البريطانيين وعربة ثقيلة فيها جنود المدافع الرشاشة ودراجتين ناريتين تابعتـين لرجال المراسلات. وبعـد عودة دورية الاسـتطلاع رفع العريف زوج تقريره الذى يفيـد بأن السلوم خالية من قوات العـدو. وكانت السرية 11 من فوج المشاة 361 قد اتخذت موقعًـا دفاعيًا فى السلوم، وتعمل معها كـمدفعية لها دبابة بانزر مـاركة 4 محطمـة الجنزير. وجاء فى تقـرير العريف روج أن رائحة صابون الحـلاقة تهب من ذلك المكان. ذلك أن رجال السـرية كانوا قد اكتشفوا فى بنغازى مستودعًا لم يدمر بعد مملوءًا بالصابون وأدوات الزينة فملأ الجنود منه حقائبـهم وحمل كل منهم ما يكاد يكفيه مدى الحـياة من الصابون وماء الكولونيا فـضلاً عن فراشى الأسنان، ثم اتخذوا مواقـعهم فى خنادقهم مسرورين بما استولوا عليه من الغنائم البريطانية.

اضطرت كتـيبة المشـاة الميكانيكية أن تبـتعد عن مكان هذه السـرية حين جاءها أمـر جديد بأن تؤمن منحدرات الجـبل الواقعة جـنوب غربى السلوم. وكان الجـبل فى السلوم يمتـد لأكثـر من عشرة أمـيال فى الصـحراء، وهناك مدقان ـ وفقًا للخرائط ـ يقـودان إلى أعلى المنحدر الوعر. وقبل الغسق بقليل دخلت كتيبة المشاة قرية السلوم فوجدت إحدى سرايا الفوج 361 مسيطرة على السهل أمام الجبل، فعهدت إليها بأن تعمل كقوات حرس للمؤخرة إذ لم يكن لديها وسائل نـقل وأرسل قائد السرية يعلن أن الجانب الآخـر من الجبل خال من الأعداء وعربات الاستطلاع والدبابات البـريطانية. على أن هذه المعلومات لم تكن دقـيقـة، ذلك أن الملازم سـيرفـاس الذى حـاول استكشـاف الطريق للوصـول إلى أعلى الجبل فـوجىء بعربـة استطلاع بريطانيـة آتية من الاتجـاه

المعاكس. وكان كل شيء يتوقف على من يبادر الآخر بإطلاق النار، فسارع سيرفاس إلى ذلك وتمكن من إغلاق الطريق على عربتين أخريين، ولكنه وجد نفسه مضطراً للعودة إذ رأى وحدة استطلاع بريطانية تشق طريقها صعداً إلى أعلى الجبل.

ولقد كانت كتيبة المشاة الميكانيكية محظوظة فيما عدا السرية الحادية عشرة التى سقط رجالها فى الأسر. وكان رجال الكتيبة بعد وصول البريطانيين إلى أعلى الجبل قد توقعوا ـ كما قال المساعد فريدريك ـ أن تسوء الأمور فى الصباح فيصبحوا هدفًا لهؤلاء البريطانيين فعمدوا إلى إخفاء عرباتهم فى منخفض من الأرض، وعينت نقطة ملاحظة أمامية على حافة الجبل وانتشر بقية الجنود على هيئة نصف دائرة. وأمرت السرية العاشرة بالانسحاب بالاتجاه إلى الشمال الغربى حتى تصل إلى طريق بالبو فتكون بذلك قد نجت[1].

واتجه الملازم كوردل إلى السلوم ليرى هل احتلت الكتيبة مواقعها وفى أثناء عودته ضل طريقه فى الظلام الدامس فالتقى بأعرابى قدم له على سبيل الهدية حملا صغيرا لا يزيد عمره على ساعتين، فحمله الملازم بين يديه قائلاً: أنه لا يستطع رفض الهدية. وقال له العريف سيجفريد بهرين: «لن يمكننا ذبح الحمل يا سيدى، وليس لدينا لبن نطعمه فسوف يموت، ولذلك عليك أن تعيده إلى صاحبه». فأجابه الملازم، لا تشغل بالك يا بهرين إلا بكيفية الخروج من هنا فى الصباح، فإذا خطرت لك أفكار نيرة فإننى أعدك بأن أعيد الحمل إلى صاحبه حيًا».

(1) بول كارل – المرجع السابق، ص 141.

وما كـادت أشعة الفـجر الأولى تظهـر فى الأفق حتى كان تقـرير نقطة الملاحظة الأمـاميـة قـد جاء يعلن أن البـريطانيـين يسـتعـدون، وأنهم أداروا محركات العربات. وكان على القوات الألمانية أن تحدد مـوقعها فتستغل ضوء الفجـر لإيهام العـدو بأن الخط الأمامى لهذه القـوات هو فى هذا المكان، ثم تنسحب فى وضح النهـار بعد تعطيل القوات البريطانيـة. ولما طلعت الشمس وأضاءت الجبل والمنطقة المحيطة به وتقدمت أولى سيارات الاستطلاع البريطانية ببطء إلى أسفل المنحدر تساءل الألمان إن لم يكن الملازم سـرفاس المختبىء مع مدافـعه الأتومـاتيكية فى منخـفض من الأرض قد رآهم، وتوقعـوا أن تطلق النيران فى أية لحظة، وبالفعل سرعان ما أطلق سـيرفاس مدافعه وسجل ثلاث إصابـات، ولما قفز الـبريطانيـون من عرباتهم قـابلهم سيل من نيـران المدافع الرشاشة دون أن يكتشفوا مواقع المدافع الألمانية، وأخذوا يطلقون مدافعهم من عيار الرطلين على الأرض المكشوفة. على أن القنابل البريطانية أخذت تتساقط على مـوقع الكتـيبـة، وتعـالت صيـحـات الجنود الألمان بالنداء على حـملة النقالات. ثم حاول الألمان مرة أخرى خداع البـريطانيين وإيهامهم بأن القوات التى تواجههم قوات قوية وذلك بأن جعلوا كل أسلحتهم تطلق دفعة واحدة ما لديهـا من الذخيـرة بالمعدل العـالى. ثم أوقـفوا إطلاق النيـران وقفـزوا إلى عـرباتهم وتحركـوا إلى الوراء، ثم عـادوا فـقفـزوا من عـرباتهم مرة أخـرى وانبطحوا أرضًا ليطلـقوا النيران من جديد، وأخذ الملازم سـرفاس يطلق نيرانه بجنون لأعلى الجبـل فحسب بل باتجـاه اليمين أيضًـا حيث ظهرت حـاملات الجنود البريطانيـة المدرعة وسيارات الاسـتطلاع بينما قفز باقى الجنـود وركبوا عرباتهم وقادوها بمنتهى السرعة باتجاه الشمال الغربى.

وكان على العـريف فوت أن ينتظر حـتى يصعد رجـاله إلى العربة، ثم يسرع ليـصل بهم إلى رأس الطابور، ولكن إحدى سـيارات الفـولكس فاجن

توقفت، وكان ذلك من سوء حظ هؤلاء الرجال إذ لم يعد أمامهم سوى الوقوع فى الأسر، وهذا هو عادة مصير قوات حرس المؤخرة.

أما الملازم سيرفاس فكان جباراً، شأنه فى كل المراحل. فقد سارع حتى بلغ طليعة الطابور المسرع ومعه مدافعه، ثم توقف وأخذ يطلق النيران لكى يعود بعدئذ بسرعة إلى السير. وهنأ الجميع أنفسهم بالنجاة وبحصولهم على هذه المدافع الأوتوماتيكية البريطانية المتفوقة. وفوجىء الطابور السائر بظهور خيام منصوبة أمامه وكانت خيامًا لأعراب مرتكزين على ركبهم شأن الجنود فى حرب البوير يطلقون النار على طائرات إيطالية جاثمة فى أحد مطارات الصحراء. ولما وصلت مقدمة الكتيبة إلى حيث الأعراب انبطح هؤلاء على الأرض، ولكن الملازم كوردل ورجاله لم يكونوا يريدون ولا لديهم الوقت الكافى لأن يشغلوا أنفسهم بهم، فواصلوا سيرهم يشقون طريقهم إلى المطار.

وهناك رأى الألمان مشهدًا عجبًا. فقد فوجئوا بجنود إيطاليين وقفوا رافعين أيديهم فوق رؤوسهم، إذ ظنوا أن الألمان القادمين بريطانيون. ولكنهم عندما شاهدوا الملازم سيرفاس يطلق نيران مدافعه الثلاثة على سيارات الاستطلاع البريطانية المدرعة ارتفعت معنوياتهم وسارعوا إلى دباباتهم الأربع ومدافعهم الثلاثة المضادة للطائرات، وفجأة ظهرت سريتان إيطاليتان أثارتا حماس جنودهما قتال الألمان فأخذوا يطلقون النيران بأقصى طاقتهم. وقد عرف بعدئذ أن عربات الاستطلاع البريطانية كانت قد ظهرت فى المطار قبل ساعتين فردها الإيطاليون على أعقابها، ولكنهم حين شاهدوا المشاة الميكانيكية الألمانية تتقدم وهم ظنوها بريطانية ففقدوا أعصابهم. أما الآن فعادت إليهم معنوياتهم فباتوا الأطفال فى غاية الابتهاج يتصايحون: «إلى الأمام، إلى الأمام» وقفزوا إلى سياراتهم ومعهم المدافع المضادة للطائرات وأخذوا يتراجعون إلى الوراء مع الألمان.

وعندما تقدم قائد الكتيبة بتقريره إلى المقدم بايرلاين أحنى هذا الأخير رأسه وقال له: «لقد كنت محظوظًا مرة أخرى» وقال الملازم سيرفاس: «ولكن بعد لدينا سوى تسع عربات صغيرة» فأجابه الملازم كوردل يقوله: «ولكن لدينا أيضًا ثلاثة مدافع مضادة للدبابات». فرد سيرفاس قائلا: «غير أن العدو يستولى عليها جميعًا».

هذا ولم يتح لأحد من هذا الثالوث أن يعود إلى وطنه، فالملازمان سيرفاس ودراير قتلا في معركة العلمين، بينما قتل كوردل في روسيا.

20 ديسمبر 1941

عزيزتى لو

نحن فى انسحاب ولم يكن هنا بكل بساطة أى تصرف آخر- أرجو أن ننجح فى الوصول إلى الخط الذى اخترناه. وأظن أن هذا سيفسد احتفال عيد الميلاد تماما. أنا بخير وقد توصلت أخيراً للاستحمام وتغيير ملابسى لأننى كنت فى الأسابيع الأخيرة أغلب الوقت أنام بردائى وقد وصلت بعض الإمدادات وهى أول ما نتلقاه منذ شهر أكتوبر وكل القادة الكبار مرضى. أى هؤلاء الذين لم يأسروا ولم يقتلوا.

22 ديسمبر 1941

انسحبنا نحو أجدابية. ولا يمكنك أن تتخيلى الموقف وأنا أرجو أن أنجح فى الوصول بأغلب قواتى عبر كل العوائق، وأصمد مرة أخرى فى أى مكان. والذخيرة شحيحة وكذلك الوقود ولا يوجد أى معونة من تشكيلاتنا الجوية وكل هذا بعكس موقف الأعداء ولكن كفانا كلاما فى هذا الموضوع. . .

23 ديسمبر 1941

إن العمليات اليوم تسير سيراً مرضيًا بقدر علمى حتى نهاية فترة الصباح، ويبدو أننا سننجح فى التخلص من التطويق والعودة بأغلب قواتنا. وستكون هذه هدية رائعة فى عيد الميلاد لو حققت ما آمل. وكم يمكن أن يصبح الإنسان متواضعًا فى آماله ! وليس هناك بالطبع ما يمكن أن ننتظره من القيادة العليا الإيطالية ولو كان الأمر بيدهم لاستسلموا للأعداء منذ وقت طويل ومعهم قواتهم بأكملها.

25 ديسمبر 1941

لقد فتحت مساء أمس هدية عيد الميلاد فى مقطورتى وسررت للغاية بخطابك وخطاب مانفريد والهدايا. وبعضها مثل زجاجة الشامبانيا أخذتها فوراً إلى عربة المخابرات حيث احتسيتها وبرفقتى رئيس أركان حرب ورئيس عملياتى ورئيس مخابراتى ومرت هذه الليلة فى هدوء.

وقد سببت لنا الفرق الإيطالية قلقًا شديداً فهناك أدلة مخجلة على انهيارها وتضطر القوات الألمانية لتتدخل لإنقاذها فى كل مكان. وقد خاب أمل الإنجليز فى بنى غازى فلم يتمكنوا من عزلنا وتطويقنا هناك، ولا يوجد أى وقود أو تعيينات. وقد رقى الجنرال كروويل إلى رتبة جنرال البانزو وهو يستحقها بالفعل. وأنا أذهب يوميًا إلى الجبهة لأعيد تجميع قواتى وتنظيمها. وأرجو أن ننجح بعد هذا فى الصمود .

ملحوظة: لا أظن أننى قد أخبرتك بعد أن شربيلر قد لقى مصرعه فى حادث أليم. (إذ مرت «الماموث» فوقه)[1].

(1) مذكرات رومل، المرجع السابق ص149.

وصول قافلة بحرية من إيطاليا تحمل الإمدادات لروميل:

وبحلول يوم 25 كان الارتداد إلى أجدابية قـد تم بدون أن يتمكن العدو من استغـلال فرصه واحدة من الفرص العديدة التى تهـيأت له ليطوق القوات الألمانية.

واحتلت القوات الألمانيـة والإيطالية الغير محملة خطًا دفـاعيًا أقيم على عجل على جانـبى المدينة، بينما احتل فيلق أفـريقيا والفيلق الإيطالى مـواقعا حول أجدابيـة للعمل فى الدفاع الخفـيف الحركة وكان هناك (انتـصارا) واحدًا كبيرًا يمكن تسجيله قبل نهاية الانسحاب.

ففى 19 ديسمبـر وصلت إلى بنى غازى قافلة بحرية من إيـطاليا تحمل سريتين بانزر وعـدة بطاريات مدفعية وإمـدادات وكانت هذه أول السفن التى تصل (منذ بداية هجوم الإنجليز فى منتصف نوفمبر) تحمل أسلحة، وكان جزء من هذه القـافلة قد غـرق أثناء الرحلة ولذلك فـقدنا سـريتـين بانزر وبطارية مدفعية. وما يزال السبب غامضًا لأن الإنجليز لم يسبقونا عبر الصحراء بالرغم من أن الأرض هناك كانت تسـمح بمرور جميع أنواع الحـملات، ومع هذا لم يتمكنوا من قطع خط الرجعة علينا عند النقطة الحرجة أى أجدابية.

ولحـسن الحظ أن هـذا الخطر الذى كـان يزعج رومـل طول الوقت لم يتحقق.

لقد عـاقت عمليـات المطاردة البريطانـية صعـوبة الموقف الإدارى لطول خطوط المواصـلات. ونتج عن هذا أن القـوات المطاردة لم تخـفض قـواتهـا فحـسب وإنما أخذت تقل تدريجيـا كلما طالت المسافـة وكان اللواء 22 مدرع الذى أعيـد تسليحـه يكون العنصر المدرع الأسـاسى فى المطاردة ولكنه توقف

مرتين بسبب العجز فى الوقـود ومن الواضح أن نظام إمداد رومل كان أفضل بكثير من حيث ملاءمته للعمليـات البعيدة المدى السريعة. ويؤكد أوكنلك هذا الكلام عندما يقول أن مرونة تنظيم رومل الإدارى ساعدته إلى حد كبير.

ومع هذا فلم يزال يهـددنا خطر التطويق فى أجـدابيـة بحركـة التفـاف واسعة النطاق عبر الصحراء والتى تعتبر من الناحية الإستراتيجية موقعا ضعيفا ولم يكن من الحكمـة أن نظل فى أجـدابيـة وقتـا طويلا وذلك لحـالة قـواتنا وخـاصة العناصـر الإيطاليـة علاوة على العـيوب التى تـعانى منهـا شئـوننا الإدارية. كان علينا الاكتفاء بالقتال فى عملية تعطيلية هناك ثم الانسحاب إلى مرسى البريقة بالقوة الرئيسية عندما يحين الوقت المناسب.

وقد أخطر رومل القيـادة العليا الإيطالية بهذا القـرار وبعد تفكير طويل اضطر هؤلاء على الموافقة وذلك بعد أن علمـوا أننا سنخسر كل شىء إذا بقينا فى أجدابيـة، أما إذا ارتددنا إلى مـرسى البريقـة فيمكن الدفـاع عن طرابلس بنجاح. ولكن وقت هذا لم يكن قد حان بعد.

وقد توقف الدفـاع فى أجدابيـة على فيلق أفريقـيا لأن الموقع نفـسه لا يمكن الدفاع عنه فى وجه هجـوم كبير، لذلك فالطريقة الوحـيدة للدفاع عنه كانت بالحركة الدائمة والهجمات المضادة.

وفى نفس الوقت تقـدم العدو واقتـرب جدًا من جبـهتنا وبذا أصـبحنا نتوقع هجومًا بالمواجهة بالإضافة إلى حركة التفاف نحو الجنوب فى الصحراء.

وفى 27 ديسمبر قام اللواء 22 المدرع البريطانى (الذى تم استكمال قوته وتسليـحه) هذا غيـر صحـيح. فقد وصلت قـوة اللواء إلى 130 دبابة ولكن تعطل عدد كبير منه أثناء التقدم الطويل من الغزالة عبر الصحراء. ثم خسر 65

دبابة فى المعركة التى تلت هذا التقدم بالتقدم عبر الحسيات بينما قامت قوات أخرى بشن هجوم بالمواجهة على أجدابية. وبعد قتال عنيف بين المدرعات استمر ثلاثة أيام تم تطويق العدو واضطر للقتال فى جبهة معكوسة وأخيراً أمكننا تطويقه من جميع الاتجاهات. وقد نجحت حوالى 30 دبابة من دباباته فى الإفلات شرقاً لأن العجز فى الوقود أثر على مدى نجاحنا.

تابعت القوات البريطانية ضغطها على القوات الألمانية الإيطالية أثناء انسحابها، وحدثت معارك واشتباكات عنيفة، وأدى ذلك إلى تدهور الموقف على جبهة الحلفايا - البردية، التى باتت على بعد 700 كم، حيث قامت القوات البريطانية يوم 30 ديسمبر بهجوم عنيف على البردية، مدعم بنيران المدفعية والطيران والبحرية. وقامت الحامية المدافعة عن البردية بخوض قتال بطولى، إلا أنها اضطرت للاستسلام يوم 2 يناير 1942. وتبع ذلك هجوم على الحلفايا، حيث كانت الحامية محرومة من المواد التموينية والمياه، ورغم ذلك فقد استمرت فى مقاومتها حتى 17 يناير وخشى القائد الإيطالى (دوجرجس) أن تستسلم قواته، فقادها بكفاءة عالية، وانسحبت بها. وكانت خسائر قوات رومل معادلة لخسائر البريطانيين، حيث تجاوزت 18 ألف قتيل، بالإضافة إلى 4 ألاف أسير ألمانى و10 آلاف أسير إيطالى، غير أن خسائر البريطانيين فى المدرعات كانت أكبر غير أن انسحاب القوات الألمانية - الإيطالية سمح للبريطانيين بإعادة تجميع مدرعاتهم وإصلاحها. فعادت خسائرهم معادلة - أو أنقص بقليل من الخسائر الألمانية - إذ خسر البريطانيون 278 دبابة مقابل 300 دبابة ألمانية وإيطالية[1].

(1) بسام العسيلى - المرجع السابق ص164.

يقول روميل:

وتحت تأثير هذه الهزيمة انسحبت نحو الشمال الشرقى عناصر من مجموعة المعاونة ولواء الحرس التى هاجمت مواقعنا قبل ذلك، وبذا زال الخطر المباشر على مواقعنا فى أجدابية، واستغل روميل فترة الركود هذه لإخلاء الموقع على الفور وانسحب على مراحل بدون أى ضغط من العدو إلى خط مرسى البريقة. وقد بدأ الانسحاب يوم 2 فبراير بتحرك المشاة الإيطالية، بينما انسحبت القوات الميكانيكية فى أخر لحظة، وبذلك تم احتلال كل القوات لمواقعها فى مرسى البريقة فى يوم 12 يناير.

وبينما كانت هذه العمليات الناجحة دائرية أخذ الموقف فى جبهة الحلفاية والبردية فى الانهيار، وبالرغم من الدفاع المستميت الحاميات التى أصبحت تبعد عن القوات الرئيسية 450 ميلا.

وفى 30 ديسمبر شن العدو هجوما عنيفا على البردية يعاونه مدفعية قوية والطيران والبحرية ونجح فى اختراق مواقعنا على جبهة واسعة وبعمق مما أدى إلى سقوط آخر مخازن التعيين والذخيرة فى أيدى الأعداء ولذلك قام القائد (بعد حصوله على موافقة الجيش) بطلب شروط الاستسلام.

وأخيراً استسلمت المدفعية يوم 2 يناير.

أما فى قطاع حلفاية فقد صمدت الحامية حتى يوم 17 يناير ولكنها اضطرت للاستسلام عندما نفذت منها كل التعيينات وانعزلت عن آخر مورد للمياه. وقد أظهر القائد الإيطالى الجنرال دى جورجيس براعة ومهارة عظيمة فى قيادة هذه القوة (الألمانية والإيطالية) فى صراعها الذى استمر شهرين.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

«ونتج عن استسلام حاميات المحور على الحدود أن أصبحت خسارة روميل التى كانت مساوية لخسارة الإنجليز حتى هذا الحين (وكانت 18000 جندى) أكثر بكثير فى النهاية، فقد سقط فى الأسر فى البردية والسلوم والحلفاية حوالى و14.000 من الإيطاليين.

وقد تكبد الإنجليز خسائر فادحة فى المعركة فى الدبابات ولكن نتيجة لانسحاب روميل استطاعوا استصلاح نسبة كبيرة منها بحيث أن خسارتهم النهائية أصبحت 278دبابة بينما وصلت خسارة روميل 300 دبابة «بما فيها الدبابات الإيطالية».

30 ديسمبر 1941

عزيزتى لو

لقد كان القتال عنيفا بالأمس والنتائج فى صالحنا وقد فشلت محاولتهم الجديدة فى تطويقنا وقد دفعنا فى اتجاه البحر.

لقد عدت إلى مقر قيادتى مرة أخرى. وسيحضر اليوم كسلرينج وجامبارا وسيسافر جاوزى بعدها إلى روما. وليست عندهم أى فكرة عن الصعاب الموجودة فى أفريقيا وهم يحضرون لمجرد الظهور بالعمل أو لعملية ترفيهية.

وقد سقط المطر مرة أخرى. والليالى باردة وعاصفة للغاية. وأنا فى حاله جيدة وأنام كلما سنحت لى الفرصة. وستفهمين بالطبع أنه لايمكن أن أغادر أفريقيا حالياً.

وسأختم كلامى الآن فعلىَّ أن أذهب لمقر قيادتى[1].

---

(1) مذكرات روميل، نفس المرجع ص153.

كيسيلرينغ: Kesserling . Albert ماريشال ألمانى (1960 - 1887) عين سنة 1936 قائدًا للأسطول الجوى. وهو الذى قاد عملية الغزو ضد بولونيا فى سنة 1939 وضد العرب عام 1940. عين فى نهاية عام 1941 قائدًا أعلى للقوات المسلحة فى الجنوب «منطقة البحر الأبيض المتوسط» ثم قاد عمليات القتال ضد الحلفاء فى شمال أفريقيا (تونس) و(مالطا). وتولى قيادات القوات فى جنوب إيطاليا أثناء غزو الحلفاء لها (سبتمبر 1943). ونقل فى 10 مارس 1945 من إيطاليا إلى ألمانيا للدفاع عن جبهة الغرب، ووقع فى أسر القوات البريطانية، حيث صدر الحكم عليه بالإعدام، غير أن هذا الحكم لم ينفذ؛ وأطلق سراحه عام 1952.

قوات رومل تقوم بمجهودات فوق مستوى البشر:

31 ديسمبر 1941

فى اليوم الأخير لهذا العام تجدى أن كل أفكارى معكما أنتما الاثنين أكثر من أى وقت آخر لأنكما تمثلان لى كل مقومات السعادة على الأرض.

وقد قامت قواتى بمجهودات تكاد تكون فوق مستوى البشر، والقتال فى الثلاثة أيام الأخيرة كلف العدو (الذى تعرض لهجومنا) حوالى 111 دبابة و23 سيارة مدرعة أما المجهودات التى أمكن بها تحقيق هذا النصر فإنها تفوق الوصف. وعلى أى حال فهى نهاية رائعة لعام 1941 وبداية تبشر بالأمل لعام 1942. وأنا بخير وقد تعود الديك والدجاجة على هذه الحياة البدوية وتعيش هذه الطيور حول العربة. وتجاوزى فيها النصف.

أطيب تمنياتى لكما لعام 1942

وكتب رومل رسالة يوم 10 يناير 1942 جاء فيها: إذ ليس لدينا أى إحساس بالوقت. تتطور العمليات فى الوقت الحاضر بحسب ما هو مخطط

لها. وقد أمكن خلق صعوبات كثيرة أمام تقدم العدو بفضل حقول الألغام وجهود سلاح الجو الألماني. لقد تعرضت للنقد والتجريح، ولم يكن ذلك مباغتًا بالنسبة لى أن أتعرض للنقد من قبل قادتنا - العاطلين عن العمل - إذ ليس هناك ما هو أسهل من النقد. وإنى أشعر بالرضى عما أنجزناه، فقد أمكن لنا سحب قواتنا إلى الخلف، مسافة 500 كم. وعملنا على احتلال مواقع جيدة،ولم نتعرض فى عملية الانسحاب لخسائر كبيرة؛ بالرغم من أن القسم الأكبر من القوات هو من المشاة غير الآلية. وانتقل الفليق الأفريقى اليوم إلى النسق الثانى - الاحتياط - وذلك للمرة الأولى منذ يوم 18 نوفمبر 1941. أصيب قائد الفليق - كرواويل - باليرقان الحاد، وهناك شك فى شفائه بصورة تامة. وبقيت أنا الوحيد بين القادة الألمان الذى عاش جميع هذه الأحداث منذ بدايتها وحتى نهايتها. الليالى هنا أصبحت باردة جدًا ورطبة. وألبس الثياب الصوفية قدر ما أستطيع ... أتجول منذ الصباح المبكر حتى وقت متأخر من الليل لأستيقن من سير الأمور بشكل جيد بين الوحدات. إنه أمر ضرورى.

10 يناير 1942

كل شىء يسير حتى الآن حسب الخطة. وبالرغم من كل ما حدث ربما تتحول الظروف إلى أحسن بعد مقابلة جاوزى للفوهرر بالأمس. وكنت أرغب فى بقائه فى روما ليمضى أسبوعين مع زوجته؛ لأنه كان مرهقًا للغاية بعد كل الذى مر به معى.

أما رئيس عملياتى (المقدم ويستفال) فهو يتحمل كل ما يحدث لنا فى وسط كل هذه المعارك بالرغم من إصابته بالصفراء وكسلرينج كان هنا بالأمس. ونحن نتلقى الإمدادات عبر البحر باستمرار. ويقوم كسلرينج بمجهود رائع فوق مالطة.

10 يناير 1942

آسف لأن خطابى بالأمس مـؤرخ بتاريخ 10 يناير أيضًا. فـالإنسان هنا يفقـد شعـوره بالزمن وتسير العـمليات حـسب الخطة. وقد عرقلـت ألغامنا وسلاحنا الجوى نشاط العدو أثناء المطاردة. وتصورى أننا عدنا بقواتنا للخلف إلى خط دفاعى مـتين على مسـافة 300 ميل بدون أن نتكبـد خسائر تسـتحق الذكر.

بالرغم من أن أغلب قـواتنا غـيـر مـحـمل !. وأننى أسـمع جنرالاتنا «العاطلين» يثرثرون طول الوقت وهذا لا يـدهشنى لأن النقد سهل ولا يكلف شيئاً. وسيتحرك فيلق أفريقيا ولأول مرة منذ 18 نوفمبر إلى الخط الثانى. وقد تعرض كروويل لإصابة شديدة بالصفراء وأشك أنه سيتحملها.

وفى القريب سأصبح أنا الضابط الألمانى الوحيد الذى حضر كل الحرب من أولها لآخرها. والليالى باردة ورطبة للغاية وأنا أغطى نفسى بأكبر قدر من البطاطين التى أستـطيع الحصول عليـها، ومعدتى بخـير. وجونشـر يقوم بكل مافى وسعة لكى أتناول طعامًا جيدًا. وأنا أتحرك من الصباح إلى المساء لأتأكد من أن كل شىء يسير فى طريقه السليم بالنسـبة للقوات. وهو شىء ضرورى للغاية.

أطيب تمنياتى لك ولابننا.

أما القوات الألمـانية والإيطالية التى كانت مطوقـة فى موضع السلوم - البردية فـقد كانت بقيـادة قائد إيطالى كفء هو اللواء جيورجـيس الذى قاتل بشجاعة فى البردية حتى 2 يناير 1942 عندما اختتمت تلك المعارك باستسلامها بعد أن أدت مهمتها.

وقد انجلت هذه الاشتبكات عن خسائر ليست هينة حيث بلغ عدد قتلى الأطراف المتقاتلة كما يلى:

13000 ألماني، 20000 إيطالى، 17700 إنجليـزى، كـما أسـر الإنجليـز 13800 إيطالى.

فى هذه الأثناء لاحظت القيادة العليا الألمانية فى وقت متأخر بأن السيادة البحـرية والجوية الإنجليزية فى منطقـة البحر الأبيض المتـوسط صارت تشكل خطراً جدياً على وجود الفليق الإفريقى الألمانى فقررت إرسال تشكيلات جوية قوية إلى جنوب إيطاليا وكان هذا قراراً صعـباً لأنها اضطرت على سحب مقر الأسطول الجوى 2 (الذى كان قائده المشير الطيار كيسلرنغ) من الجبهة الشرقية مع أجزاء من التشكيلات الجوية الألمانية العاملة فى روسيا.

وقد وصل المشيـر الطيار كيسلرنغ وتولـى المشير الطيار ألبرت كـيسلرنغ بعدئذ منصب القائد العام للقوات الألمانية المسلحة فى جبهة ايطاليا حتى انتهاء الحرب العالمية الثـانية. ووصل إلى إيطاليا فى 8 نوفمبر 1941 إلا أنه استغرق بضعة أسابيع من العمل الدائب لكى تكون قواته الجوية مؤثرة على سير القتال فى جبهة ليبيا.

كما أن الأسطول الألمانى تلقـى هو الآخر أوامر من قيادته العليـا لتعزيز وجوده فى البحر الأبيـض المتوسط بعد أن ثبت للألمان بأن الأسطول الإيطالى عاجز عن تحـقيق السيادة البـحرية على الإنجليز رغم التفـوق العددى الواضح للطليان.

فارتفع عدد السفن الحربية الألمانية التى تعمل فى البحر الأبيض المتوسط إلى 25 قطعة وعندئذ تم تحقيق التعاون بين القـوتين الجوية والبحرية الألمانيتين

لدرجة جعلت الكفة راجحة لصالح الألمان فى البحر والجو عندما تكبد الأسطول البريطانى خسائر فادحة بحيث لم تبق لدى الإنكليز فى البحر الأبيض المتوسط فى أواخر يناير 1941 سوى ثلاث مدمرات وبضع طرادات صالحة للخدمة فى ميناء الإسكندرية، لأن غواصة ألمانية أغرقت حاملة الطائرات البريطانية (أرك رويال) يوم 13 نفمبر 1941 فى غرب البحر الأبيض المتوسط. كما أغرق الألمان السفينة الحربية (برهم) يوم 25 تشرين الثانى 1941 قرب الساحل الإفريقى عندما كانت تسدى الإسناد النارى للقوات البرية الإنكليزية.

وفى 19 ديسمبر 1941 حققت غواصتان إيطاليتان صغيرتان طائفة كل منهما رجل واحد نجاحاً باهراً عندما تسللتا إلى ميناء الإسكندرية وأصابتا السفينتين الحربيتين (كوين إليزابيث) و(فاليانت) بإصابات بليغة بحيث اضطرتاهما على المكوث خارج المعارك البحرية طوال أشهر عديدة لغرض تصليح تلك الإصابات.

فى أواخر ديسمبر 1941 خرج تشكيل بحرى إنجليزى قوامة ثلاث مدمرات وأربع طرادات من ميناء الإسكندرية إلى طرابلس بقصد التصدى لقافلة بحرية ألمانية - إيطالية ولكن التشكيل الإنكليزى توغل فى حقل ألغام بحرية تم نصبه حديثًا ففقد مدمرة واحدة وطراد واحد.

هاجمت الطائرات الألمانية جزيرة مالطة بلا هوادة فقصفتها خلال الأيام الستة الأخيرة من شهر ديسمبر 1941 فقط 60 مرة، ثم قصفوها 263 مرة خلال شهر كانون الثانى 1942.

وكانت حصيلة هذه الفعاليات البحرية والجوية أن نجح الألمان فى استعادة السيطرة البحرية والجوية على البحر الأبيض المتوسط التى سبق أن

حاروها بعد انتصارهم المؤزر فى اليونان خلال العام المنصرم. واستطاعت القوافل الألمانية والإيطالية التنقل عبر البحر الأبيض المتوسط إلى طرابلس بأمان دون خطر يذكر.

عندئذ تحسن موقف القوات البرية الألمانية والإيطالية العاملة فى جبهة ليبيا بحيث أصبح بمقدور الفريق روميل اتخاذ قراره بشن تغرض جديد وجعل هدفه هذه المرة تسديد أشد ضربة ممكنة للقوات الإنجليزية قبل أن تتسنى لها إمكانية مواصلة التقدم[1].

كيف سقطت السلوم؟

ولابد من الحديث هنا عن سقوط السلوم وممر حلفاية. فقد كانت سرية الواجات العاشرة ومعها بقايا من السرية الثانية عشرة ورئاسة كتيبة الواحات الاحتياطية الثلاثمائة يقودها الرائد انكروس قد أحلت المواقع حول السلوم يوم 21 نوفمبر 1941 إبان الهجوم البريطانى الذى شنه أوكنلك. ولكن فى يوم 11 يناير لم يكن قد بقى من هذه القوات إلا سبعون رجلاً يحتلون هذه المواقع. وفى 10 ديسمبر أصدر الرائد انكروس أمره بتوزيع آخر التعيينات فكان هذا إيذانًا بقرب النهاية كما قال الجنود الذين هبطت روحهم المعنوية، وقد خص كل منهم بـ 20 غرامًا من الخبز وحفنة من الأرز وملء ملعقة من الفاكهة المجففة. وما أن حل اليوم التالى فى 11 ديسمبر حتى بدأ البريطانيون بالهجوم. ولكن الموقع بقى في يد الألمان الذين أطلقوا نيرانهم على المهاجمين بشدة حتى احمرت مواسير مدافعهم وتمكن رجال الإشارة من صد اختراق قوى للعدو بين المواقع المحصنة وقيادة الكتيبة وأسروا بعض المهاجمين. وتحدث الرائد انكروس فى تقريره عما حدث فى اليوم الثانى 12

(1) فاروق الحريرى - المرجع السابق، ص136.

ديسمبر فقال: انيين عادوا فأطلقوا غلالة كثيفة من النيران مركزين كل بطارياتهم ومدافعهم الهاون على مواقعنا حتى تحولت المنازل النيران مركزين كل بطارياتهم ومدافعهم وسويت بالأرض. وقد صددنا الهجمة الأولى وتبعتها هجمة ثانية ولم يبق فى مقر قيادة الكتيبة إلا طلقات الإشارة الكاشفة.

وبعد أن استنفد الرجال الذخيرة وأطلقوا آخر طلقة موجودة فى الموقع بعث انكروس أحد الأسرى يحمل علمًا أبيض إلى القوات البريطانية طلبًا للاستسلام. وأصدر أمره إلى نقط القوة الثلاث أن كم واستعدوا للتسليم». وكان الرجال جائعين وفى حالة إرهاق شديد بعد معارك دامت 56 يومًا بدون انقطاع، فلما اصطفوا بدوا مسودّى الوجوه من القذارة وملابسهم خرق مهلهلة، وشرع انكروس يخاطبهم بقوله: «أيها الرفاق» ولكنه لم يستطع أن يتابع خطابه بل هز رأسه بحزن واستدار فجأة كى لا يرى الجنود دموعه: لقد تراءى أمامه وجوه رجاله الذين قتلوا فى سبيل الاحتفاظ بالسلوم وها هى الآن تسقط بيد العدو!...[1].

معركة من أجل المياه:

أما فى ممر حلفاية، أو فى ممر الجحيم، بالقرب من الموقع الذى كانت تحتله قوة الرائد انكروس، فقد كان الرائد القسيس الألمانى «باخ» يسد مع رجاله الطريق الساحلى أمام البريطانيين. وكان القتال الدائر يوميًا فى هذه المنطقة هو القتال بالسلاح الأبيض. فما الذى حدث فى هذه النقطة التى تعتبر مفتاح الطريق إلى مصر، وكيف انسحب منها الألمان؟ لقد آثرت أن أسجل

(1) بول كارل - المرجع السابق، ص 145.

رواية هذه المعركة التى اكتسب فيها القائد القسيس باخ لقب «القائد الجهنمى» كما سمعتها مباشرة من الذين شهدوها، وها أنا أنقلها هنا دون أن أبدل منها حرفا واحدًا.

فقد قال لى أحد هؤلاء «حين سقطت بلدة السلوم السفلى بيد البريطانيين احتلوا آبار المياه، وأخذنا نعانى نحن نقصًا فيها حتى أن شفاهنا أخذت تتشقق، وباتت حلوقنا تشكو الجفاف. ولم يكن هناك بد من أن تقوم بعمل ما. فأصدر قائدنا باخ أمره بأن تقوم جماعة من جنود العاصفة بإعادة احتلال الآبار ولو لفترة قصيرة حتى يمكننا الحصول على المياه والعودة. وأعطيت الأوامر للملازم «اكهولز» من السرية الثانية بتوجيه جنود من الكومندوس للاستيلاء على الآبار واحتلال الموقع حتى يتم ملء عربات المياه والعودة. وقد جرى الهجوم فى الظلام الدامس ونجح «اكهولز» فى مباغتة البريطانيين، غير أن حادثًا مؤسفًا وقع أثناء المعركة إذ أطلقت الجماعتان الأماميتان المهاجمتان النار على بعضهما، وذهب ضحية هذا الخطأ أحد العرفاء، وكانت صيحة أحد الجرحى وهو ينادى على حملة النقالات بالألمانية هى التى لفتت النظر والى وقوع المأساة، وعادت القوة تحمل العريف القتيل وجريحًا آخر وعربة مملوءة بالماء. وفى هذه الغارة كاد الرقيب جنج يقتل. فقد صمم على أن يحصل على صحيفة مياه لضافية له ولزملائه، فنسى نفسه أثناء المعركة وسبقه الوقت. ولكن زميله براون تمكن بعد أن قطع مسافة على قدميه من أن ينقذه ويحمله على دراجته البخارية قبل شروق الشمس. وبقى جنج ملتصقًا بصحيفة المياه طوال النهار والليل. والحق أن مثل هذه الصحيفة كانت تعتبر أحسن هدية فى أيام عيد الميلاد فى ممر الجحيم .ولم ترسل بطاقات تهنئة بالعيد إلى الوطن ولا كانت هناك شجرة ميلاد بل قرأ لنا قائدنا القسيس

باخ آيات من الإنجيل. ولكن كان إلى جانب ذلك تعيين إضافي من المياه. ومحل أجراس العيد حلت طلقات المدافع البريطانية من عيار 25 رطلاً التى أخذت قذائفها تتساقط فوق حفرنا المنتشرة من الصخور كأنها الرعد.

«وكان رومل يحاول عبثًا تنظيم إمداد الموقع بالمياه والمؤن بواسطة الطائرات من كريت. ولكن طائرات القتال الليلية البريطانية أسقطت طائرات اليونكرز فى البحر فلم تعد تصلنا أية إمدادات...».

خدعة فى عملية الاستسلام:

وروى لى مقاتل آخر ما حدث فى ممر حلفاية فقال: «بعد محاولة البريطانيين الدامية للاستيلاء على ممر حلفاية وفشلهم فى ذلك قرروا تجويع هذا الموقع بحصاره لأنهم كانوا يعرفون تماما الأحوال السائدة فيه، وكانت النكتة التى يرددها رجال السرية الثالثة «أن كمية الطعام التى توزع على الجنود لا يمكن الإنسان أن يحتمل معها الحياة الا وهو مستلق على ظهره!» والحقيقة أن الحياة لم تكن تطاق مع التعيينات التى توزع علينا إلا بالرقاد طول النهار. لقد كانت تحفظ للرجل حياته ولكنها لم تكن كافية لتمنحه القوة على القتال. وكانت توزع فى الليل فتدب فينا الحياة مرة أخرى، وهى عبارة عن فنجانين من الحساء، وعلبة من اللحم المحفوظ ولكل ثلاثة رجال فى اليوم مقدار إبريق من القهوة التى صنعت بماء البحر.

ووصل بضع مئات من الجنود الإيطاليين التابعين لفرقة سافونا التى يقودها الجنرال دى جير وجيس، وذلك فى ليلة 15 يناير بعد أن تمكنوا من شق طريقهم من مواقعهم المحصنة غربى ممر حلفاية إلى موقع الرائد «باخ» فكونوا احتياطيا قويا للموقع، ولكنهم شكلوا عبئا ثقيلاً على التعيينات

الضـئيلة التى انتـهت بعد أسـبوع فكانـت نذيرًا بالنهاية. فـأرسل الرائد باخ النقيب فوت قائد السرية لمفاوضة قوات جنونى أفريقيا. وبعد انتهاء المفاوضات الأوليـة توجه الرائد باخ يرافـقـه الملازم شمـيدت من مـهندسى الفـيلق إلى البريـطانيين لتنظيم عـملية الاسـتسـلام ولـم يكن قادة قـوات جنوبى أفريقـيا متشددين فـتم الاتفاق بسرعة ويسر ووقع باخ شروط الاسـتسلام. لكنه حين غادر الخيمة أشـار مرافقه الملازم شميدت إلى سائق عربتـه إشارة خفية، ومن دون أن ينطق بشىء قام السـائق بتغـيير فكان العلم الأبيض فـنقله من جانب المقدمة الأيمـن للسيارة إلى جانبـها الأيسر ذلك أن الرائد باخ كان قـد احتاط للأمر مسـبقًا، فاتفق مع ضبـاطه على اللجوء إلى خدعة لتـدبر أمر الأسلحة والمعدات، وقبل توجـهه إلى المفاوضة أعطى أمـره بأن على أول حارس ألمانى يرى العربة وهى عائدة والعلم الأبيض مرفوع على جانبها الأيسر أن يبلغ قيادة الكتيبة بأن العلم الأبيض على الجانب الأيسر للعربة. وكانت هذه هى العلامة المتفق علـيها لتـدمير الـعربات والمدافع والمعدات فى كـل المواقع. أما إذا أدت المفاوضـات إلى فشل الاتفـاق على التسلـيم فإن العلم سـيبقى علـى الجانب الأيمن، ومعنى ذلك أن الأسلحة يجب إعدادها للإطلاق وتجهيزها للضرب.

وقد تضـمنت شروط التسليم أن علـى الرائد باخ أن لا يعطى أى أوامر لتدمـير الأسلحـة والمعدات. ولكن خـدعة الرائد باخ نجحت، وكـانت فكرة وضع العلم الأبيض على الجـانب الأيسر من العـربة فى طريق العـودة كافـية لإيذان بتدمير الأسلحة والمعدات دون إصـدار أوامر صريحة. وكان قادة قوات جنوبى أفريقيـا يطمعون فى الحصول على مـدفع من عيار 88 ملم سليما فلم تحقق آمالهم.

وعند شروق شمس اليوم السـابع عشر من يناير 1942 على ممر حلفاية انطلقت طلقـة واحدة، وأضاءت الأشـعة الأرجـوانية الزرقـاء الجبل فـتسلل الرجال المنهكون من حفـرهم وخنادقهم مترنحين وتجمـعوا فى المكان المعين.

وكانت هذه هى المرة الأولى منذ عدة أسابيع يتجمع فيها الرجال فى وضح النهار فتبادلوا التحيات وقد ظهرت على وجوههم آثار الجوع والعطش والقذارة فكانوا منهكين وكأن كلاً منهم أكبر من سنه الحقيقى[1].

قوات فرنسا الحرة تطلق النار على الأسرى:

وبالرغم من أن جنود جنوبى أفريقيا وصلوا إلى مكان التجمع وأخذوا يوزعون المياه والتعيينات ويعنون بالجرحى، فقد حدث حادث يعتبر وصمة عار فى تاريخ الحرب الأفريقية. ذلك أن قائد سرية قوات جنوبى أفريقيا ما كاد يصدر أوامره للأسرى بالسير حتى أطلقت عليهم النيران فجأة، وكانت هذه النيران موجهة بشكل خاص إلى موقع السرية الأولى بقيادة الملازم «مهرنج». وأصاب الجنود المستسلمون الذهول وسارعوا إلى التفرق طبقًا للتعليمات تفاديًا للنيران. وعلت وجه الرائد باخ صفرة الدهشة فتوقف مع الضابط البريطانى الذى أذهله الحادث هو أيضا، كما أن جنود جنوبى أفريقيا هم أيضا انبطحوا أرضًا تفاديا النيران. وبعد بضع دقائق توقف إطلاق النار ووصل عداء فهمس فى أذن الضابط البريطانى بضع كلمات، التفت هذا الضابط بعدها إلى الرائد باخ وقال له بواسطة المترجم: «لقد تجاهلت القوات الفرنسية الحرة اتفاق التسليم ورفضت تنفيذ الأوامر، فعمدت إلى إطلاق النار عليكم أثناء التسليم»! فاكتفى الرائد باخ بأخذ العلم ولم ينبس ببنت شفة! ثم اقتيد ورجاله إلى الأسر بكل هدوء. وكان الرائد باخ القسيس القادم من ما نهايم من أشجع المقاتلين فى إفريقيا، وكثيراً ما كان يردد المثل المشهور القائل: «من حارب ثم انسحب فإنما يعيش ليحارب من جديد يوماً ما».

---

(1) بول كارل - المرجع السابق، ص 148.

أما القيادة الالمانية فقـد أعلنت أن الرجال قاتلوا حتى آخر طلقة، مع أن الحقيقة كانت خلاف ذلك، إذا أن الذخيرة لم تكن تنقصهم، وإنما الذى كانوا يفتقرون إليه هو المؤن الغذائية خـصوصًا بعد أن انضم إليهم الجنود الإيطاليون التابعون لفرقة سافونا. فالجوع والعطش إذن هما اللذان أديا إلى الهزيمة[1].

معركة البحر وجنودها المجهولون:

ولقد كانت الإمدادات هى دائما نقطة الـضعف التى لم يوجد لها علاج فى حرب رومل فى الصحراء. وهذه الحقيقـة لا يشار إليها فى تقارير القوات المسلحة الألمانية. ومع ذلك فرجال البحرية التـجارية وضباطها كانوا فى سباق مع الموت حين كانوا يقـودون سفنهم إلى أفريقيـا. وكثير منهم لاقوا حـتفهم خلال هذه الرحلات.

يقول اللواء البريطانى إدموندز:

وفى الحادى عشـر من شهر يناير احتمى رومل فى مركـز بالغ الحصانة والمنعة عند العـقلية، حيث امتدت الـسلاسل الصخرية إلى الجنوب خـمسين ميلا، وحينئذ لم يبق لدى الجـيش الثامن شىء يستطيع به أن يخرج رومل من هذا المركز الحصين!

إن هؤلاء الذين يرقبـون الحرب فى قلق من بعيـد، لا يمكن أن يدركوا سر هذه التغيرات التى تعتـرى القتال، تلك الفرص التى تسنح خلاله؛ وكل ما يعرفـونه هو اليأس الذى يعتـريهم، وخيبـة الأمل التى تنتابهم، فإذا مـا جاء النصر وانهارت مقاومة رومل فى برقة، فإنهم لا يستطيعون أن يدركوا ولا أن يقدروا إصرار رومل ذى القلب الصلب، أو العزم الذى كـان سببًا للنجاح فى النهاية! وقد كتب العقيد كارفر من الفرقة السابعة المدرعة يقول:

(1) بول كارل - المرجع السابق، ص 149.

«وأمـا هؤلاء الذين ساهمـوا فى القـتال، فـسيـظل فى نفوسـهم ذلك الإحسـاس المرير، فهؤلاء الذين حـاربوا بالدبابات يلعنون من بعـثوا بهم إلى القتال بدبابات واهنة ضعيفة الدروع ينقصـها العتاد، فتهوى أمام دبابات العدو القوية. أما مشاتنا الذين كانوا يحملون مدافع مضادة للدبابات، ويحاولون بها حماية دباباتنا ضـد دبابات العدو، فإنهم ينظرون فى حسـرة حين يفشلون فى القيام بهذه المهمة».

وأسـتطيع من جانبى أن أضـيف إلى ذلك حـقيـقة أخـرى، ورغم أنى ذكـرتهـا فى تقـرير الجنرال أوكنلـك إلا أن أحدًا مـن الذين لم يحـاربوا فى الصحراء لا يستطيعون أن يدركوا إلى أى حد يمكن أن تؤدى الأشياء البسيطة التافـهة إلى الهزيمة فـى الحرب. فالذين أرسلوا جنودنا ليـقاتلوا، ثم أرسلوا إليهم صفائح مـن البترول سعة كل منها أربعة غـالونات، قد أدت إلى عرقلة كبيرة فى وسائل النقل.

ولطالما تسـاءل الجنود «ماذا نصنـع بالصفـحيـة المثقـوبة ما دام الخـزان ممتلـئًـا؟!» وكان جـواب الجنود الإنجليـز على مثل هذا الـتساؤل فى الـغالب قولهم «اقـذف بها إلى الطريق». فكم من مـلايين الغالونات ابتلـعتهـا رمال الصحراء!

وحتى بعـد أن عدت إلى الهند فـى بداية عام 1942، شاهدت مـعملا خارج مدينة القاهرة، مازال منهمكًا فـى إعادة صنع تلك الصفائح. وقد يعود ذلك الاهتمام بصـنع الصفائح إلى الإشاعة التى راجـت عن أن أحد موظفى وزارة التموين، وقـد طولب بتسليم بضعة ملايين من تلك الصـفائح، فأصر على أن ينفذ ذلك الأمر وإن تسلم الصفائح فعلًا!

وفى أثناء هذا الاضطراب وبتفوق فى عدد الجنود المسلحين تسليحا سيئًا، وبدبابات لا يعول عليها، وليس لدينا القدرة الكافية على إصلاحها، وبمدافع من عيار 25 رطلا أرغمنا على استخدامها، لعدم وجود مدافع مضادة للدبابات، لنقف فى وجه الدبابات الألمانية المدرعة، وبفرقة كاملة لم تدرب قط على الحرب فى الصحراء، وبقوة من الجنود تكبر قوة العدو، بكل ذلك تمكن الجيش الثامن من هزيمة رومل وإخراجه من برقة. ولو كانت لدى الجيش الثامن مائه دبابة شيرمان لحطم العدو، ولانتهت الحرب فى شمال أفريقيا. ولعل البقية الباقية من جنود الجيش الثامن لا يستطيعون أن يحملوا الرقم 8، ذلك أن الجيش الثامن لم يولد بحق، ولم يقفز إلى الوجود إلا فى 23 أكتوبر عام 1942، فى معركة العلمين، وعلى أى حال ففى استطاعتهم أن يفخروا بأنهم قد حاربوا تحت لوائه فى أيام من أعظم أيامه!.

وإذا كانت لرومل مواهب وصفات ممتازة كثيرة، فلا شك فى أن مرونته كانت من أعظم صفاته ومزاياه. فهو كتلك اللعبة التى يلهو بها الأطفال، لا تكاد تضغط عليها بيدك وتتركها، حتى تستوى واقفة من جديد.

ففى الحادى عشر من يناير عام 1942، كان رومل ما يزال يئن من جراحه عند العقيلة، وفى اليوم نفسه استولى جنود جنوب أفريقيا على السلوم، على مدى 300 ميل إلى الشرق. وفى 17 يناير استسلمت حامية حلفاية، بعد أن قطعت عنها إمدادات المياه، وبعد أن تضور أفرادها جوعًا. كما أخليت المعاقل الألمانية على الحدود بخسائر طفيفة، وقد تأكد الألمان من مصيرهم بعد أن شاهدوا رومل وقد بدأ ينسحب.

وحتى ذلك الوقت كان قد تحطم ثلث جنود المحور، وقد نجا ما يقرب من نصف من جنود «الفيلق الأفريقى» من الموت أو من الأسر أو من الإصابة

بجروح خطيرة أما الروح المعنوية للبقية من الفليق الأفريقى فلا يمكن أن يقال بأنها عالية جدًا، أما فيما يختص بالإيطاليين فإذا كانت لديهم أية روح معنوية فلا بد أنها قد هبطت إلى الصفر أثناء الارتداد الطويل من طبرق. فكثيرا ما تشتكى الإيطاليون من أن الألمان قد وضعوا أيديهم على كل وسائل النقل. ولقد سحب رومل الفرقتين المدرعتين أو ما تبقى منهما ليعيد تنظيمهما وليزودهما بالمعدات والعتاد. ومن دبابات رومل الأربعمائة تحطمت 386 دبابة، وبدت حطامها السوداء المحترقة متناثرة فى الصحراء، ومن طائرات رومل الألف أسقطت أو حطمت على الأرض 800 طائرة، ولم يكن يبدو ممكنًا تزويده بأسراب أخرى من الطائرات إلا بعد حين.

وكذلك كان يبدوا أن كل ما كان يأمل فيه رومل فى تلك الفترة، هو أن يقف عند العقيلة إلى أن يخرجه منها الجيش الثامن، أو يرغم على الانسحاب لنقص فى المؤن والإمدادات. كما أدرك الجنرال أوكنلك هو الآخر أنه لن يستطيع التغلب على المشاكل الإدارية، وأنه لن يتمكن من تركيز جنوده ليعاود الهجوم مرة أخرى إلا فى فترة غايتها شهر فبراير[1].

فخلف كل جندى يطلق رصاصة أو يقود دبابة أو يذهب فى مهمة فى قاذفة قنابل يقف صف طويل من الرجال المجهولين الذين بدونهم لا يمكن للجندى أن يطلق رصاصة واحدة أو يحرز أى نصر.

هؤلاء هم الرجال المجهولون الذين يشكلون الطوابير الطويلة خلف خطوط القتال ويحضرون الأسلحة والذخائر والوقود والإمدادات للجنود فى الجبهة. خلال الحرب العالمية الثانية ربحت معارك كثيرة نتيجة لوصول الإمدادات والمؤن فى الوقت المناسب كما خسرت معارك كثيرة أيضًا (وهذا

(1) إدموندز يونغ - المرجع السابق ص 128.

ينطبق على . . معارك الصحراء العربية) بسبب نقص المؤن والمعدات والوقود. ولذلك لا يستطيع أحد أن يذكر ثعالب الصحراء وما قاموا به من أعمال عظيمة دون أن يذكر السفن التجارية وقوافلها إلى الصحراء العربية، وكذلك طائرات النقل وكتائب التموين التى نقلت الإمدادات والمعدات. وقد خسر الألمان الحرب فى الصحراء العربية لأن القيادة العليا لم تنجح فى التغلب على مشكلة إيصال الإمدادات عبر البحر نظراً لعدم سيطرتها عليه، وعبر الصحراء نظراً لأنها مترامية الأطراف.

فهناك 350 ميلاً من البحر تفصل بين صقلية وطرابلس. وفى قاع البحر فقد عدد من الجنود مساو للعدد الذى مات ودفن فى الصحراء العربية، كما ترقد فى قاعه أيضًا كميات من التموين والإمدادات تعادل الكميات التى استخدمها الألمان والإيطاليون فى حرب الصحراء العربية وقد تزيد عليها، وكل هذا سببه أن البريطانيين سيطروا على البحر المتوسط. وكان لابد لأجل إحراز النصر فى الصحراء العربية من تحطيم القوة البحرية البريطانية وإخضاع جزيرة مالطة قاعدة هجوم البحرى والجوى على خطوط الإمداد الإيطالية والألمانية.

لقد كانت هذه هى المشكلة الرئيسية فى حرب الصحراء العربية. وقد حجبت انتصارات رومل الأولى السريعة هذه المشكلة إلا أنها سرعان ما ظهرت بكل قوتها فيما بعد. وقد عبر معظم الربع مليون جندى ألمانى الذين حاربوا فى الصحراء العربية وجزء من ثعالب الصحراء البحر من نابولى أو تورنتو. ولكن بعض الوحدات التى حاربت فى تونس نقلت جواً. والرحلة البحرية لا تستغرق أكثر من 48 ساعة ولكن الجنود كانوا خلالها تحت وطأة الخوف الدائم ويتساءلون: هل سينجحون فى العبور؟ هل سيقابلهم العدو أثناء

الرحلة؟ وكان الجنود عندما تدوى صفارات الإنذار فى تلك السفن لدى سماع صوت الطائرات البريطانية حاملة الطوربيدات يتجمعون وينبطحون بلا حول ولا قوة على ظهر السفن. وكل همهم أن تتمكن المدافع المضادة من طرد الطائرات المغيرة. وأحيانًا كانوا يسمعون أثناء لعبهم الورق أو أثناء أخذهم قسطًا من النوم انفجارًا عنيفًا وتسمع صرخة خلال السفينة بأن الطوربيد أصاب السفينة إصابة مباشرة وتأخذ السفينة فى الغرق. فيندفعون لإنقاذ حياتهم، فتصبح الأحوال سيئة للغاية. ولا يدرى الجنود ما يفعلون فهل يستطيعون النزول إلى الماء أم أنهم سوف يغرقون وسط الحطام والمعدات والأسلحة؟ كل هذه الأسئلة كانت تقض على الجنود المضاجع.

وفيما بين الثانى ومايو 1941 فقدت 11 سفينة إمداد ألمانية يبلغ مجموع حمولتها 42 ألف طن. وفى السادس عشر من نيسان لاقت نفس المصير إحدى القوافل الألمانية فقد هاجمتها البخرية البريطانية فى الساعة 2.20 صباحًا ولم تستغرق العملية قبل الفجر سوى نصف ساعة وغرقت فيها ثلاث سفن وهم أدانا وأيجينا وأيسترلون.

وأخذت إحدى السفن وهى السفينة أطنة تحترق بشدة وهى عائمة حتى الساعة الرابعة من صباح اليوم التالى، وفى نفس اليوم التالى، غرقت السفينة ساموس. وفى أول مايو 1941 حدثت ثلاث عمليات بحرية بين نابولى وطرابلس. وأغرقت السفينة لاريتسا بالألغام، وأغرقت زوارق الطوربيد البريطانية سفينة أخرى وهى أركتروس التابعة لخطوط «أرجو» الملاحية. وبعد ساعات قلائل لاقت سفينة حمولتها سبعة آلاف وثلثمائة طن نفس المصير وهى السفينة لفوكوسون التابعة لشركة هاباج. وبالرغم من كل هذا فقد صمدت البحرية الألمانية التجارية وقاومت بكل شجاعة.

وخـلال نوبة الملاحظة الثـانى توجه القـبطان مـوريس قبـطان السفـينة اركـوتوس إلى غرفـة القيـادة وراجع خط سـيرها وحـدق باحثًـا فى الأفق، وتحدث مع ضابط الاتصال الإيطالى قليلاً. وفجأة اهتزت السفينة هزة عنيفة، فلقد أصابها الطوربيد، وطارت المدافع المضادة للطائرات من شدة الانفجار إلا أن السفـينة لم تغـرق لتوها. وكان هنـاك وقت كاف لإنزال قوارب الـنجاة. وقامت السفن الأخرى فى القافلة بالتـقاط الجنود والبحارة وهكذا غرقت هذه السفـينة التى سبق لها أن قـامت برحلات عديدة بيـن نابولى وطرابلس. وقد أبحرت هذه السفينة متوسطة الحـجم من ميناء نابولى وخصص نصفها للجنود الإيطالين والنصف الآخر لرجال الفيلق الأفـريقى الألمانى. وكان هذا التقسيم ساريًا كذلك بالنسبة للسفن الإيطالية. وقد هاجمت القاذفات البريطانية القافلة لمدة ست ساعات. وحـبس الجنود أنفاسهم على ظهر السفـينة عندما سقطت القنابل على بعد ياردات من السفينة.

وعلى رصيف الميـناء فى نابولى كان كل شىء يبـدو سهلاً. فـقد وقف القـبطان على أحد الصناديق وخـاطبهم بأنه غـير مـسمـوح بالتدخـين على الأسطح العليا للسفـينة خلال الليل، وأنه غير مسمـوح إظهار أى ضوء لأى سبب كان وأن السفينة سـوف تبحر فى ظلام تام. وأنه يجب ألا يغادر أى فرد السفينة، وألا يقفـز أحد منهم إلى البحر فى حالة إصابتهـا مهما حدث. وأن الأمر بمغادرة السفينة سوف يصدر من القبطان الموجود فوق الكوبرى فى غرفة قيادة الباخـرة. وكان الكثير من الجنود لم ير البحر فـى حياته، ولا هو شاهد باخرة كـبيـرة قبل ذلك، والرحلـة بالنسبـة لهم مغـامرة مسلـية. إلا أن هذه المغامرة كانت تتحول إلى مأساة عندما يتأزم الموقف. وقد قال القبطان للجنود فى نابولى: «لا تقلقوا فسوف نعتنى بكم على ظهر السفينة وعلى السفـينة عدد

كبير من زوارق النجاة وأطواق النجاة. وقد حددت أماكن التجمع للنزول فى حالة إصابة الباخرة ومهما حدث فسوف يكون هناك دائمًا بحار ليعطى الأوامر. ولو قتل القبطان فسوف يأخذ مكانه الضابط الأول ثم الثانى ثم الثالث إذا احتاج الأمر، ولن تتركوا وحدكم». كان هذا ما قاله القبطان، لأن مطابخ البواخر الصغيرة لا تستطيع تقديم الطعام لستمائة رجل.

وأعلن الإنذار بالهجوم، وظهرت أولى الطائرات، فوقف القبطان على سطح غرفة اللاسلكى مرتديًا سروالاً أبيض وقميصًا كاكيًا وحزام النجاة، وخوذة من الصلب، ووقف بحيث يستطيع رؤية كل شىء. وتركزت عيون الجنود عليه. وأخذ يعلن التطورات قائلاً: «الطائرات تقترب من مقدمة السفينة، وهى تزداد اقترابًا» وقد نجا القبطان مرات عديدة من قذف الطائرات لباخرته، إلا أنه لم ينج هذه المرة إذ غرقت باخرته فى قاع البحر.

أما قائد النقل البحرى فى طرابلس القبطان مكسنر فقد وصل إلى رصيف الميناء ليستقبل قباطنة السفن الذين نجوا من الغرق. وكان القبطان موريس قبطان الباخرة اركوتوس عندما غرقت باخرته قد خلع حذاءه فى الماء حتى يستطيع السباحة بسهولة، ولكنه لم يجد فى طرابلس حذاء مناسبًا لكبر قدميه وظل لبضعة أيام فى أحد فنادق طرابلس الفاخرة يسير بدون حذاء[1].

كارثة عابرة المحيطات الإيطالية برمانيا:

أما عابرة المحيطات الإيطالية برمانيا فكانت راسية فى ميناء طرابلس وعليها شحنة من الذخائر. وكان الضابط الأول القبطان موريس هو المسئول عن تفريغ شحنة السفينة الخاصة بالقوات الألمانية. وفى الرابع من مايو زاره

(1) بول كارل - المرجع السابق، ص 153.

القبطان موريس وتركه بعد مشاركته فى كأس من الجين ولم يكد يبتعد 200 ياردة عن الباخرة حتى سمع انفجار كالرعد، واتخذ موريس ساترًا فى مبنى القيادة العسكرية للميناء. وتبع الانفجار الأول انفجار ثان وارتفعت سحب الدخان الأسود فوق الميناء . فما الذى حدث؟؟.

لقد انفجرت السفينة برمانيا كما انفجر بجوارها طراد إيطالى محمل بالوقود. وكان على ظهر برمانيا العديد من العمال العرب الألمان وكانوا يقومون بتفريغ السفينة وآخرون على الأرصفة. وكانت الخسائر فادحة. فقد قتل من الألمان 28 وجرح 38، أما الإيطاليون فقد قتل منهم 42 وجرح 50، وأما العمال العرب فقتل منهم 150 وجرح كثيرون.

وكانت الأرصفة بعد الانفجار تبدو كأنها تعرضت لغارة جوية عنيفة ولضرب بالقنابل الثقيلة، وارتفعت مقدمة السفينة برمانيا البالغ حمولتها عشرة آلاف طن على جانب رصيف الميناء نتيجة الانفجار. وقد نجا القبطان هيلز من رجال التفريغ من الموت بأعجوبة، إذ هبطت حوله مقدمة السفينة محدثة صوتًا كالرعد، فأغمى عليه ولما عاد إلى رشده وجد أن مقدمة السفينة قد حمته بأجنابها الفولاذية من الشظايا التى تناثرت حوله ووجد نفسه فى ملجأ من ألواح الصلب . أما زملاؤه الثلاثة فكانوا على بعد ياردات قليلة منه فقد قتلوا جميعًا.

ووصل الخبراء إلى مكان المأساة. وقرروا أن حمولة السفينة عبارة عن ذخائر ألمانية وتتكون من قنابل مضادة للأفراد من عيار 20 رطلاً، وكانت مربوطة كل عشرة منها بشريط من الصفيح، ومثبت بها مفجر واحد، ومعدة وجاهزة للعمل بعد مدة محددة من إسقاطها. وهى عادة من ثانية إلى ثلاث ثوان حيث ينصهر الشريط نتيجة لانفجار شحنة التفجير وبذلك تأخذ كل

قنبلة فى السقوط على حدة. وكان المفجر فى حزمة القنابل حساسًا للغاية لدرجة أن أى لمسة تجعل القنابل تنفجر فى الحال.

وكان هذا هو سر هذه الأسلحة الرهيبة وقد صممت لتستخدم ضد أفراد العدو أثناء سيرهم، وكذلك ضد الأهداف فى الأماكن المفتوحة وفى العراء. وهذه القنابل الصغيرة المضادة للأفراد قد أرسلت إلى الصحراء العربية لأول مرة.

وتم الاعتناء بحزم هذه القنابل وتعبئتها إلا أن السلطات لم تعن بتصنيع العبوات الصالحة لنقلها. فقد حزمت القنابل فى عبوات عادية فرقدت بجوار بعضها بدون أحكام. وعندما رفعت للشحن فى عنابر السفينة ارتخت أحزمة القنابل وأصبحت غير محكمة الربط. وانقلب بعضها رأسًا على عقب داخل الصناديق. ونتيجة لذلك فإن المفجر الذى كان مؤمنا بمسمار أمان صغير أصبح فى وضع العمل. وعند أقل هزة سوف تنفجر القنابل، وبما أن السفينة كانت تحمل قنابل ثقيلة أخرى، فإنه من السهل تصور ما قد يحدث من المستحيل الوصول إلى الأدلة التى كانت السبب فى الفاجعة، إلا أنه من المحتمل أن تكون إحدى هذه القنابل الصغيرة قد انفجرت عند إنزال إحدى الصناديق إلى الرصيف فسببت الكارثة. وكان النقيب أتو، المساعد الأيمن لرومل بالنسبة للإمداد والتموين والذى أصبح فيما بعد رئيسًا للإمداد والتموين، قد غادر السفينة قبل انفجارها بدقائق[1].

إنقاذ سفينتين إيطاليتين من حمولتهما المتفجرة:

وكان أتو والنقيب مكسنر المسئولين عن النقل البحرى مشغولين فى البحث عن أسباب الكارثة عندما وصلت إلى أسماعهما أخبار مقلقة. فقد

(1) بول كارل - نفس المرجع، ص 155.

وصلت سفينتان إيطاليتان إلى الميناء وعليهما شحنات من هذه القنابل الصغيرة.

وأصدر مكسنر تعليمات لهما بإنزال مراسيهما بمنتهى الحذر غير أن مشكلة كبرى واجهته فقد وصلت الأنباء إلى برلين وفقد المسئولون صوابهم.

وأصدر غورنغ أمره بإخراج السفينتين وإغراقهما فى البحر، حتى لا يتعرض الرجال للخطر بأى حال من الأحوال. وكان من السهل على غورنغ أن يصدر مثل هذا الأمر، إلا أن كل باخرة وكل شحنة كان لها تأثير مباشر على مصير رومل وجيشه فى شمال أفريقيا وأصبح مكسنر فى دوامة ميئوس منها. فهذا الرجل نادرًا ما ترى جنديًا قاتل فى أفريقيا لا يعرفه شخصيًا، ولم يكن بالرجل الذى ينفذ الأوامر بدون تمعن، ففى الحرب العالمية الأولى تطوع وأغرق مدمرة إيطالية. وهرب خمس مرات من معسكرات الاعتقال ثم أعيد القبض عليه فى كل مرة ليعاود محاولته من جديد، وفيما بين الحربين درس مكسنر القانون، واستدعى للخدمة من الاحتياط عام 1940 برتبة ملازم. وكان ممن اشتركوا فى وضع عملية «أسد البحر» وهى الخطة التى أعدت لغزو إنجلترا، وفيما بعد أرسل إلى طرابلس وأصبح أكثر من ضابط من المعاونين لرومل، لقد كان صديقًا له، ورغم أن صداقتهما بدأت بنزاع بينهما، فقد أوضح مكسنر بجلاء أنه يكن لرومل احترامًا عظيما لمقدرته الفائقة كجندى ورجل عسكرى إلا أنه طلب منه ألا يتدخل فى المسائل البحرية التى لا يعرف عنها شيئًا. وكان على مكسنر أن يوجد حلا وسطًا بين أوامر غونغ ورغبته الشخصية فى تفريغ الباخرتين دون خسائر فى الأرواح. وكان هناك شيء واحد مؤكد، فلو حدث أى حادث فسوف يحاكم عسكريًا لعصيانه الأوامر.

وأرسل فى طلب رجل يعرف عنه أنه ذو خبرة وعلى جانب عظيم من الشجاعة وهو القبطان رينين قبطان الباخرة مينيس والموجود فى طرابلس لأن باخرته أغرقت بطوربيد. وسأله «هل تعتقد أنه من الممكن تفريغ الباخرتين؟؟ وهل تأخذ على عاتقك مسؤولية تفريغ واحدة منها؟» وقال رنين: «سوف أفعل». وعاونه الملازم كروجر مساعد مكسنر وبحث كل منهما عن عشرة من الجنود الألمان المتطوعين، وترك البحارة الإيطاليون السفن وبدأت هذه العملية الشديدة الخطورة. وكان على ظهر السفينة برمانيا بالإضافة إلى القنابل الصغيرة شحنات من القنابل الثقيلة. ورفعت العبوة الأولى وفتح أول صندوق لمعرفة ما إذا كانت مسامير الأمان ما زالت فى أماكنها الصحيحة أم لا. ووجدت سليمة فنقل الصندوق الأول إلى رصيف الميناء. ثم نقل الثانى والثالث بعد الفحص إلا أن مسمار الأمان وجد فى الصندوق الرابع مفقودًا، وبذلك كانت القنبلة جاهزة للانفجار فى أى لحظة وتأزمت الأمور. وأزاح خبير المتفجرات حزمه القنابل جانبًا وأمسكها وأخرج القنبلة الحية من الحزمة ووضعها بعناية فى أحد الأركان، وأخرج منها المفجر. ووقف بجواره القبطان رينين ليرى كيف يعمل لأنه استعار هذا الخبير لمدة يوم واحد، وعليه أن يعود إلى مستودع الذخائر الذى يعمل فيه حيث تنتظره تحضيرات مهمة للهجوم القادم، ولقد كان على رينين وكروجر إذا تكررت المشكلة نفسها أن يحلاها بدون الخبير. ولذلك اهتما بمراقبة عمله مراقبة واعية دقيقة.

وفى اليوم الأول اكتشفوا ست قنابل حية، وفى اليوم الثانى تسعا، وفى اليوم الثالث أربعا. واستغرق تفريغ الشحنة خمسة أيام. وقد تبين أن 22 قنبلة كانت فاسدة نتيجة لسوء صناعة الصناديق المعبأة فيها. وقد قام رينين وكروجر بعد مغادرة خبير المتفجرات لهما بتأمين 16 قنبلة، وقد واجها الموت 16 مرة

فى كل مـرة كان يرسلان رجـالهمـا العشـرة إلى الشاطىء حـتى ينتهـيا من عـملهمـا. وكانت العـملية تسـتـغرق خـمس دقائق والعـرق يتصـبب على وجهيهـما، والصمت مخيمًـا حولهما كأنه صمت الموت. وكـانت كل حركة يقومان بهـا كأنها خطوة لهمـا إلى العالم الآخر. وقد أمكن إنقـاذ الباخرتين وحمولتـهما بكاملهـا. وكان القبطان رينين هو أول مدنى يحـصل على وسام الصليب الحديدى من الدرجـة الأولى كما حصل عليه الملازم كـروجر، وكان هذا الحدث أحـد الأعمال البطوليـة التى تمت فى هدوء والتى قام بها مـعاونو روميل ولم يعرف أحد خلال الحرب أى شىء عن هذا النشاط الذى قاموا به. فإن عـملهم ونشاطهم وموتهـم كان يجب أن يظل سرًا من الأسـرار حتى لا يعرف العدو موقف الإمداد والتـموين لأنه كان موقفًا حيويًا وله أهمـية كبيرة بالنسبة للألمان. كمـا يجب ألا يعلم العدو كم باخرة وصلت إلى طرابلس أو طبرق أو بنغـازى، وهل هى قادمة من نابولى أو تونـتو، ويجب ألا يعلم كم سـفينة أبحـرت وكم وصل منها إلـى الموانئ المحددة لهـا فى شاطئ الجـبهـة المصرية - الليبية.

ولو اطلع المرء على أسـرار النقل البحرى فى الأرشـيف السرى للقـيادة البحـرية لأصابه الفزع من كـثرة الخسـائر. والرجل العادى لا يسـتطيع تقدير الخطر الجسيم لغرق أى سفينة بواسطة الطائرات والبحرية البريطانية أو بواسطة قاذفات القـنابل بلنهايم. ولنأخذ على سبـيل المثال ما حدث للبـاخرة بروسن التى أغرقت بواسطة إصابة مـباشرة بقنبلة فى 22 يوليو عام 1941 بالقرب من جزيرة نبتـلاريا وكان على ظهرها 600 جندى وطاقمـها المكون من 64 بحارًا و6000 طن من الذخـائر من كافـة الأنواع و1000 طن من التـعيـينات و3000 حقيبة بريد و3000 مركبة بين دبابة وسيـارة فولكس واجن. وكان أهم ما فى

هذه الشحنة هى القنابل زنة 4000 رطل الجديدة لسلاح الطيران الألمانى وأول بطارية مدفعية عيار 210ملم. وفقدت الشحنة بأكملها كما مات 200 من الجنود والبحارة. وليست هذه الباخرة إلا إحدى البواخر الكثيرة التى غرقت فى البحر بين إيطاليا وأفريقيا، ولو كان هناك شواهد لقبور السفن لأصبح الطريق البحرى بين صقلية وموانئ الصحراء العربية مرصوفًا بها، وكان السبب فى هذه الخسائر جزيرة مالطة، فقد كانت هذه الجزيرة الصخرية المركز الرئيسى للبحرية البريطانية وغواصاتها وطائراتها فى البحر المتوسط فكانت عاملاً مهمًا فى انتصار بريطانيا فى شمال الصحراء العربية.. ومهما كان القول بأن الحرب فى شمالى الصحراء العربية قد تقرر مصيرها فى البحر بعيدًا عن المألوف، فإن مالطة قد تسببت فى هزيمة رومل. ويظهر هذا الموضوع بوضوح لكل من يدرس الحرب فى شمال الصحراء العربية[1].

مالطة تلتهم الإمدادات:

ومن يزر مالطة قبل الحرب يجد أن الجزيرة تغطيها المروج وحقول القمح التى تلفحها الشمس، ويرى شباك الصيد معلقة فوق الصخور والمنازل القديمة. فالمالطيون يرتزقون فى جزيرتهم المكتظة بالسكان بالعمل كفلاحين أو تجار أو صيادين أو بحارة. ومالطة هى موطن إنتاج أحد الأغذية المفضلة عند الأوروبيين وهى سمكة التونة.

ويصعد المرء من الميناء فى طريقه إلى بلدة فاليتا التى أخذ اسمها من اسم أول سادة فرسان مالطة. وتاريخ الفرسان فى مالطة مرتبط بالقلعة القديمة التى ظلت مدة طويلة تستخدم كمقر للحاكم البريطانى. وفى القرن السادس عشر أهدى الإمبراطور شارل الخامس الجزيرة إلى فرسان سانت

(1) بول كارل - نفس المرجع، ص 158.

جون، وكان من المؤكد أن للجزيرة تاريخًا مليئًا بالمغامرات، لأنها ملجأ طبيعى للقراصنة، فهى تقع على الطريق المستقيم بين شرق البحر المتوسط وغربه.

لعبت مالطة دائمًا دورًا فى التاريخ فمنها تحكم الفينيقيون بالتجارة بين الشرق وأوروبا وأفريقيا. وحوالى عام 400 قبل الميلاد احتلها القرطاجيون ثم احتلها الرومان عام 218 قبل الميلاد. وقد حارب الاسترجوس والفاندال والبيزنطيون من أجل هذا الموقع المهم الذى يمكن التحكم منه بتجارة البحر المتوسط. وفى عام 870م احتلها العرب وبعد 200 سنة انتزعها منهم النورمنديون وفى عام 1798 احتل نابوليون الجزيرة وجزيرة أخرى صغيرة مجاورة لها وهى جزيرة جوزو، ثم احتلها البريطانيون عام 1800م وجعلوا من مالطة قاعدة من أقوى القواعد البحرية والجوية فى إمبراطوريتهم. وبسط ضباط البحرية البريطانية والطيران نفوذهم على مظاهر الحياة فى الجزيرة كما غيرت السفن البريطانية من صورة الميناء، فقد تم بناء أحواض ضخمة للسفن وورش للصيانة والإصلاح فى هذا الميناء الطبيعى وأصبحت مالطة جزيرة جميلة وقوية وفخورة بما أدخل عليها. وهى لا تبعد أكثر من 50 ميلاً عن صقلية. وقد سخرت هذه القلعة من ادعاء موسولينى بأن البحر المتوسط عبارة عن بحيرة إيطالية، وأثبتت أن البحر المتوسط ما هو إلا بحر لبريطانيا العظمى، وكان على أى قوة تريد نقل جنودها عبر هذا البحر أن تقهر مالطة أو تدفع الثمن غاليًا. وقد قال أحد كبار الخبراء فى الحرب البحرية خلال الحرب العالمية الثانية وهو القيس أميرال «اسمان» الألمانى: لو كان الإيطاليون يابانيين لبدأوا الحرب فى 10 حزيران بالهجوم على مالطة كما حدث تماما فى الهجوم على بيرل هاربور، وكانت فى ذلك الوقت مجرد قاعدة دفاعية. ومالطة ذات أهمية كبيرة بالنسبة للإيطاليين مثل أهمية بيرل هاربور لليابانيين.

إلا أن الإيطاليين لم يكونوا يابانيين، فبعد أن دخلوا الحرب فى منتصف سنة 1940 إلى جانب الألمان اكتفوا بمحاولة إخضاع القلعة البريطانية فى البحر الأبيض المتوسط بالضرب من الجو فقط. وأنه لمن المضحك أن يقال أن الإيطاليين كانوا يقذفونها من الجو، فلم يكن هجومهم على الجزيرة هجومًا بالمعنى المفهوم، إذ لم تتعرض الجزيرة لنيران كاسحة، ولم تقذف قذفا ثقيلاً جديا بل كان القذف مثل الصراع بين الفرسان فى العصور الوسطى ضربات خفيفة متفرقة أو مثل وخز الدبابيس»!

ولقد كان الأميرال «ريشهولد» الألمانى رئيس ضباط الاتصال البحريين فى إيطاليا، هو أول من اقترح الاستيلاء على مالطة فى 19 أغسطس عام 1940. إلا أن الإيطاليين رفضوا، وحتى القادة الألمان لم يستطيعوا تقدير الأهمية العظمى لهذه الجزيرة، أما بالنسبة للبريطانيين فكان الأمر مختلفا، ورغم أنهم كانوا يشعرون بالقلق عندما علموا بخطة هتلر «أسد البحر» لغزو جزيرتهم، فقد أرسلوا إمدادات كبيرة إلى مالطة لمنع الاستيلاء على الجزيرة لأنهم دخلوا الحرب فى حالة يرثى لها من ناحية الاستعداد.

ولم يكن هناك شىء معد لمثل هذا العمل. وقد أوضح لى الماريشال بادوغيلو بنفسه الحقائق فى كلمات مشوبة بالحذر. ويمكن اليوم الحصول على صورة واضحة للموقف كله بعد الرجوع إلى سجلات الحرب[1].

أين أسطول موسولينى؟:

لقد لاحظ موسولينى عام 1939 الانتصارات الألمانية الباهرة فى بولونيا فى ذهول، وتراءى له أن احتلال الجنرال ويفل لنارفيك كان من فعل ساحر، ولكنه هز رأسه عندما علم أن الدنمرك وأوسلو قد سقطا فى يد الألمان بدون

(1) بول كارل - نفس المرجع، ص 160.

حاجة إلى طلقة واحدة، ولاحظ الدوتشى باهتمام زائد كيف اكتسح جنود هتلر أعداءه الفرنسيين كما تكتسح الريح الهشيم. وهكذا رأى موسولينى هتلر الذى يعده أحد تلاميذه يحقق النصر لنفسه فى أوروبا وقد أعد أيضًا خطة لغزو بريطانيا ذاتها!! وهذا يجعل من المتوقع أن تنتهى الحرب فى ظرف ثلاثة أشهر. والنتيجة هى النصر للألمان ثم يملى الفوهرر شروط الصلح. وما الذى سيحدث لإيطاليا؟ «فإذا كانت إيطاليا تريد أن تجلس على مائدة الصلح عندما يقسم العالم فإن عليها أن تدخل الحرب وأن تدخلها بسرعة». هكذا قال موسولينى لماريشالاته يوم 26 مايو عام 1940 فى البندقية. ووقف الماريشالان بالبو وبادوغليو وقد جمدا كأنهما تماثيل من الحجارة، وقد أذهلهما ما سمعوه من أن إيطاليا سوف تدخل الحرب!

ولاحظ موسولينى سلوكهما غير المنسجم مع رأيه. وتبادل القائد العام فى ليبيا الماريشال بالبو النظر مع المارشال بادوغليو رئيس هيئة أركان حرب الجيش. ثم رفع الدوتشى يده وقال بعظمة: «يجب أن أخبركم أننى أرسلت بالأمس رسالة إلى هتلر أؤكد له أننى لا أنوى أن أقف متفرجا ويدى فى جيبى وأنى سأعلن الحرب على فرنسا اعتبارا من 5 يونيو». وتقدم بادوغليو وقال «هل تعلم أيها الدوتشى أن إيطاليا غير مستعدة للحرب إطلاقا من الناحية العسكرية؟ لقد اطلعت على التقارير الدورية ويوجد 20 بالمائة فقط من القوات استكملت مرتبات الحرب، وأكثر من 70 بالمائة من فرقنا المدرعة ليس لديها دبابة واحدة، وليس لدينا حتى أقمصة كافية للجنود. فكيف يمكننا أن نشن الحرب وفى مستعمراتنا لا توجد أية استعدادات عسكرية وأسطولنا التجارى موزع فى البحار؟» وحاول بادوغليو مواصلة حديثه إلا أن موسولينى قاطعه قائلاً: «إن التاريخ لا يمكن أن يكتب بعدد القمصان التى نملكها»!

وهكذا دخلت إيطاليا الحرب. ولم يستقل بادوغليو. ولم يقم القواد بثورة. وكيف كان يمكنهم أن يفعلوا هذا؟ إن هذا يعنى أنه خلال عشر سنوات من الفخر والخيلاء والكلام المنمق قد أخفوا الحقيقة وهى أن الجيش الإيطالى أداة لا فائدة منها. وكانت الأمور تبدو فى الظاهر أحسن حالا فى السلاح البحرى. وطبقا لأقوال موسولينى فإن كل شىء يتوقف على البحرية. وبقوله هذا لم يكن قد تمادى فى الخطأ بعيدا!!

فالجيش الإيطالى يمكن أن يقاتل فى أى مكان.

لقد كان الأسطول المدرج فى القوائم مكونًا من 6 بوارج و29 طرادًا و69 زورق طوبيد و115 غواصة. فهل لا يعد كل هذا شيئًا!! لقد كان لإيطاليا أكبر أسطول للغواصات فى العالم. وما الذى تستطيع أن تعمله بريطانيا العظمى فى مواجهته؟؟ وما هى القوات التى تملكها بريطانيا فى مصر؟ إنها تملك 35 ألف جندى يقابلهم فى الجانب الإيطالى تحت قيادة المارشال بالبو 14 فرقة يبلغ تعدادها 220 ألف مقاتل. صحيح أنهم لا يملكون مدرعات ثقيلة ولا يملكون العدد الكافى من المدرعات الخفيفة، وصحيح أن أربع فرق فقط كانت على استعداد للحرب وفرقتين فقط لديهما الحملة الكافية. ولكن لا شك أن 220.000 مقاتل يمكنهم اكتساح 35.000 مقاتل بسهولة. ونحن نعلم مدى النتائج التى تحققت من هذا الكلام، ونعلم أن هتلر قد قرر فجأة الخطورة التى سيترتب عليها طرد موسولينى من أفريقيا وبذلك يعرض جبهة أوروبا الضعيفة للهجوم الواسع من قبل البريطانيين.

وكان هذا هو السبب الذى جعل هتلر يرسل لموسولينى الفيلق الأفريقى تحت قيادة رومل ليوقف الكارثة فى الصحراء العربية. ولو أرسلت هذه الفرق الثلاث إلى الصحراء العربية قبل ذلك بستة شهور، كما اقترح الجنرال

غودريان فى نهاية شهر يونيو عام 1940، لكان فى استطاعتهــا أن تقرر مصير الحرب فى شمال أفريقيــا فى ذلك التاريخ، ومن المحتمل أن الإسكندرية وقناة السويس والقاهرة كانت قد سقطت فى أيدى المحور[1].

وقبل أن تبحـر أول سفينة تحمل مقدمــة الفيلق الأفريقى إلى طرابلس، أرسلت القـيادة الألمانية الـعليا الجنرال (جـيسلر) وتحت قـيادته الفيـلق الجوى العاشر ويضم 200طائرة إلى جزيرة صـقلية. وسرعان مـا زاد عدد الطائرات إلى 500 وكانت مهـمة الطائرات المقاتلة والقاذفات المقاتلة من طـراز شتوكا، شن الهجـمات على القـوات البحرية البـريطانية فى البـحر المتـوسط وتأمين الإمدادات المرسلة لإفـريقيا. وهكذا ظهرت أول مـحاولة لاستعـراض القوة، وفى اليـوم السابع من كـانون الثانى عـام 1941 شوهدت الـقوات البحـرية البريطانية فى شرق البحر المتوسط وغربه وهى تتجه إلى مالطة.

فقد غـادرت ميناء جبل طارق أربع بواخـر شحن عليها شـحنات ثمينة مرسلة إلـى مالطة واليونان. وكـان على القافلة البـريطانية حـراسة مـشددة. ونتيجة التـجارب السابقة مع البحرية الإيطالية التى يسمـيها تشرشل «أسطول الطقس اللطيف» لم يكن هناك مبـرر لانزعاج البحرية البريطانيـة. وبعد ظهر يوم 9 يناير 1941 قامت الطائرات الإيطالية الحاملة الطوربيد لأول مرة بمهاجمة القافلة جنوبى جـزيرة سردينيا، فقـد كان لوجود سلاح الطيـران الألمانى فعل السـحر علـى الروح المعنوية للإيطاليـين. وهاجم القـافلة زورقين من زوارق الطوربيد الإيطالية، ودخلت السفن فى حقول الألغام التى بثها الألمان وغرقت سفينتان. وفى اليوم التالى وهو العاشر من كانون الثانى قبل أن ينتصف النهار كانت أكـبر سفينة فى القـافلة وهل حاملة الطائرات «اللستـرايوس» على بعد

(1) بول كارل - نفس المرجع، ص 162.

مائة ميل غرب مالطة وكانت تحـمل الطائرات التى ينتظرها بفارغ الصبر جنود مالطة.

وعلى ظهر الحـاملة كانت طائرات على أهبـة الاستعـداد للإقلاع ولكن طائرات ستوكا ويونكمرز 87، 88 قامت بهجوم مفاجئ على القافلة. وقامت الطائرات بقـذف الحاملة بالقـنابل مما أدى إلى تحطيم السطح العلوى للحـاملة واشتعلت فيها النيران. وتلف محرك الحاملة وأخذت تدور حول نفسها. ومرة بعـد المرة عادت الطائرات الألمانـية والإيطاليـة الحامـلة للطوربيد إلى ضـرب الحاملة المصابة. طبقًـا للتقارير الرسمية عن المعركـة فإن الهجوم الألمانى على الحاملة هو وحده الذى أدى لإصابتها. وفى خلال عـشر دقائق انفجرت عشر قنابل زنة الواحـدة منـهـا ألف رطل على ظهـر الحـاملة. وأرسل الأمـيـرال البريطانى قائد القافلة فى القاهرة ولندن برقيـة يقول فيها: «حدث اللقاء الأول بين القوات البريطانيـة والبحرية والسلاح الجوى الألمانى فى البـحر المتوسط». ولكن أين كـان الأسطول الإيطـالى؟ أين كـان الأسطـول الذى يفـخـر به مـوسولينى؟. وتمكن قـبطان الحـاملة اللستـرايوس بمهـارته فى فنون وسِحـرٍ وبمعاونة رجاله أن يقـود الحاملة المصابة إلى مالطة. غيـر أن هذا اليوم لم ينته بعد. فـقد اصطدم سـوثهامـتين بلغم وأصـيب بعدة قنابل. وبـذلك أصاب البريطانيون طرادًا من اسطولهم فى البحر المتوسط.

ولم يمنح الطيارون الألمان حاملة الطائرات البريطانية فرصة للراحة، فقد واصلوا غـاراتهم عليهـا. وكان على البـريطانيين أن يسـتخدمـوا كل المدافع المضادة للطائرات للدفـاع عنها. ولم يتخذ أى إجراء ضـد القوافل المحورية. وتمكنت طائرات النقـل الألمانية من الوصـول إلى طرابلس دون أن يصـيـبهـا ضرر. وكان الحادث هو أحد العوامل الرئيسية التى أدت إلى انتصارات رومل

الأوليـة. وواصلت القـاذفات الألمانـية طيـرانهـا لضـرب مالطة فـى حمـاية المقاتـلات. وانفجرت قنابـل فوق الجزيرة الصـغيـرة وفوق الأرصـفة وورش الإصلاح ومـستـودعات؟ وفوق السـفن والطائرات. وفى السـابع من شـهر مارس 1941 أبلغ مـوريس مـارشال مـاينارد (قـائد سـلاح الطيـران الملكى البريطانـى فى مالطة)، القاهرة أنه لم يـعد فى استطاعـته حمـاية طائراته من طراز ستدرلند ولنجتن من؟ ولهذا نقلت الطائرات إلى مصر. وفى اليوم نفسه أرسل حاكم مـالطة جنرال سيـر ويليام دوبى برقـية إلى لندن يطلـب النجدة ويقول فيها: إن هجوم العدو الجوى شـديد لدرجة أن ماطلة معرضة لأن تفقد أهميتهـا كقاعدة جوية وبحرية بريطانيـة». وأرسلت قيادة الشرق الأوسط فى القاهرة طائرات الهـاريكين المقاتلة إلى الجزيرة لحمـايتها إلا أن الألمان واصلوا هجومهم على الجزيرة. وفى المدة الواقعـة بين كانون الثانى ويونيو عام 1941 خسر البـريطانيون 78 طائرة، فى حين أن الهجـوم الإيطالى علىٰ الجزيرة من يونيو عام 1940 إلى يناير 1941 لم يسبب أضرارًا جسيمة للجزيرة الصغيرة. وبعد خمـسة أشهر من الهجـوم الألمانى تغيرت الصورة، فـبالرغم من وجود الكـهوف الطبـيـعية فى الجـــزيرة التى استخدمـت كملاجئ، فقـد زاد عدد القتلى عن 400 شخص، وأخذ المالطيـون يتهامسون، ورفـضوا العمل لإزالة الأنقاض[1].

وفى مـارس كانت الجـزيرة تعانى نـقصًـا فى المؤن. وفرضت بطاقـات التـموين وأصـبح الوقت مناسبًـا لعمـلية الغـزو من قبل الألمان والإيطاليـين للجزيرة. وأرسلت القيادة البريطانيـة العليا تعزيزات من المشاة إلى الجزيرة تم

(1) بول كارل - نفس المرجع، ص 165.

إرسالها من مصر. وكانوا ينتظرون كل يوم الغزو الذى أصبح وشيك الوقوع. وكان لدى البريطانيين ثمانى كتائب وفوج مدفعية للدفاع عن الجزيرة، وبالإضافة إلى هذه القوات كانت توجد عدة بطاريات من عيار 37 بوصة و 6 بوصة وقليل من المدافع عيار 18 رطلاً، أما فيما يختص بالمدرعات فكانت هناك وحدة من الفوج الثانى إلا أنها كانت مسلحة بدبابتين خفيفتين وأربع دبابات للمشاة وبدت الأمور قاتمة قاسية بالنسبة لمالطة. وفى هذا الوقت كان لدى قوات المحور الفرصة للوصول إلى حل حاسم ضد بريطانيا العظمى فى البحر الأبيض المتوسط . وكانت خطة الأميرال الأكبر «رايدر» قائد البحرية الألمانية تبدو أنها هى الخطة الصحيحة، وتتضمن الاستيلاء على مالطة حتى يمكن إرسال الإمدادات الضخمة إلى أفريقيا دون عائق وبذلك يصبح رومل فى موقف يسمح له بتتويج نصره في برقة بدخوله لمصر. وكان من الواضح أن تشرشل لن يكون له مثل هذا المستقبل السياسى الزاهر لو تم لرومل دخول مصر. ولكن ما الذى فعله هتلر؟ لقد قام بفتح الجبهة الشرقية ضد روسيا 22 يونيو 1941، فهاجم روسيا التى كانت تمده ببعض القمح والوقود. بطبيعة الحال لم يكن من الممكن الاعتماد على روسيا طوال الحرب، ولكن يكن لديها نيات عدوانية مباشرة ضد ألمانيا.

لماذا لم يتكرر غزو كريت فى مالطة؟

ونتيجة للحرب الروسية نقلت وحدات من الأسطول الجوى العاشر الألمانى فى صقلية إلى الجبهة الشرقية. وتضاءل سقوط القنابل على مالطة، بينما عزز تشرشل قواته فى الجزيرة، ومرة أخرى أنزلت القوات البريطانية البحرية الجوية الخسائر الفادحة بإمدادات رومل ووقف رومل مكتوف اليدين أمام نواب طبرق فى صراع يائس لأنه لم يستطع الحصول على إمدادات

كافيـة. لكن هل كان من الممكن الاستيلاء علـى مالطة؟؟ إن هذا هو السؤال الذى يسأله المؤرخون الألمان، وفى رأيى أنه كان من الممكن الاسـتيلاء عليها. إن الغزو الألمانى الناجح لكريت أثبت أنه من الممكن الاسـتيلاء من الجو على جزيرة أكـبر من مـالطة 33 مـرة حتى إذا كـان الدفاع عنهـا أفضل. وكـان الاستيلاء عـلى كريت هو أول غزو من الجو فى التاريخ. ولقد كـان ناجحًا. فهناك فى كريت حاول الرجل الأسطورى أيكاروس منذ بضعة قرون أن يحقق حلم الإنسـان القديم فى الطيـران فركب لنفسـه جناحين مـسـتـخدمًـا الشمع للصقهما بجسمه إلا أنه سقط فى البحر وتحطم.

أمـا الرائد كوشن فـقـد حلّق فوق كـريت يوم 20 مايو 1941 فى تمام الساعـة السابعة والنصف فى طائـرته الشراعيـة ثم نزل فى الجزيرة على رأس الكتـيبـة الأولى من فوج المظلات، ولكـنه لم يسقط فى البـحر، وقـد تبعـه الأسطول الجوى فى النزول بطائرات اليونكرز 53.

وأسقطوا رجال المظلات، فهبـط فوق الجزيرة آلاف من أمثال أيكاروس لكن فى العصر الحـديث، وهم مسلحون جيدًا بالأسلحـة والذخيرة. وهبطوا مثل السحب البيضاء من خلال السـماء الزرقاء. وقفزوا إلى الجزيرة الصخرية الممتدة أسفلهم بينما أمطرهم المدافعون بالموت والدمار.

وما الذى قـاله تشرشل فيمـا بعد عن هؤلاء الجنود؟ لقد قـال تشرشل عنهم: «هؤلاء الجنود الشجـعان كانوا من رجال المظلات.وهم زهرة الـشباب الألمانى» وكانت هذه هى الحقـيقة فأحدهم كان نافخ البـوق «ارنست سيرنجر» وهو صـياد من إقليم سـيلزيا العليـا، نزل مع الكتيـبة الأولى أثناء الغـزو ثم أخرج نفـيره وهو ما زال معلقًـا فى الجو وأطلق نداء الهجوم. فـدوى صدى ندائه غريبًـا مفزعًا فى آذان جنود اللواء النيـوزيلندى الخامس المذهولين الذين كانوا يدافعون عن الجزيرة، وكأن نداءه تحية النصر للرجال الهابطين.

وتم الاستيلاء على كريت. وكان أول إنزال من الجو ناجحًا. ولكن النجاح كان غالى الثمن، فقد تكبد رجال المظلات خسائر مفزعة. فعندما كانوا محلقين فى الجو كانوا أهدافًا للمدافع الرشاشة من أسفل. وسواء ماتوا أو جرحوا فقد ظلوا معلقين فى مظلاتهم البيضاء. وعند وصولهم إلى الأرض كانوا يتدحرجون حتى يوقف تدحرجهم شجيرة أو صخرة وتسكن المظلة المصنوعة من الحرير الأبيض، وتلتف حول جثثهم لتسترها كالكفن. وقد ضحى رجال المظلات وهم النخبة المنتقاة فى أول عملية كبرى بكل ما فى التضحية من معنى، ولكن كريت وهى المعقل القوى بين اليونان وطبرق قد سقطت فى أيدى الألمان. وأرسل تشرشل يتوسل يائسًا إلى روزفلت بأن بريطانيا سوف تخسر الحرب ما لم تضاعف الولايات المتحدة مساعدتها لها[1].

وكان هناك كثير من القادة العسكريين الألمان يريدون الحصول من وراء هذا النصر الغالى الثمن على نقطة وثوب لعمليات حاسمة أخرى ضد الحلفاء فى البحر المتوسط والصحراء العربية، وكان رايدر على رأس هؤلاء. وفى هذه الأيام لم يكن تشرشل يخشى شيئًا أكثر من أن يقوم الألمان بعملية إنزال جوى على مالطة. وفى 28 مايو 1941 أرسل برقية إلى الجنرال ويفل فى القاهرة أبدى فيها مخاوفه من أن مالطة قد تفقد، فيتحطم خط المواصلات فى البحر المتوسط مع مصر. غير أن هتلر لم ينتهز هذه الفرصة التى أرسلتها له السماء . بل رفض كذلك خطة الجنرال الجوى «ستيودنت» الذى أراد الاستيلاء على قبرص، على أن يقوم منها بعمليات بحرية وجوية ضد قنال السويس. ويرجع سبب الرفض إلى أن الخسائر الفادحة فى كريت أذهلت

(1) بول كارل - نفس المرجع، ص 167.

هتلر، زد على ذلك أن موسـوليني كان لديه الطموح في محـاولة غزو مالطة بمفرده. وكان هتلر يعلم تمامًا أن موسوليني لن يستطيع تنفيذ العملية إلا أنه لم يشأ جرح إحساس صديقه مـوسوليني، وقد أدى البدء في الحملة الروسية إلى إهمال وترك كل الخطـط المعدة للاستـيلاء على مالطـة ووضعهـا في الدرجة الثانية من الأهمية، وكان على الفيلق الأفريقي أن يدفع ثمن كل هذا.

ومن يونيو إلى أكـتوبر 1941 أغرقت 40 باخرة كانـت تحمل الإمدادات إلى الصحراء العربيـة. وبلغت حمولة هذه السفن 179.000 طن. وفي أيلول أغرق نحو 40 بالمائة من مجموع البواخر التـي أبحرت إلى الصحراء العربية، يضاف إلى ذلك التضحيات المفزعـة في الرجال وإمدادات الحرب، كما أصبح النقص في عدد البـواخر محـسوسًا. ونتـيجة لهـذا فإن مجمـوع الإمدادات المرسلة لروميل كانت عبارة عن 50.000 طن أغرق منها 60 بالمائة. وفي نوفمبر أرسل له 37.000 طن فأغرق منها 77 بالمائة بواسطة البحرية البريطانية وسلاح الطيران البـريطاني. وأصبح الآن واضـحًا أن حملة رومل في شـمال أفريقـيا سوف تنتهي نهاية سـيئة بسبب الحصار البحري لإمـداداته. وتحقق هتلر أخيرًا من ذلك. ودوى الانذار في القـيادة الـعليا. وأرسلت برقـيـة باللاسلكي إلى رجل في الجبهة الشرقية كان هو كـفيلاً بتغيير كل ذلك. وكان هذا الرجل هو المارشال كـسلرينغ. وكان الجنود في أفريقيـا يعانون من المأساة القاسـية وهي النقص في الإمدادات. فالجندي العادي لا يعلم شيئًا عن المشاكل الاستراتيجية ولا يعرف شـيئًا عن الإمـدادات التي تغرق، غـير أنه كان يلاحظ أن سـريته كانت دون الحـد المقرر لها في االرجال والإمـدادات، ولا تصلها الدبابات ولا الوقود ولا البيـرة، ولا يتوفر لها حتى التـرفيهِ البسيط الذي يجـعل الحياة في الصحـراء أكثر احتمـالاً. وكان يحدث أحيـانًا أن السماء أو بالأحرى الـبحر

يمـدهم ببعض الكنوز الخـرافيـة. وما زال رجـال كتيـبة الاسـتطلاع الثالـثة والثلاثيـن كلما تذكروا هذه الصـدفة المدهشـة يسيل لعـابهم. فقـد كان على دوريات الكتيـبة إرسال تقاريرها باللاسلـكى عندما تعود من استطلاعـها إلى الخطوط الألمانية. وقد فوجئ قائد الكتيبة بكلمة رمزية غريبة وردت فى التقرير وهى كلمة (النمـر)، وبعد قيامـه ببعض التحريات دهش عندمـا علم أنها لا تعنى أكثر من أن قائد الدورية يعنى أن رجاله ذهبوا ليستحموا فى البحر. وفى أحد الأيام قلق النقـيب «هيراكورت» قـائد السرية الأولى عندمـا تأخر الملازم «أينجلهارت» القائم بالاسـتطلاع عن موعد عودته بعد إرسـاله الكلمة الرمزية (النمر). وعندمـا ظهر الملازم أخيـراً كان يسلك سلوكًا غـريبًا فقد عـثر على شىء. ثم أخرج من جيب سرواله زجاجة مـن الويسكى. وكانت قصة عثوره على الويسكى مـثيرة جـداً. ولم يصدقـها النقـيب هيراكـورت، وقال الملازم بانفعال: «اذهب لترى بنفسك». وركبا العربة إلى المرتفع المجاور لبلدة البردية وهناك ظهر السر. فقـد قذف البحر بحطام سفينة إلى الخلـيج الصغير. ولكى يكون الحديث أكثر دقة قذف البحر بنصف سفينة. فقد فقدت السفينة مقدمتها وقذفت الأمواج بالجـزء الباقى إلى الشاطئ. وكان اسم السـفينة هيكلا وسبح الضابطان إليها. وكانت مـحتويات السفينة تفتح الشهيـة، فالجزء الأمامى كان مملوءًا بالصناديق المعـبأة بالخضـروات المحفـوظة والفواكه والزبد والـشيكولاته والسجايـر والويسكى ولم يهتموا بالأحـذية الطافية والملابس الخاصـة بالجيش البريطانى. وعـاد الضابطان إلى الشاطئ وجمـعا كل السرية وأمروها بتـفريغ السـفينة، وكـان هذا هو الواجب الأول، واسـتغـرق ذلك خـمسـة أيام ولم يتصـبب الرجال عـرقًا من حـرارة شمال أفـريقيـا إلا نادراً ولكنهم هذه المرة تصببوا عـرقًا وكانوا فى غاية السعادة والسرور أثناء تفـريغ السفينة فى الخليج الصغير المجاور للبردية[1].

---

(1) بول كارل - نفس المرجع، ص 169.

وكانت الصناديق تنزل إلى الماء وهى محملة على زوارق من المطاط ثم تسحب إلى الشاطئ. وكان هذا العمل يستغرق ثلاثة أرباع الساعة، ومن هناك كانت تحمل فوق منحدر الجبل وتوضع فوق العربات. وحصلوا على 400 زجاجة ويسكى. وكانت هذه الأيام أسعد أيام كتيبة الاستطلاع الثالثة والثلاثين. ولم يكن هناك ماء صودا من ضمن حمولة الباخرة هيكلا، ولكن طعم الويسكى كان أحسن مذاقا بدون صودا أو مع بعض قطرات من ماء البحر المالح. ورغم أن وحدات عديدة استفادت من هذه المؤن فقد استمرت تأخذ منها مدة طويلة وكان ذلك من حمولة نصف سفينة صغيرة. وهذه واحدة من مئات السفن البريطانية والألمانية التي غرقت إبان الحرب. وهو أمر يبدو محيراً للإنسان عندما يفكر فيه!.

* * *

فهرس المحتويات

في هذا الكتاب



المؤلف في سطور

- من مواطني دولة الإمارات العربية المتحدة.

- رئيس مركز العيدروس للدراسات والاستشارات ومجموعة العيدروس التجارية.

- حاصل على الليسانس من لبنان والماجستير في التطورات السياسية في الإمارات العربية 1932 - 1971 والدكتوراه من مصر عام 1983 في العلاقات العربية الإيرانية 1921 - 1971.

- عمل في دائرة الإسكان والمشتريات بالحكومة المحلية في إمارة أبو ظبي 1970 - 1973 ثم مديرا للعلاقات الثقافية بالحكومة الاتحادية لدولة الإمارات العربية المتحدة 1979 - 1984، ثم جامعة الإمارات العربية المتحدة 1984 - 1993 وقام بالتدريس في كلية زايد العسكرية في مدينة العين وكذلك بكلية الظفرة الجوية في أبو ظبي، كما شارك في دورة تدريب الدبلوماسيين في وزارة الخارجية بدولة الإمارات العربية المتحدة، ثم في جامعة الكويت 1993 - 2000 ثم في جامعة روتردام الإسلامية بهولندا 2000 - 2002، ثم في القوات المسلحة لدولة الإمارات العربية المتحدة في الفترة من 2002-2006: الأمين العام للجنة الإمارات للتاريخ العسكري، ثم رئيس مؤسسة اسكاندافيا للاتصال الثقا...
السويد من عام 2007 حتى ...
في العديد من الجمعيات ...
والدولية وعضو في الأمان...
المؤرخين العرب منذ عام 1...
ورئيس تحرير مجلة د...
الإسلامية.

- صدر له أكثر من اثنى عش...
من أربعين بحثا معظمها ...
والدراسات العربية والإسلامية.

